هذه بلادنا

٢٤

القطيف

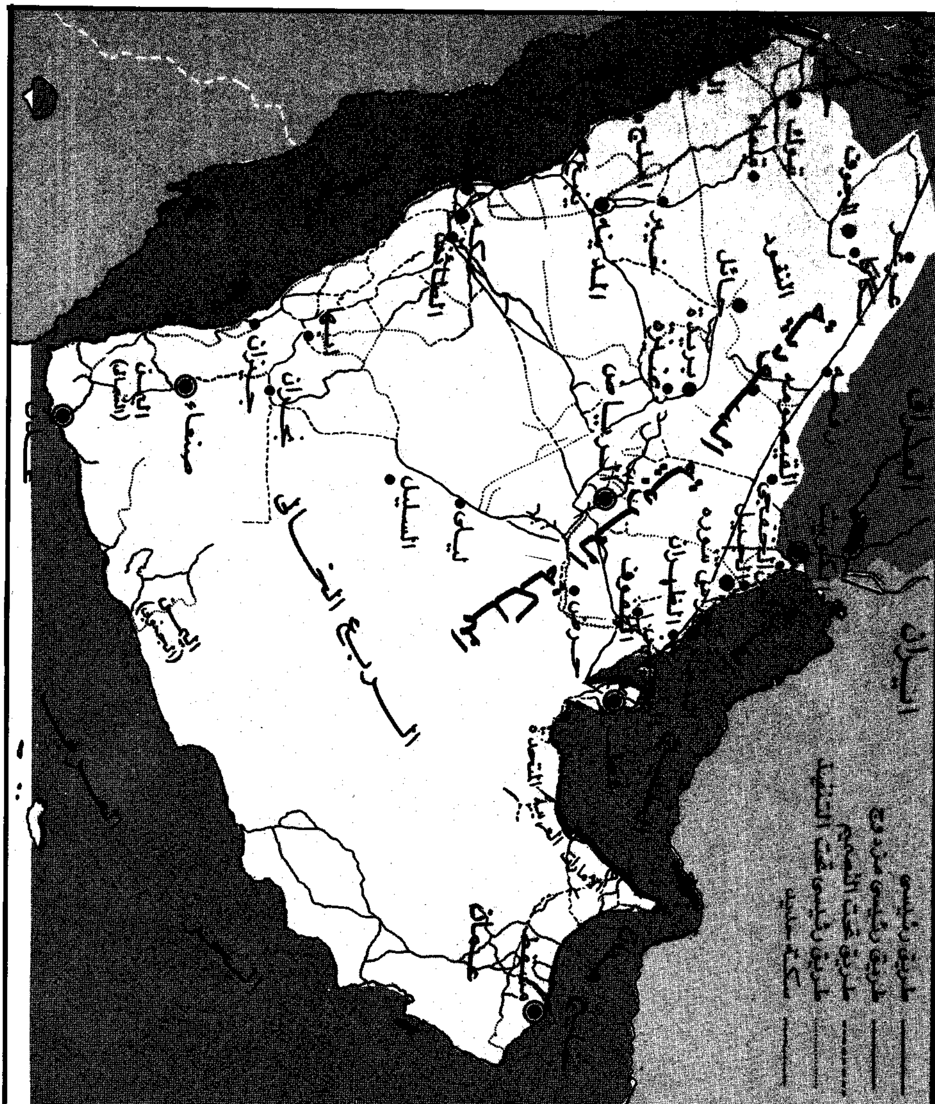
تأليف
محمد سعيد المسلم

الطبعة الثانية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
وكالة شؤون الشباب
الإدارة العامة للنشاطات الثقافية
الرياض ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المسلم، محمد سعيد.
القطيـف. ـ الرياض.
٢٥١ص؛ ١٧ × ٢٤سم ـ (سلسلة هذه بلادنا)
ردمك: ٧ ـ ٥٥ ـ ٦٩٥ ـ ٩٩٦٠
ردمد: ٢٠٤٣ ـ ١٣١٩
١ ـ القطيف (السعودية) ـ تاريخ ٢ ـ القطيف (السعودية) ـ جغرافيا
٣ ـ القطيف (السعودية) ـ وصف ورحلات أ ـ العنوان ب ـ السلسلة
ديوي ١٣٥، ٩٥٣ ١٧/٣٢٧٨

رقم الإيداع: ١٧/٣٢٧٨

طبع بمطابع جامعة الملك سعود ١٤١٧هـ



● القطيف

هـذا الكتـــاب

يسعدني أن أقدم هذا الكتاب من سلسلة (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسـطة وتعمـل على تسجيل التراث الفكري والفني والعادات والتقاليد في المملكة . . .

ولعلنـا بهذا العمـل نسهم في تشجيع البحث والبـاحثـين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراسا هاديا لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويجعلهم يفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم . .

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعده على تلمس الـطريق وتـوفـر له الـوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد . . . وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم ، وكثيرا ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وآثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع . .

وانه من الأفضل لأية أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذي أتيحت لهم فرصة التعلم والوصول إلى أرقى الدرجات العلمية وذلـك بالـرجـوع إلى أمهـات الكتب والبحث والتنقيب في المعـاجم

والاستفسـار والتمحيص بالاتصـال بالمعمـرين من أبنـاء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء . .

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والازدهار . . وللادارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق والنجاح . .

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

• • •

سلسلة كتب (هذه بلادنا)

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت امتدادا طبيعيا لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات . . . فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات، واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم المواطنين كافة، وليس هناك من شك في أن كل إنسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها . . . فإن كان صغيرا يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ أسلافه، وإن كان كبيرا فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بأفراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعا لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله.

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث على ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوي الاختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته وإجازته.

وتهدف الإدارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وإمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وإبراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في أرجاء الوطن.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الادارة العامة للنشاطات الثقافية

تمهيد

تعتمد مادة التاريخ على ثلاثة مصادر رئيسية: أولها المشاهدة، وثانيها الرواية وثالثها الآثار.

أما المصدر الأول فهو أوثق المصادر على الإطلاق، فالمؤرخ الذي يكتب عن مشاهدة ويرصد كل ملاحظة، ويسجل أحداثا عايشها بتجرد.. هو كالمرآة، التي تعكس الصورة والحركات، وتنقلها إلينا بصدق وأمانة، ويدخل في هذا الباب كتب الرحلات والوثائق، وتقارير المكتشفين، والوصف المستمد من المشاهدة والعيان.

ويليه المصدر الثاني، وهو «الرواية» المستمدة وقائعها من الأخبار الصحيحة المتواترة إلا أن هذا المصدر يؤخذ دائمًا بمزيد من التحفظ والحذر، لاحتمال تعرضه للدس والتلفيق، فالميول السياسية والحزبية، وكذلك الأبعاد الزمانية والمكانية كلها كفيلة بأن تتضاءل عندها حقائق الأشياء، وتتلاشى أحجامها، وتتبدل ألوانها، وقد تبدو الرؤية متعذرة، لاسيما إذا كانت الأجواء مغلفة بضباب من الميول والأهواء.

ومع هذا تعتبر الرواية هي العمود الفقري، الذي تعتمد عليه مادة التاريخ المدون وهي حجر الزاوية، الذي قام عليه صرح التاريخ، ومن مناهله الثره يستقي المؤرخ موضوعه متنقلاً من مصدر إلى مصدر، ومن مرجع إلى آخر.

أما المصدر الثالث وهو «الآثار» فلا شك في أنها تعتبر وثيقة مادية، تعزز الأدلة التاريخية، وإذا كانت عهودها تعود إلى ما قبل ولادة التاريخ المكتوب[1] فإنها تصبح الوسيلة الوحيدة التي يعتمد عليها المؤرخ، والتي تعتمد عليها المادة التاريخية في الحقب البعيدة من عمر الإنسانية ونشوء الحضارات.

ولكن نقطة الضعف فيها أنها إذا تقادمت تعتمد على التكهن في تحليل محتواها ا يكتنفها من الإبهام والغموض، ويؤدي بها إلى تضارب الآراء، وإذا كان لمتخصصون بوسائلهم الخاصة قد عرفوا تقدير عمرها بتحليل الكربون أو بالدراسة لمقارنة، أو ربما استطاعوا قراءة الكتابات والرموز الموجودة على بعضها واكتشفوا هوية لبعض الآخر، إلا أنها لا تروي غليل الباحث المؤرخ، الذي يطمع في ربط الأحداث نسلسل زمني وحلقات متصلة بعضها ببعض.

خذ مثلاً تلك القبور الأثرية القديمة، التي تعد بالألوف في المنطقة الشرقية، ما ي هويتها، ومن أولئك الذين صنعوها؟ لا أحد يعرف. لقد تضاربت آراء علماء الآثار البعض يقول بأنها فينيقية، والبعض الآخر يعزوها إلى الدلمونيين حكام هذه المنطقة، و الرعاة المستقرين[2]. ثم مَنْ أولئك الأقوام الذين أنشأوا حضارة العبيد، وحضارة لوركاء؟ وحضارة أم النار؟ وحضارة جمدة نصر؟ تلك الحضارات التي انتشرت في لخليج لا أحد يعرف.. وكل ما هنالك أنهم اكتشفوا آثارًا مغرقة في القدم، تعود إلى حقبة تقدر بالألوف من السنين ونسبوها إلى المواقع التي اكتشفت فيها.

ومعلوم أن علم التاريخ يعتبر حديث العهد نسبيًا، إذْ لم يكتب بصورة منظمة علمية إلا في عهد الإغريق، أي في القرن الخامس قبل الميلاد، بَدْءًا من هيكاتيوس

---

(١) اصطلح المؤرخون على تسمية العصر الذي لا توجد له سجلات بشكل منظم بعصر ما قبل التاريخ.

(٢) منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق. م. ص ١٨٧.

المليتي[1] وتلميذه هيرودتس[2] الذي يلقب بأبي التاريخ، ومن جاء بعدهما، وهؤلاء هم أول من جعلوا التاريخ أداة موضوعية، فعنوا بالاستدلال العلمي في سردهم للوقائع، واتخذوا من الماضي موضوعًا للحاضر ومادة للمناقشة، وتلاهم الرومان فحذوا حَذْوهم، ثم جاء بعدهم العرب، فبرعوا في فن التاريخ، فهم أول من عنى بتسجيل الحدث في اليوم والشهر والسنة.. الشيء الذي لم تعرفه أوربا إلا في أواخر القرن السادس عشر[3]، وقد تأثر منهجهم في كتابة التاريخ بعلم الحديث والدراية فاهتموا بالسند كالطبري في تاريخه، والبعض الآخر حاول نهج المؤرخين الإغريق، فعنى بالاستدلال العلمي في سرد الوقائع، كابن خلدون، الذي يعتبر أول من فلسف التاريخ، ووضع الأصول الأولية لعلم الاجتماع، فدعا إلى تحكيم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران، وقياس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، باعتبار أن الماضي - كما يقول - أشبه بالآتي من الماء بالماء في جريان النهر المتدفق، ثم تطور علم التاريخ في العصر الحديث، وتشابكت فروعه، وتأثر بالعلوم الأخرى، وابتدعت مناهج جديدة مما لا يتسع المقام لشرحها.

وتاريخ بلادنا في ماضيها وحاضرها يستمد من هذه العناصر الثلاثة. فهو غنيّ بآثاره التي تعود إلى آلاف من السنين، وحافل بعناية المؤرخين منذ عصر الإغريق، إضافة إلى كتب الرحالة والمكتشفين، وسنحاول في هذا الكتاب عرض صورة ناطقة عن هذا البلد من وطننا الحبيب، عَبْرَ شريط يصوّر الناحية الجغرافية والسكانية والتاريخية والاقتصادية والثقافية في الماضي والحاضر.

---

(١) يعتبر هيكاتيوس أول من كتب التاريخ ولكن كتابه ضاع، وقد نَبُهَ شأنه عام ٥٠٠ ق. م.

(٢) مات عام ٤٢٥ ق. م وأول من أطلق عليه هذا اللقب هو الخطيب الروماني شيسرون، وهو تلميذ هيكاتيوس، وقد حذا حذوه في كتابة التاريخ، وقد اشتهر بأنه أول من كتب التاريخ لأن كتابه لم يفقد، ولا يزال يُتداول حتى الآن.

(٣) يقرر باكل بأن هذا العمل لم يحدث في أوربا قبل عام ١٥٩٧م.

والفضل في إخراج هذا المؤلَّف إلى حيِّز الوجود يعود إلى دعوة كريمة، تلقيتها من القسم الثقافي بالرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض، حيث طلبت مني تأليف كتاب عن «القطيف» ضمن برنامج شامل، أُسند فيه لكل أديب معنيّ بالبحث عن تاريخ منطقته، أو مدينته على أن يشمل الناحية الجغرافية والعادات والتقاليد الاجتماعية، وموجز عن تاريخها وآثارها مع شرح وافٍ عن أوضاعها الاقتصادية والثقافية، وإعطاء صورة لحاضرها العلمي والأدبي والفني، وذلك لتطوير برامج القسم الثقافي، التابع للرئاسة العامة لرعاية الشباب.

وقد حُدِّدَ حجمُ الكتاب، بأن يكون من القطع الصغير، في صفحات تتراوح بين ٧٠ ـ ١٠٠ صفحة، ليسهل حمله، على أن يكون مرجعًا لطلاب المعرفة من قراء ومثقفين، إلا أن هذا التقيد بالحجم قد يُخِلُّ باستيعاب النواحي المهمة في بلد يمتد تاريخه إلى آلاف من السنين، وله تركة حافلة بالتقاليد العريقة والتراث الثقافي، فإن زاد حجمه على الحد المطلوب فذلك خارج عن نطاق الإرادة، أملته طبيعة البحث.

وقد انتهجت في تبويبي لهذا الكتاب وفق التخطيط، الذي انتهجته في كتاب «الخليج العربي حضارة وتاريخ»[1]، فجاء مرتبًا على أقسام تبدأ بالقسم الجغرافي ثم بالسكان والأحوال الاجتماعية، تعقبها لمحة تاريخية، ويليها الحديث عن الأوضاع الاقتصادية، ثم الحياة الثقافية بما فيها من علم وأدب وفن، لكي يكون البحث شاملاً، ويعطي فكرة متكاملة عن منطقة القطيف.

وأنا إذ أشكر الرئاسة العامة لرعاية الشباب، حين أتاحت لي الفرصة لإخراج هذا الكتاب فلا بد أن أشيد بيد المساعدة التي أسدتها لي بعض الدوائر الرسمية كمصلحة الإحصاءات العامة، التابعة لوزارة المالية والاقتصاد الوطني بالدمام، ثم الإدارة العامة للتعليم بالمنطقة الشرقية، ومندوبية تعليم البنات بالقطيف وغيرها من

(١) موسوعة تتألف من عدة أجزاء تحت الإعداد.

الجهات الرسمية وغير الرسمية، إذ أمدَّني هؤلاء بالمعلومات المتعلقة باختصاصاتهم، ولا أنسى تعاون الصديق السيد محمد الفارس الذي كرس حياته في الاعتناء بالآثار، حيث أمدني بجملةٍ من الصور النادرة لمدينة القطيف واللوحات الأثرية التي عثر عليها في القلعة وجامع المنارة، مما تجد بعضها منشورًا في هذا الكتاب.

وقد حاولت أن أجمع ما تيسر لي من المعلومات عن هذا البلد العريق، الحافل بالتالد والطريف، والذي يحفل بتقاليد وعادات مشتركة مع جيرانه بلدان الخليج، وأرجو أن ينال موضع الرضا من الجهة المعنية والقراء والباحثين.

والله من وراء القصد.

المؤلف

الفصل الأول

الأرض:

- أضواء على الخارطة
- الموقع الجغرافي
- أسماؤها
- تكوينها الجيولوجي
- سطحها الطبوغرافي
- المناخ
- مدن الواحة وقراها

أضواء على الخارطة

من هذا الجزء من العالم، الذي يسمى «شبه الجزيرة العربية» انطلقت روافد الجنس السامي منذ القدم، ناشرة لواء الحضارات، التي امتدت أروقتها على العالم القديم، فهي المهد الأول للساميين - كما يقول شبرنكر - فالكنعانيون والفنيقيون والآشوريون والبابليون والعبرانيون والآراميون والحيثيون يرجعون كلهم إلى أرومة واحدة، وقد ذهب كثير من العلماء والباحثين في أصل الأجناس والسلالات إلى أنّ العرب هم الأصل للعرق السامي[1]، وقد شبهوا الجزيرة العربية ببحر يرسل أمواجًا بشرية متتابعة في حقب متعاقبة. ومن هذه البقعة أيضًا بزغ نور الإسلام. وأشرق على العالم أجمع، حاملًا أعظم رسالة سماوية إلى البشرية جمعاء.

وهذه البقعة التي تبلغ مساحتها ٣,٢٠٩,٨٩٨كم تتوزعها أقاليم أربعة، ففي الغرب يقع إقليم الحجاز، ويلحق به تهامة بمحاذاة البحر الأحمر، وفي الجنوب يقع إقليم اليمن، ويلحق به حضرموت بمحاذاة البحر العربي، وفي الشرق يقع إقليم الخليج العربي ويلحق به عُمَان. أما في الوسط فيقع إقليم نجد، ويلحق به منطقة حائل، وتحيط بها الجبال والهضاب الصخرية في أغلب جوانبها. أما وسطها فأغلبه صحراوي، تكثر فيه الهضاب والتلال الرملية، وأشهر صحاريها صحراء الربع الخالي[2]

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، ج١، ص ١٦٠.

(٢) ظلت مجهولة فلم تكتشف إلا عام ١٩٣٩م.

في الجنوب، ثم صحراء الدهناء، التي هي امتداد لها بلسانها الضارب إلى الشمال، والتي تفصل بين منطقة نجد والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

وهـذا الجزء الشرقي من منطقة الخليج العربي تتخلله هضاب جبلية، وتوجد بكثـرة في منـطقة الصمان، التي تلـي نفوذ الدهناء، وتمتد رملة البيضاء بين الصمان والساحل الذي تكثر فيه السباخ وبعض الهضاب الجبلية، وتتخلل هذه الصحاري بعض الواحات القليلة، وإذا قيست هذه الواحات بالمساحات الصحراوية الشاسعة فهي أشبه بالسفن العائمة فوق سطح البحر، وأشهرها واحة الأحساء وهي أكبرها، ثم واحة القطيف، التي تلتقي حولها الصحراء والبحر، ويتسابقان على اعتناقها، والتي هي موضوع حديثنا في هذا البحث.

الموقع الجغرافي

تقع مدينة القطيف على خط ٥٠ درجة من خطوط الطول، و٢٦ درجة و٣٢ دقيقـة من خطوط العـرض، وتمتد واحتها على السـاحل الغربي من خليج كيبوس[١] المسمى بخليج القطيف[٢] والمتفرع من الخليج العربي، وهو خليج صغير، يبدأ جنوبًا من الـدمـام، وينحني غربـًا إلى الداخل، حيث تقع واحة القطيف. ثم يتوغل إلى الشمال، وينعطف إلى الشرق حتى رأس تنورة، وتقع جزيرة تاروت في وسطه، ومياه هذا الخليج ضحلة للغاية، وأراضيه طينية متكلسة، تكثر فيها الأعشاب البحرية، ويغمرها البحر أوقات المد، وينحسر عن أغلبها أوقات الجزر.

أما من الناحية الغربية فتحدها صحارى البيضاء بتلالها الرملية. وهي صحارى كانت تكثر فيها الآطام والمياه وبعض أشجار النخيل كما يصفها الأزهري[٣]، والتي تمتد

(١) العرب قبل الإسلام، ج٣، ص ٢٩٦.
(٢) دليل الخليج، ج٥، ص١٨٩.
(٣) تهذيب اللغة ١٢/٨٨.

غربًا من الجوف الواقع غربي أبقيق ووادي المياه (الستارين)، وشمالاً أراضي الكويت، وجنوبًا الأحساء والعقير، وهي تتميز بطيب التربة، لارتفاعها عن مستوى البحر وبكثرة رمالها التي تزحف أحيانًا على الواحة بفعل الرياح الشمالية العاتية، متجهة نحو الجنوب، فتغطي مساحات كبيرة من بساتينها. وإذا هطل الغيث اكتست سهولها بحلل خضر، فتنتجعها البداة لرعي إبلهم ومواشيهم، وقد كانت موطن قبائل البادية منذ العصر الجاهلي لكثرة مراعيها وتنوع ما ينبت فيها من الأعشاب والنباتات.

وتقع القطيف في منتصف الساحل الذي يمتد من الكويت حتى قطر تقريبًا، حيث تبعد عن الكويت بـ ٢٣٠ ميلاً وعن قطر بـ ٢٢٢ ميلا وعن جزيرة البحرين بـ ٣٦ ميلاً. أما واحتها فتشكل غابة كثيفة من النخيل على امتداد الشاطىء من صفوى شمالا حتى سيهات جنوبًا، وتحف بمدنها وقراها، وتكون لها بمثابة الحزام الأخضر، الذي يلطف مناخها ويحميها من رمال الصحراء.

أسماؤها

القطيف بفتح أوله وكسر ثانيه على وزن فعيل مشتق من القطف، وهو القطع من العنب ونحوه ـ كما يذهب إلى ذلك ياقوت في كتابه معجم البلدان ـ فهي عربية المعنى والمبنى، ولعل الإغريق حرفوا اسمها حين تعرفوا على هذه المنطقة، فذكروه في كتبهم كتيوس CATEUS وهو يشير في دلالته إلى اسمها الحالي[١].

ويعتبر النص المعروف لدى العلماء باسم (شرف الدين ٤٢) والذي عثر عليه حديثًا، ويعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد. . هو أقدم نص أثري عن اسمها، فقد جاء فيه أن الملك شمر يهرعش أمر قواته بغزو أرض ملك «أو مالك» ملك أسد، فتقدمت نحوها، واتجهت نحو أرض قطوف «أي القطيف»[٢].

(١) العرب قبل الإسلام، ج١، ص ١٤١.
(٢) المفصل، ج٢، ص ٥٥٠ـ ٥٥١.

ولعل لفظ القطيف اتخذ صيغته العربية على هذا النحو منذ أن نزحت القبائل العدنانية إلى هذه المنطقة، فطورته حسب لغتها، ولا يبعد أن يكون هذا الاسم - كما يذهب علماء الآثار - منقولاً عن اسم قديم مجهول الأصل، فتاريخ هذه المنطقة ضارب في القدم، يمتد إلى آلاف السنين، فمن ثَمَّ نجد أسماء قديمة لبعض قراها لا تزال مجهولة المعنى والمبنى، كسيهات والجش والتوبى وتاروت وسنابس، ولها نظائر من الأسماء الخليجية لا يعرف معناها كقلهات وصور وعراد وتوبلي وغيرها.

ومن المحتمل أن القبيلة KATTI أو CHATENI التي ذكرها الجغرافيون الإغريق[1] قد أعطت اسمها للمنطقة، وهنا نجد التقارب بين لفظتي الخط والقطيف، وتكاد تكون تلك الكلمة قاسمًا مشتركًا بينهما، إذ أن هذين الاسمين كان يطلقان على المنطقة الساحلية بأسرها.

كما أن من أسمائها لينتي LEANITAI وهي أرض القطيف كما يذهب إليه كلاسر، وهو كذلك اسم لقبيلة كانت تسكن هذه المنطقة وهي فرع من اللحيانيين على رأي شبرنكر وكلاسر[2].

ويذهب الدكتور عبدالوهاب عزام إلى أن هذا الساحل كان يسمى القطيف قبل أن يغلب عليه اسم الخط، وقد عرفت أيضًا مدينة باسم الخط بناها اردشير بن بابك (٢٢٦ - ٢٤١م) في هذه المنطقة، واشتهرت به حتى بعد ظهور الإسلام، فقد جاء في أخبار الردة: أن الحطم بن ضبيعة استغوى الخط وما فيها من الزط والسبابجه[3].

والقطيف كانت تعنى فيما مضى الساحل الغربي من الخليج العربي، فهي مرادفة لكلمة الخط، وكان هذا الخليج يسمى بحر القطيف، كما يذكر صاحب التعريفات

---

(١) العرب قبل الإسلام، ج١، ص ١٤٠.
(٢) المصدر السابق، ج٣، ص ٣٨١.
(٣) الطبري، ج٢، ص ٥٢١.

الشافية، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول بأن هذه المناطق الواقعة على الضفة الغربية من الخليج العربي كانت كلها ملحقة بالقطيف، باعتبارها المدينة المهمة الوحيدة على هذا الساحل في ذلك الحين.

وقد تعرَّض اسمها للتقلّص في فترات من أدوار تاريخها، فكانت في عهد العيونيين تعني المنطقة التي تمتد من صفوى إلى الظهران، كما ورد في شعر ابن المقرب.

والخط من صفواء حازوها فما أبقوا بها شبراً إلى الظهرانِ

حيث ذكر شارح الديوان بأن الخط هي القطيف وصفواء طرفها الشمالي والظهران طرفها الجنوبي[1]، وقد عد لوريمر قبل ثمانين سنة مدينة الدمام التي كانت قرية مهجورة ضمن قراها[2]، وكانت تابعة للقطيف حتى بعد منتصف القرن الرابع الهجري[3].

ثم مازال اسم القطيف يتعرض مدلوله للمد والجزر، حتى اقتصر أخيراً على الواحة بما فيها من مدن وقرى، والتي تمتد من صفوى وأم الساهك شمالاً وسيهات جنوبًا والآجام غربًا وجزيرة تاروت شرقًا والواحات الصغيرة المتاخمة لها.

تكوينها الجيولوجي

يقرر الجيولوجيون أن شبه الجزيرة العربية كانت فيما مضى متصلة بالقارة الافريقية، وقد تصدعت تلك القارة، فانفرج منها شق ضخم، يمتد من الشمال إلى الجنوب، وتحول إلى واد عميق، ثم ما لبثت مياه البحر في العصر الثلاثي[4] TER-TIARY أن اكتسحت ذلك الجزء المنخفض، فتكون منه البحر الأحمر، وقد نشأ من

---

(١) ديوان المقرب، ص ٦٣٨.

(٢) دليل الخليج، ج ٥، ص ١٨٨١.

(٣) المعجم الجغرافي، ج ٣، ص ١٠٠٨.

(٤) يتألف العصر الثلاثي من العصر الأيوسيني EOCENE (٦٠ مليون سنة) والعصر الأليجوسيني OLIGOCENE (٤٠ مليون سنة) والعصر الميوسيني MIOCENE (٣٠ مليون سنة) والعصر البليوسيني PLIOCENE (١٢ مليون سنة).

جراء ذلك الانفصال ضغط كبير من شبه جزيرة العَرب، فتكونت منه جبال زاجروس الإيرانية، التي توازي الخليج العربي، ثم تعرض هذا الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية إلى هبوط مستمر، وخضع إلى عمليات ترسيب عديدة، وتناوبها الغمر والانحسار في فترات متعاقبة، وكان للتقلبات الجيولوجية وتناوب الغمر والانحسار، التي غلّفت بقايا الحيوانات والنباتات أبعد الأثر في تكوين حقول الزيت.

وتتألف ثلثا هذه المنطقة من طبقات رسوبية، تحوَّلت على مرور الزمن بفعل الضغط والانصهار إلى طبقات صخرية، بعضها فوق بعض، وتتكون هذه الطبقات من أحجار طينية أو كلسية أو جيرية، وتكثر هذه الصخور في الأراضي التي وجد فيها البترول.

وحقول الزيت تقع في نطاق الصخور الرسوبية الأيوسينية والكريتاسية[١] والجوراسية[٢]، ومن الملاحظ أن تلك الطبقات الأقدم قد توجد فوق الطبقات الأحدث منها، كطبقة العصر الأيوسيني التي تعود إلى ٦٠ مليون سنة، حيث نراها فوق طبقتي العصر البليوسيني والميوسيني نتيجة للتقلبات الجيولوجية، التي جعلت عاليها سافلها.

أما المياه الجوفية فتكمن في طبقات من الصخور الجيرية والأيوسينية القريبة من سطح الأرض نوعًا ما، وهي تختزنه في هذه الطبقة، التي تعود إلى العصر الأيوسيني، وتظهر على شكل ينابيع غزيرة، لتشقق الصخور التي تعلو الطبقة الأيوسينية الحاملة للمياه، وتتفجر الينابيع أثناء الحفر وأحيانًا تظهر على سطح الأرض، كالينابيع البحرية التي يستقي منها الغواصون.

أما المياه القريبة من سطح الأرض فيبدو أنها نتيجة تسرب سيول الأمطار المتحدرة من أعالي نجد وأوديتها، بعد أن تغور في الرمال، ثم تظهر قريبة من سطح

(١) CRETACENE ويسمى الطباشيري ويعود إلى ١٣٠ مليون سنة.
(٢) JURASSIC عصر يعود إلى ١٧٠ مليون سنة.

الأرض إلى الشرق من منطقة الصمان، وتشكل أحْسَاء، ومنها جاءت كلمة الأحساء وهي جمع حسي، وهي التي تمد الآبـار القليلة العمق في منـطقة القطيف والأحساء وصحراء البيضاء بالماء.

وواحة القطيف غنية بهذه الينابيع وبالطبقات التي تختزن المياه، كما أنها تقع على بحر من الزيت، يمتد من الشمال إلى الجنوب، وتجثم على هذا الحقل المعروف بحقل القطيف وفقًا لما تحدده الخرائط الجيولوجية الرسمية.

سطحها الطبوغرافي

تتكون تربة الواحة الخصبة من مواد رملية وطينية سمراء، وهي لاتزيد في عمقها على بضعة أمتار، تليها الطبقات الصخرية المؤلفة من الحجر الجيري الدلومي، التي تختـزن المياه الجـوفية، وتبرز في بعض المواضع الطبقة الصخرية على شكل هضبات صغيرة، وفي الأغلب تستوي مع سطح الأرض، كما تشاهد في عدد من المواقع التي تقـوم عليهـا القـرى المنتشرة في الواحة، وقد لوحظ أن تلك المواقع الصخرية تتخذ للمجمعات السكنية ومقرًّا لأهل القرية قديمًا، لارتفاعها ونقائها من الرطوبة التي تزخر بها الأراضي الـزراعية، ولعله روعي ذلـك عند تأسيسها، لتكون بعيدة عن رطوبة الواحة. والناظر إليها من الجو تتراءى له هذه القرى وكأنها بقع بيضاء منثورة على بساط أخضر.

أما من الناحية الغربية من الواحة، فتختلط تربتها بالرمال الزاحفة عليها من صحـراء البيضـاء، وتشاهد التلال الرملية الصفراء على مقربة منها، وهي غير ثابتة مستقرة، إذ نراها تنتقل من محل إلى آخر، متجهة نحو الجنوب، بفعل الرياح الشمالية العاتية، وأحيانًا تزحف على الواحة، فتغطي مساحة كبيرة من بساتينها، حتى لا يرى إلا كرانيف النخل، ولكنها ما تلبث أن تنحسر عنها في سنوات قليلة، لتنتقل إلى مواضع أخرى ميممة شطر الجنوب.

أما من الناحية الشرقية فتقع الواحة على امتداد الساحل مباشرة، وكأنها شريط أخضر يمتد من الشمال إلى الجنوب، وتلقى فضلات مياهها في البحر، فإذا كان المد دخلت مياه البحر إلى تلك المصارف، مما كان له أسوأ الأثر على خصوبة الأراضي الزراعية الساحلية، وإذا كان الجزر انحسرت مياه البحر لمسافات شاسعة، وكونت فضلات المياه أخوارًا[1] أشبه كثيراً بالأنهار الصغيرة في الأراضي البحرية.

وترتفع أراضيها الساحلية عن سطح الأرض بضعة أقدام وتتدرج في الارتفاع حتى تصل في الجهة الغربية إلى ١٠ أو ١٢ مترًا فوق سطح البحر ويتراوح المد والجزر على سواحلها مرتين في اليوم، ويبلغ المد أقصى ارتفاعه مرتين في الشهر القمري، في أوله[2] وفي منتصفه حتى يحاذي أراضيها الساحلية على ارتفاع ثلاثة أمتار، وإذا كان الجزر تحوَّلت تلك الأراضي البحرية الموحلة إلى مزرعة تزخر بالنباتات، واستخدمت المواصلات البرية بينها وبين جزيرة تاروت في الأيام السالفة.

وخليج القطيف غير صالح لرسو السفن الكبيرة التي يزيد غاطسها على ستة أقدام، ولا تستطيع حتى في حالة المدّ الدخول إلى المرسى الداخلي سابقًا، وتمتد الشعب الصخرية في البحر في اتجاه المدينة لمسافة عشرة أميال.

وتقع في هذا الخليج جزيرة تاروت، التي تبعد عن القطيف سابقًا بثلاثة أميال، والتي تقدر مساحتها بأربعة أميال طولاً ومثلها عرضًا، وهي لا تختلف في طبيعة أرضها عن الواحة كما توجد على بعد ميلين عن القطيف جزيرة صغيرة، أقيم عليها برج، يدعى «أبو الليف» يرجع بناؤه إلى عهد البرتغاليين، وقد بني ليكون مركزًا دفاعيًا.

---

(١) جمع خور بفتح أوله. . المنخفض من الأرض بين نشزين، وقد اصطلح سكان الخليج على تسمية المجرى في الأراضي البحرية بالخور، وهو قريب من أصله اللغوي.

(٢) أقصى المد في أول الشهر، ويسميها البحارة «مية الهلال».

أما في الوقت الحاضر وقبل عشر سنوات تقريبًا فقد تغيرت خارطة المدينة، فبعد أن كانت قلعة تحتل رقعة صغيرة يحيط بها سور، وتحف بها بعض الأحياء الصغيرة في شريط ساحلي صغير تكتنفه النخيل من كل جانب عدا جهة البحر الموالية للقلعة، حيث كانت أمواج البحر ترتطم بجدران سورها... أخذت المدينة في الاتساع فالتهمت البساتين المجاورة، ثم امتدت إلى الناحية البحرية في الشرق والشمال، وسرقت المساحات الشاسعة في خليج كيبوس حتى اتصلت بجزيرة تاروت. وكذلك الأمر بالنسبة لبقية المدن والقرى.

المنـــاخ

وكان لوقوع مدينة القطيف على الساحل مباشرة من الجانب الشرقي، والتفاف الصحراء القاحلة حولها من الجوانب الأخرى.. أثر كبير في تكوين مناخها، فعندما تهب الرياح الشرقية من البحر، والرياح الجنوبية المشبعة بالرطوبة، والتي تفد إليها من خليج العقير ترتفع نسبة الرطوبة في مناخها حتى تصل إلى ٩٠٪ في فصل الصيف، وتبعًا لذلك ترتفع درجة الحرارة وتصل إلى ٤٤ درجة مئوية، ويكون الطقس مزعجًا، وتصل الحرارة إلى أقصى درجاتها خلال الفترة التي تمتد من منتصف يونيو حتى منتصف سبتمبر، أما في فصل الشتاء فتنخفض الحرارة ليلاً إلى خمس درجات مئوية، وقلما تصل إلى الصفر، أما أثناء النهار ففي الغالب تتراوح درجات الحرارة ما بين ٢٥ و١٨ درجة مئوية.

ويتأثر المناخ من ناحية الحرارة والبرودة بتغير اتجاه الرياح تأثرًا كبيرًا في فصلي الشتاء والصيف وأثناء الليل والنهار، فإذا هبت الرياح الشمالية أو الغربية الوافدة من الصحراء تخف نسبة الرطوبة إلى درجة كبيرة، وتنخفض حدة الحرارة في فصل الصيف، ويكون المناخ محتملاً، كما تزداد نسبة البرودة في فصل الشتاء، فيكون البرد قارسًا، وبالعكس حينما تهب رياح الكوس يكون المناخ دافئًا.

وتهب عليها رياح موسمية حارة خلال شهري مايو ويونيو، تعرف بالبوارح[1]، وتحمل معها الأتربة والغبار، ولها تأثير كبير على نضج البلح[2]، أما الرياح الاعتيادية فلها مسميات أخرى، فالرياح التي تهب منذ طلوع الشمس من الشرق، والمعروفة في اللغة العربية بالصَّبا والقبول، أو من الجهة الجنوبية والتي تعرف ـ لغةً ـ بالجنوب. . تسمى كلها «الكوس» محليًا، وهي دافئة تحمل نسبة كبيرة من الرطوبة، أما التي تهب من ناحية الشمال فتسمى شمالاً، وهي جافة في فصل الشتاء، ملطفة للجو في فصل الصيف، وهناك الرياح الغربية، التي تسمى «الدبور» في اللغة، وتفد من الصحراء أثناء الليل وتستمر حتى الصباح، وتكون جافة عليلة الأنسام. أما ريح الكباء المتغيرة الاتجاه، فغالبًا ما تهب عند خروج الشتاء، أو أثناء فصل الربيع وتضايق الملاحين، وربما سببت لهم كوارث. ـ

ويحل موسم الأمطار خلال فصل الشتاء بشكل متقطع ولا يتجاوز معدله في الأغلب ٢,٤٧ بوصة، وقد يزيد هذا المعدل أضعافًا في بعض السنوات، كما يحدث هطول الأمطار خلال شهري نوفمبر وديسمبر، وأحيانًا في شهري مارس وإبريل على نحو الندرة، فتؤثر على طلع النخيل وثمار الأشجار والمحاصيل الزراعية، فتسبب لها أضرارًا.

مدن الواحة وقراها

لو ألقينا نظرة من الجو على واحة القطيف ومدنها وقراها لتراءى لنا شريط أخضر، يمتد على الساحل من الجنوب إلى الشمال، ووجدنا كتلاً بيضاء تتخلل هذا الشريط، تارة تكون على مقربة من الشاطىء وتارة متناثرة في وسطه، ونرى إلى الشمال من هذا الشريط قطعة منفصلة منه وأجزاءً أخرى صغيرة متفرقة من الناحية الغربية، وقطعة أخرى تتوسط خليج كيبوس، وتقع في الجهة الشرقية.

---

(١) جمع بارح كما وردت في كتب اللغة، وقد ذكرها الشاعر ابن المقرب أيضا في شعره:

ولا خضت أمواج البحار كأنها جبال ترامى لي جنوب وبارح

(٢) ثمار النخل، وتعجل هذه الرياح بإنضاج البسر.

أما الشريط الأخضر فهي الواحة ببساتينها الغناء وظلالها الوارفة وأنهارها الجارية، وأما البقع البيضاء التي تختلف في كبرها وصغرها، والتي تتخلل هذا الشريط فهي مدنها وقراها، حيث تقع سيهات على الساحل في الطرف الجنوبي، تليها عنك، ثم مدينة القطيف، أما القرى فتقع في قلب الواحة وهي الملاحة والجش وأم الحمام وحلة محيش والجارودية والخويلدية والتوبي والبحاري والقديح والعوامية، وأما الجزء المنفصل فهي مدينة صفوى وواحتها والتي تفصلها عن الشريط سبخة صفوى، وتقع إلى الغرب بعض الواحات الصغيرة كأم الساهك وأبو معن والدريدي ومشعاب والأجام وغيرها. وأما الجزء العائم في وسط البحر فهي جزيرة تاروت، والتي تحولت إلى شبه جزيرة في الوقت الحاضر.

١ - مدينة القطيف

تعتبر هذه المدينة من أعرق المدن التاريخية، وإذا أطلق عليها اسم القطيف فهو من قبيل إطلاق اسم الكل على البعض، كما يطلق اسم الشام على دمشق ومصر على القاهرة، فهذا الاسم يشمل جميع الواحة بما فيها من مدن وقرى، شأنه شأن اسم الخط الذي يطلق على المنطقة الساحلية بأسرها وعلى هذه المدينة بالذات، وذكر الطبري بأن اردشير بن بابك (٢٢٦ - ٢٤١م) مؤسس الدولة الساسانية قد بنى مدينة بهذا الموقع، وسماها (فسا اردشير)[١] وهي من جملة المدن التي بناها للتحصينات العسكرية، وأعتقد أنها هي القلعة نفسها، وتقول الرواية الفارسية أن اردشير ابتنى هذه المدينة وسماها (بتن اردشير)، لأنه بنى سورها من جثث أهلها الذين شقوا عصا الطاعة، فجعل سافًا من السور لبنًا وسافًا جثثًا[٢]، وقد شاهدنا ونحن صغار بعض الجماجم في قلب الجوانب المنهارة من السور، وسألنا كبار السن، فأخبرونا بأن السور بني بجثث الأحياء. وهذا الخبر مصداق للرواية الفارسية، وهي تدل على أن تلك المدينة هي القلعة ذاتها، وكما

(١) الطبري، ج١، ص ٤٨٠.

(٢) المفصل، ج٢، ص ٦٣٣.

توحي بذلك الأسماء التي علقت بها حتى قبل أن تهدم[1] فالدروازه اسم فارسي كان يطلق على كل بوابة فيها، كما أن اسم الخان الذي هو بمعنى النزل أو بيت الضيافة كان يطلق على أحد أحيائها، وهو الواقع في الجهة الغربية منها، ويبدو من تخطيطها السابق أن البلاط الملكي كان يحتل الرقعة الجبلية التي تتوسط القلعة يليه في الجانب الغربي الجنوبي قصور الضيافة (حارة الخان)، كما تقع حظائر المواشي في الجهة الغربية الشمالية (حارة الزريب)[2]، وتحيط بالبلاط الملكي الحدائق الغناء ودوالي العنب[3] بدءًا من مجرى (الكريدي)[4] المجاور لجامع المنارة وانتهاءً بفريق الوارش في الجهة الشمالية.

وقبل أن تتحول تلك القلعة إلى مقر لسكنى الأهالي كانت تستخدم مخزنًا للعطور والتوابل وأنواع البضائع الواردة لها من جزيرة تاروت وتسمى (جبارو JIPARRO)، ثم استأثرت بالسكنى لمناعتها، وأصبحت حاضرة لمنطقة القطيف، وكان لها سور منيع، يرجع بناؤه إلى عهد بعيد، وقد وصفه أبو الفداء الذي عاش في القرن الثامن الهجري طبقًا للصورة التي رأيناها[5]، وقد جُدِّد بناؤه في عهد السلطان سليم الثاني في غرة المحرم سنة ٩٦٨هـ كما تخبرنا لوحة حجرية، وجُدِّد بناؤه أيضًا في عهد أحد ولاة الأتراك (علي باشا) سنة ١٠٣٩هـ، كما تذكر اللوحة الحجرية التي كانت معلقة بدروازه

(١) انتزعت ملكيتها، وأزيل منها ثلاثة أحياء، وهي فريق الخان وفريق السدرة وفريق الوارش، وبقي الحي الرابع وهو فريق الزريب، حيث ألحق بدائرة الآثار والمتاحف، وكنا نود لو بقيت القلعة بأسوارها وأبنيتها ومنارتها والجامع القديم وأصلح ما تهدم من تلك الآثار وجعلتها الدولة مرفقًا سياحيًّا على غرار القلاع الأثرية.

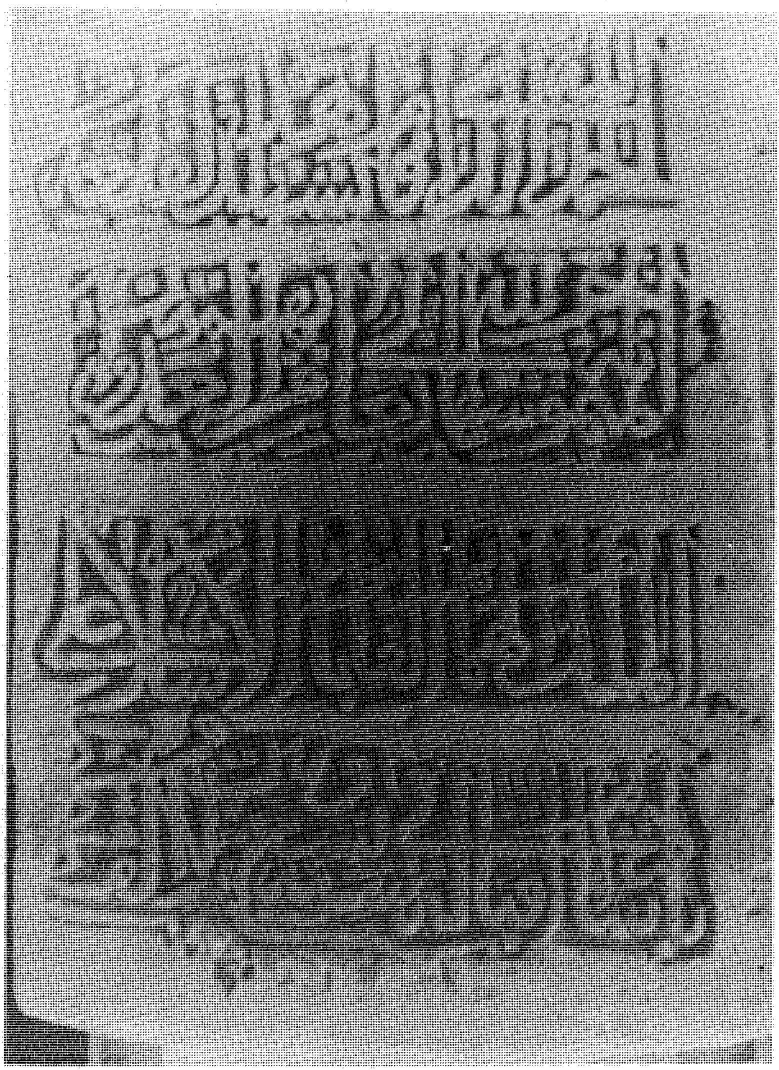
(٢) الزريب تصغير زرب: حظيرة المواشي.

(٣) جمع دالية، ويطلق على كل بستان داخل القلعة، وربما كانت في الأصل مزارع عنب، وتتميز أرضها بالخصوبة ولا تحتاج إلى تسميد، وكانت تملكها بعض العائلات في عهدنا كآل الشماسي وآل المسلم وآل السنان وآل أبي السعود.

(٤) هو المجرى الأصلي، ويرفد الماء إليه خلال قناة تخترق جدار السور من ساب الدويج، ويسقى بساتين القلعة مرتين في الأسبوع مرة صباح يوم الخميس والأخرى ليلة الثلاثاء، وقد شاهدنا بعض النخيل بجواره كانت قائمة.

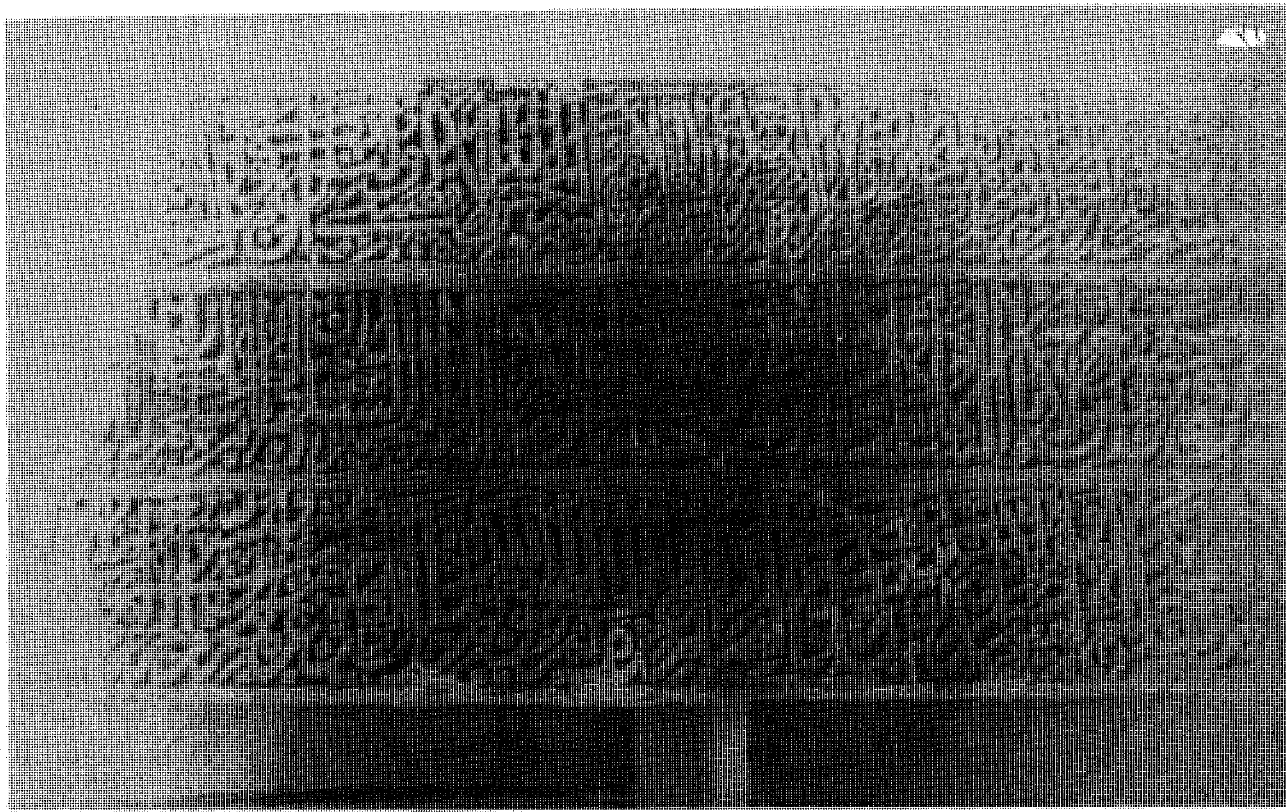
(٥) ساحل الذهب الأسود، ص ٤٤.

باب الشمال وأُرِّخت بحساب الحروف بكلمة (محفوظة)[1]، وكان بالقلعة أحد عشر



لوحة حجرية موضوعة بأعلى دروازة باب الشمال بالقلعة تحتوي على تاريخ تجديد بنائها سنة ١٠٣٩هـ.

(١) وهي بخساب الحروف م ٤٠ + ح ٨ + ف ٨٠ + و ٦ + ظ ٩٠٠ + هـ ٥ = ١٠٣٩هـ.



لوحة حجرية كانت مثبتة بأعلى مدخل المنارة تحتوي على تاريخ بناء الجامع في غرة المحرم سنة ٩٦٨هـ.

مسجدًا وأشهرها مسجد جامع المنارة ومسجد الراجحية ومسجد الخان ومسجد البرودة وأقدمها جامع المنارة الذي يرجع بناؤه إلى القرن الثامن الهجري كما تخبرنا لوحة حجرية كانت مثبتة بمدخل منارته التي يبلغ علوها ٣٠ مترًا[١].

وكانت مدينة الخط معروفة حتى بعد ظهور الإسلام، كما تحدثنا به أخبار الردة[٢]، وتسمى أيضًا الفرضة، وكان يسكنها بنو عامر بن الحارث بن عبدالقيس كما يذكر ياقوت الحموي ولعل مركز الثقل انتقل إليها بعد أن دمرت عاصفة هوجاء مدينة القطيف القديمة، التي كانت تبعد عن الساحل بمسافة كبيرة، فانتقل سكانها إلى هذا الموقع، الذي يسمى بمحلة الصيادين سابقًا، فعمروه وأرخوا هجرتهم بكلمة «حجرة» أي سنة ٢١٦هـ[٣]، ثم تركزت هجرة السكان فيها بعد تدمير الزارة[٤]، أي سنة ٢٨٣هـ، فغدت حاضرة لمنطقة الواحة بأجمعها.

ولمدينة القطيف مدخلان رئيسيان، أحدهما في الناحية الجنوبية وهو الذي يتجه إلى الدمام مارًا بعنك وسيهات، وثانيهما من الناحية الشمالية يخترق الواحة مارًا بالعوامية وصفوى باتجاه رأس تنورة والجبيل، كما يوجد لها طريق ثالث يتجه غربًا حيث يتصل بالطريق الصحراوي السريع وهو المؤدي إلى قرية الآجام.

ومدينة القطيف تتألف من عدد من الأحياء القديمة والحديثة، متصلة بعضها ببعض فالأحياء القديمة كانت تعتبر سابقًا بحكم الضواحي، لوجود فواصل وأسوار

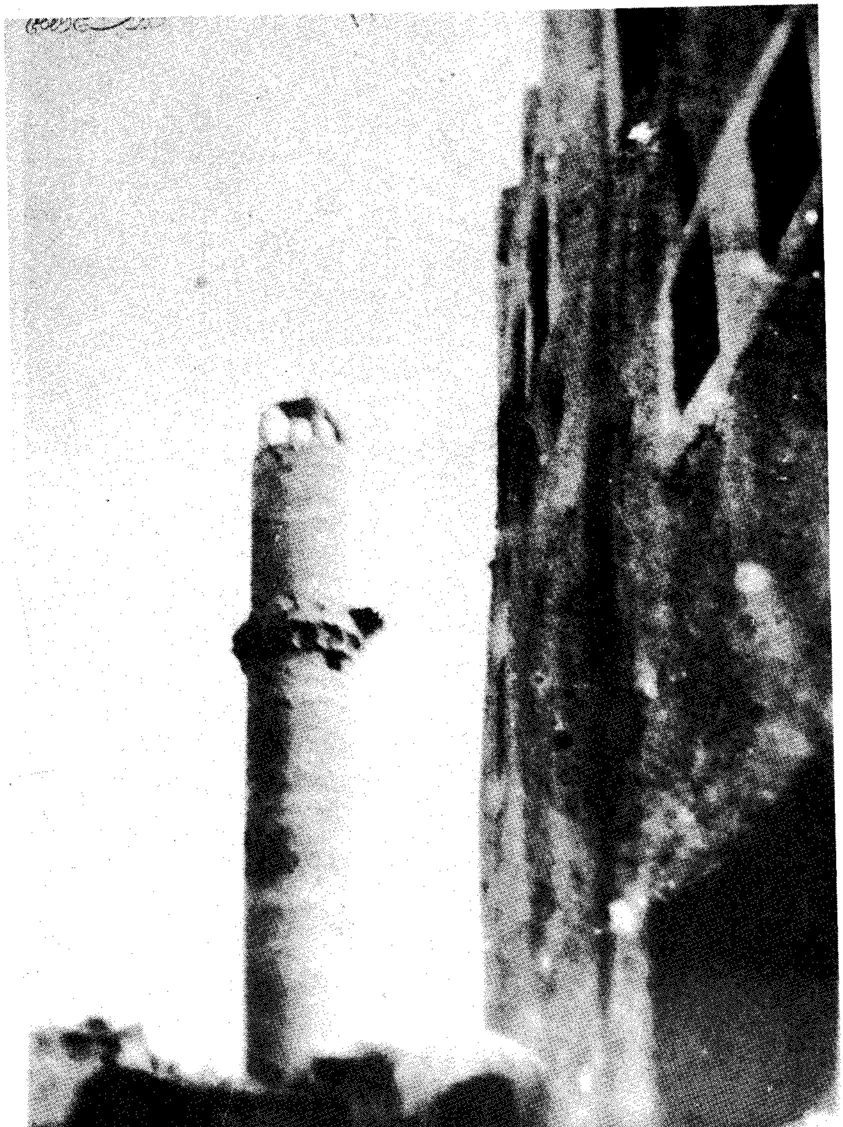
(١) أصيبت بقذيفة مدفع فانبتر جزؤها العلوي سنة ١٨٧١م أثناء الاحتلال التركي فقامت البلدية بتكملة الجزء المتهدم في العهد السعودي، ولكنها أزيلت أخيراً وجدد بناء الجامع واستعمل لإقامة صلاة الجمعة.

(٢) الطبري، ج٢، ص٥٢١، ذكر أن الحطم بن ضبيعة استغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة.

(٣) وهي بحساب الأبجدية ح٨ + ج ٣, ٢٠٠ + هـ ٥ = ٢١٦.

(٤) مدينة الزاره مشهورة في التاريخ الإسلامي وكانت حاضرة القطيف وكانت تقع بالقرب من العوامية وقد خربها أبو سعيد الجنابي نكاية بأهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه.

بينهـا وبين القلعة وهذه الضواحي هي الأحياء الموجودة حاليًّا بمحاذاة شارع الملك عبدالعزيز وهي الشويكة والدبابية والكويكب والشريعة ومياس والمدارس، والجراري وباب الشمال، وجميعها في منطقة الشرق.



المنارة القديمة بالجامع بالقلعة.



محراب مسجد الراجحية بالقلعة.

أما الأحياء الجديدة فقد امتدت من جميع الجهات، لاسيما في الناحية البحرية وقد كان للانفجار السكاني بالإضافة إلى ازدهار الوضع الاقتصادي وإنشاء صندوق التنمية العقارية ومشروع تملك البيوت في أرامكو أكبر الأثر في امتداد العمران وانبثاق الأحياء الجديدة، فالتهم العمران البساتين المجاورة في أول الأمر، الشيء الذي دعا المسئولين إلى أن يضعوا له حدًا، خشية على التهام الرقعة الزراعية، فعمدوا إلى شق شارع المحيط غربًا لتحديد الرقعة المسموح بها في البناء فانبثقت أحياء جديدة باسم البساتين التي التهمها العمران، كحي البستان والبديعة، وباب الساب والشماسية والوسادة والمدني والدوبج والجعيلي والشبيب والحر والفلاتية والإمارة وغيرها وحين ضاقت تلك الرقعة عن استيعاب حركة العمران عمدت الدولة إلى دفن البحر، فنشأت مناطق جديدة، كالمنطقة البحرية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والدخل المحدود بالإضافة إلى مناطق بحرية أخرى دفنت وهي في طريقها إلى العمران، كالمزروع وحي الحسين والناصرة والمنيرة ومشاري والتركية، حيث اتصلت بجزيرة تاروت.

وتعتبر مدينة القطيف المركز الإداري لجميع مدن الواحة وقراها، ففيها فروع لوزارة الداخلية كالإمارة[١] والشرطة[٢] والمرور[٣] والدفاع المدني[٤] والأحوال المدنية [٥] وفروع لوزارة العدل، كالمحكمة الشرعية الكبرى والمحكمة المستعجلة[٦] ومحكمة الأوقاف والمواريث[٧] وكاتب العدل وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفروع لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية كمركز الخدمة الاجتماعية[٨] ومكتب الضمان الاجتماعي[٩] وفروع لوزارة الصحة كمستشفى القطيف التخصصي[١٠] ومستشفى القطيف العام[١١] والمعهد الصحي لتخريج الممرضات[١٢]، وفروع لوزارة الزراعة والمياه كفرع الوزارة[١٣] ومشروع التحسين الزراعي[١٤] والبنك الزراعي[١٥] ومركز الأبحاث

---

(١) تأسست حين دخولها في الحكم السعودي، وتعاقب على إمارتها حتى الآن (١٢) أميراً أولهم عبدالرحمن السويلم ثم ابنه محمد ثم عبدالله الثنيان ثم عبدالرحمن بن خير الله ثم محمد بن بتال ثم سليمان الثنيان ثم مشاري بن ماضي ثم عبدالعزيز بن ماضي ثم ناصر السديري ثم حمود البقعاوي ثم عبدالرحمن الثنيان ثم الأستاذ محمد الشريف.

(٢) تأسست عام ١٣٥٧هـ ويتبعها شرطة صفوى وسيهات وتاروت.

(٣) تأسست عام ١٣٨٢هـ ولها مراكز في كل من صفوى وسيهات وتاروت والبداراني.

(٤) تأسست عام ١٣٨٠هـ ولها فروع في صفوى وتاروت والجش والعوامية وعنك ودارين.

(٥) تأسست عام ١٣٦٤هـ وتختص بإصدار حفائظ النفوس.

(٦) تأسست عام ١٣٧٥هـ.

(٧) تأسست عام ١٤٠٠هـ.

(٨) تأسس عام ١٣٨٢هـ ويشرف على الجمعيات الخيرية والتعاونية.

(٩) تأسس عام ١٣٨٣هـ.

(١٠) افتتح عام ١٤٠٧هـ وهو تحت التشغيل وطاقته ٤٠٠ سرير.

(١١) تأسس عام ١٣٧٥هـ وطاقته مائتا سرير ويتبعه عشرون مركزًا صحيًا بالإضافة إلى مستشفى صفوى.

(١٢) تأسس عام ١٤٠٤هـ.

(١٣) تأسس عام ١٣٨٢هـ.

(١٤) تأسس عام ١٣٩٦هـ.

(١٥) تأسس عام ١٣٨٣هـ.

الزراعية[1] ومكتب الثروة السمكية[2]، وفروع لوزارة البرق والبريد والهاتف والتلكس[3]، كما يوجد فيها مركز للتوجيه التربوي[4] يشرف على المدارس التابعة لوزارة المعارف، ومندوبية تابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات[5] ودائرة لأملاك الدولة، ودائرة للبلدية[6] وأخرى لمصلحة المياه والمجاري[7] هذا بالإضافة إلى مكتب الهلال الأحمر السعودي ومكتب رعاية الشباب[8] الذي يشرف على الأندية الرياضية في منطقة القطيف.

كما يوجد مركز للتدريب المهني ومعهد للمكفوفين ومدارس للبنين منها ١١ مدرسة ابتدائية و٣ متوسطة ومدرستان ثانويتان عامتان ومدرسة ثانوية تجارية، ومدارس لتعليم البنات، منها ١٢ مدرسة ابتدائية و٣ متوسطة ومدرستان ثانويتان ومعهد تمريض وآخر للخياطة، كما يوجد فيها نادٍ رياضي ثقافي وجمعية خيرية وجمعية تعاونية وخمس مدارس رياض للأطفال، وتتركز فيها أيضًا الحركة التجارية، حيث يوجد فيها عدد من فروع البنوك التجارية كبنك الرياض والأهلي التجاري والبنك العربي الوطني والبنك السعودي البريطاني والبنك السعودي الفرنسي والبنك السعودي الهولندي وبنك القاهرة

(١) تأسس عام ١٣٨٣هـ.
(٢) تأسس عام ١٤٠٠هـ.
(٣) تأسس عام ١٣٥٥هـ وله عدة فروع.
(٤) تأسس عام ١٤٠٦هـ.
(٥) تأسست عام ١٣٨٣هـ وتشرف على المدارس التابعة لها في القطيف.
(٦) تأسست بلدية القطيف عام ١٣٤٦هـ وتتبعها فروع في صفوى وسيهات وتاروت والقديح وعنك وأم الحمام.
(٧) تأسست عام ١٤٠١هـ.
(٨) تأسس عام ١٣٨٣هـ أما النوادي الرياضية فهي نادي الترجي بمدينة القطيف ونادي مضر بالقديح ونادي الخليج بسيهات ونادي الصفا بصفوى ونادي النور بسنابس ونادي الهدى بتاروت ونادي الجزيرة بدارين ونادي الخويلدية ونادي الابتسام بأم الحمام ونادي الساحل بعنك ونادي المحيط بالجارودية ونادي السلام بالعوامية أما نادي البحاري ونادي التوبي ونادي الأزهر بحلة محيش ونادي الزهور بالملاحة فيشرف عليها مركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.

السعودي وعدد من مكاتب الصرافة كما يوجد فيها عدد من الورش والمصانع للحدادة والألومنيوم والطابوق والبلاط والخلطة الجاهزة.

٢ ـ سيهات

بفتح السين، وهو من الأسماء القديمة، كقدم تاريخ هذه المنطقة وله نظائر من أسماء البلدان في الخليج العربي كقلهات وبنكات، وهي تقع على الساحل مباشرة على طريق الدمام وعلى بعد ٨كم من مدينة القطيف، وقد أكسبها موقعها استراتيجية مهمة، فنمت نموًّا سريعًا فانتشر فيها العمران، وتحولت هذه القرية إلى مدينة كبيرة، حتى اتصلت من الناحية الجنوبية بالدمام بعد دفن البحر، أما من الناحية الشمالية فاتصلت بعنك، وفي الجهة الغربية تقع سيحتها المسماة باسمها، فتحميها من رمال الصحراء[١].

وبحكم موقع هذه البلدة كان لها تاريخ سياسي حافل، لا سيما في القرن الثالث عشر الهجري، وكانت من المدن المهمة المزدهرة منذ القدم، وقد تغنى بها الشاعر جعفر الخطي المتوفى سنة ١٠٢٩هـ.

هلا سألت الربع من سيهات	عن تلكم الفتيان والفتيات
ومجرَّ أرسان الجياد كأنها	فوق الصعيد مسارب الحيات
حيث المسامع لا تكاد تفيق من	ترجيع نوتيّ وزجر حداة

وحتى في أوائل هذا القرن كانت مزدهرة اقتصاديًّا، فقد وصفها لوريمر[٢] بأنها أغنى منطقة في الواحة، تملك ثلاثين قاربًا لصيد اللؤلؤ، وبيوتها تتكون من ٦٠٠ منزل، منها ٤٠٠ داخل السور و٢٠٠ كوخ تقع خارجه، وتملك حدائق النخيل.

---

(١) لكل قرية مجموعة من البساتين ملحقة بها، تسمى سيحة (لريها سيحا من العيون) ولا تفصلها عن السيحة الأخرى إلا فواصل وهمية، وهذا الاصطلاح متعارف عليه حتى في السجلات الرسمية للدولة.

(٢) دليل الخليج، ج٥، ص ١٨٨٥.

وفي أيام ازدهارها كانت تلحق بمركزها جملة من القرى كالظهران، وقد سمعت عن وثيقة قديمة تتضمن تملّك أحد مواطنيها نخلاً بالظهران وموقّعة من قاضيها التابع لسيهات.

غير أن هذه المدينة ضعفت أخيراً بفعل الغارات المتتالية عليها، التي شنها الغزاة فتحولت إلى قرية فيما بعد، ولكنها بعد اكتشاف البترول انتعشت من جديد وازدهرت اقتصاديًا واتسع عمرانها بسبب انفتاحها وقربها من الدمام، وأصبحت من المدن المهمة، ونشأت فيها أحياء جديدة كحي الفردوس وحيّ السلام وحيّ النمر.

وتبعًا لتقدمها العمراني اكتسبت أهمية، فأنشىء فيها مركز للإمارة وآخر للشرطة والمرور والنجدة، وتتبعها أربع قرى في الوقت الحاضر، ومجموع سكانها وصل إلى ٢٢٣٣١ نسمة[١].

وفيها الآن ٤ مدارس ابتدائية للبنين و٣ متوسطة ومدرسة ثانوية كما يوجد فيها سبع مدارس ابتدائية للبنات ومتوسطتان وثانويتان وفيها أيضًا مستشفى حكومي وعدد من المستوصفات والعيادات الأهلية ونادٍ رياضي وثقافي وجمعية خيرية تعتبر من أنشط الجمعيات في المنطقة الشرقية وروضة أطفال ومطبعة وفرع لبنك الرياض وفرع للبنك العربي وفرع لصرافة الراجحي وفيها حركة تجارية نشيطة ومقاولون ورجال أعمال وعدد من الورش والمصانع لعل أهمها مصنع للورق والنايلون ومركز للشرطة والمرور والبريد والبلدية.

٣ ـ عُنَك:

بضم أوله وفتح ثانيه وهو من الأسماء المرتجلة كما يقول ياقوت الحموي أي التي لاترجع إلى اشتقاق لغوي، ويبدو أنه من الأسماء الكنعانية الموغلة في القدم كسيهات،

(١) احصاء عام ١٣٩٤هـ، وقد تضاعف هذا العدد فيما بعد.

وتاروت وتوبى وغيرها من الأسماء القديمة التي حافظت على صيغها الأصلية، والتي لها نظائر في القطيف ومنطقة الخليج.

وعُنك مدينة قديمة تقع على البحر مباشرة، وتحيط بها الواحة من جميع جهاتها الأخرى، وكانت تتمتع بشهرة تاريخية، ذكرها المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف[١] فوصفها بأنها من مدن القطيف وفيها يقول الراجز:

طعن غلام لم يجئك بالسمك ولم يعلل بخياشيم عنك

كما ذكرها الشاعر جعفر الخطي:

فسقى الغمام إذا تحمل ركبه تلك الرحاب الفيح والعرصات
واجتازت المزن العشار فطبقت بالسقي من عُنَك إلى بنكات

ويستدل على ما حولها من مرتفعات وآثار عمران قديم على بقايا تلك المدينة المندثرة، كما يوجد فيها قلعة برتغالية على البحر، اتخذها الأتراك مقرًّا لحاميتهم ومركزًا للضبطية تعزيزًا لحاميتهم في القطيف[٢].

ولكن هذه المدينة تضاءل حجمها أخيرًا وتحولت إلى حيٍّ صغير، يتكون من ٢٠ منزلاً تسكنه عائلة العليوات، التي تمتهن صيد الأسماك، وهي كما رأيناها ـ طبقًا لما وصفه لوريمر في أواخر القرن التاسع عشر ـ بحي صغير على الساحل، وخلال أشهر الصيف يقطن بجوارهم بنو خالد وبنو هاجر ومعهم قليل من آل مرة والعجمان[٣]، وعند حلول فصل الخريف يرحلون إلى الصحراء هربًا من الحمى التي كانت منتشرة في القطيف.

---

(١) التنبيه والإشراف، ص٣٤١.
(٢) دليل الخليج، ج٥، ص١٨٨٠.
(٣) المصدر السابق، ج٥/ ١٨٨٦.

وتقع عُنَك على بعد ٦ كم من مدينة القطيف و٥ كم من سيهات إلا أن هذه المسافات تضاءلت هذه الأيام بعد امتداد العمران، فاتصلت بمدينة سيهات، والميل الذي يفصل بينهما وبين مدينة القطيف في طريقه إلى التلاشي، وقد ساعد على انتشار العمران فيها وقوعها على طريق الدمام الرئيسي، بالإضافة إلى الكثافة السكانية من القبائل التي استوطنتها، وعلى رأسهم بنو خالد، وقد كانوا قبلاً يحلون فيها صيفًا هربًا من لهيب الصحراء، وتتحول إلى قاع صفصف خلال بقية فصول السنة، وحين تحضروا امتلكوا أراضيها وعمروها، وأقاموا فيها بصورة دائمة، فابتنوا البيوت والفلل والعمارات كما تطورت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية من بدو رحل يمارسون رعي الأغنام والإبل إلى الاشتغال بالأعمال المدنية من تجارة ومقاولات ووظائف حكومية وأهلية إلى غيرها من الأعمال.

وحين انتشر فيها العمران أقيم فيها مركز للبلدية، وفتحت فيها مدارس للبنات والبنين، ويوجد فيها الآن مدرستان ابتدائيتان للبنين، ومدرسة متوسطة، و٣ مدارس ابتدائية للبنات ومدرسة متوسطة وثانوية. كما يوجد فيها حركة تجارية نشيطة، ففيها عدد من معارض السيارات وفيها مستوصف أهلي وناد رياضي ومركز للبلدية والدفاع المدني والبريد.

٤ - الشويكة:

تصغير شوكة، وكانت قرية مسورة يحيط بها النخيل من كل جانب على بعد كيلومتر من القلعة، وهي كانت كما رأيناها طبقًا لما وصفه لوريمر[١]، تتكون من ٢٠٠ منزل معظمها من الأكواخ، ويعمل أهلها بالفلاحة، كما يوجد فيها بعض أنوال النسيج، وتلحق بها سيحة تسمى باسمها، تروى من السيبان[٢]، وأشهرها ساب أبو خمسة وساب حميدة، وهي القرية الوحيدة التي لا توجد فيها عين.

---

(١) المصدر السابق، ج٥ / ١٨٨٦.

(٢) جمع ساب، وهو نهر صغير ترفده مبازل النخيل التي تسقى من العيون.

أما الآن فقد تغيرت معالمها، وامتد إليها العمران واختلطت بالحاضرة، وأصبحت تشكل الحي الجنوبي لمدينة القطيف، وقد أقيمت فيها العمارات والمتاجر كما يوجد فيها مستشفى القطيف العام.

٥ ـ المَلّاحة:

بفتح الميم وتشديد اللّام منبت الملح كما يقول الفيروزأبادي ولا أعرف من أين علقت بها هذه التسمية، وهي قرية صغيرة محاطة بالنخيل تقع إلى الشمال الغربي من سيهات، ووصفها لوريمر بأنها تتألف من ٥٠ منزلاً مبنية بالطين والحجارة[١]، ثم تدهورت فتضاءلت، ولكنها في السنوات الأخيرة اتسعت فانتشر فيها العمران والتهم البساتين المجاورة دونما تخطيط، وتوجد فيها مدرسة ابتدائية.

٦ ـ الجش:

بكسر الجيم، ولعلَّ صوابها الجش بفتح الجيم كما وردت في معاجم اللغة، وهي مشتقة من جش القوم أي اجتمعوا أو تفرقوا، أو أجش المكان اجتمع نبته وحشيشه. وهذا أقرب إلى معناها، إن لم تكن من الأسماء المرتجلة القديمة وما أكثرها في المنطقة.

وتقع هذه القرية في الطرف الجنوبي الغربي من الواحة على مقربة من المَلَّاحة وأم الحمام، ويخترقها الطريق المؤدي إلى الشارع الرئيسي السريع، وكانت قرية مسورة تتكون من ٢٥٠ منزلاً كما وصفها لوريمر ـ بعضها من الحجارة والطين وبعضها خارج السور، ويوجد فيها ثلاثة ينابيع عذبة بجوار المسجد خارج سور القرية وتحصل على مياهها من ينبوع يسمى كعبة[٢].

(١) المصدر نفسه، ج٥ / ١٨٨٤.
(٢) دليل الخليج، ج٥ / ١٨٨٢.

أما الآن فقد اتسع فيها العمران، فالتهم البساتين المجاورة، ويوجد فيها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة متوسطة، ومدرستان للبنات ابتدائية ومتوسطة وجمعية خيرية وناد رياضي وروضة للأطفال ومركز للدفاع المدني والبريد.

٧ ـ أم الحمام:

بالحاء المهملة، وكانت تسمى إلى عهد قريب بأم الخمام بالخاء المعجمة أو بأم خمام حتى في السجلات الرسمية وكما جاء في كتاب دليل الخليج ويبدو أن هذا الاسم حديث العهد، ولقصة هذه التسمية حكاية، فيقال إن الشعير كان يزرع في أرضها بكثرة، حيث ينقل المحصول إلى القرية، ويدرس على أرضها الجبلية فكانت تتراكم في طرقاتها الأوساخ والقش، فتأوي إليها الحمام لتلتقط الحب المتخلف ولكثرتها سميت بأم الحمام، ولكن البعض استكثر عليها هذا الاسم الجميل، فقال إن هذا الاسم لاتستحقه، وكان أحرى بها أن تسمى بأم الخمام (أي الأوساخ)، فغلب عليها الاسم الأخير، وكان أول من أحيا الاسم الأول أحد علمائها الشيخ منصور المرهون وتمت له الغلبة على تسميتها بالاسم الأول.

وكانت مسورة ـ كما وصفها لوريمر ـ على بعد ٣ أميال في الجنوب الغربي من القطيف، تتكون من ٢٥٠ منزلاً من الحجر والطين، أما خارجها فمن الأكواخ[١]، وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر على حساب البساتين التي حولها من جميع الجهات وأصبحت مترامية الأطراف واتصلت بفريق الزويكية والقوع وهي واقعة على الطريق الريفي. ويوجد فيها ثلاث مدارس ابتدائية للبنين ومدرسة متوسطة وثانوية، ومدرستان ابتدائيتان للبنات ومتوسطة وثانوية وجمعية خيرية وناد رياضي ومركز للبلدية والبريد.

٨ ـ حلة محيش:

اسم مركب من مضاف ومضاف إليه وحلة بكسر الحاء معناها في اللغة المجلس والمجتمع أو مجموعة من البيوت لا تتعدى مائة بيت، ومحيش تصغير محش بضم أوله

---

(١) المصدر السابق، ج٥ / ١٨٨٣.

وفتح ثانيه ومعناها المكان الكثير الكلأ والخير، كما في القاموس، وقد يكون اسم علم. وهي قرية تقع في وسط النخيل على بعد ميلين من مدينة القطيف، ويربطها طريق معبد متفرع من الشارع العام في مدخل القطيف، وكانت مسوّرة ـ كما يذكر لوريمر ـ وتتكون من ١٣٥ منزلاً، بعضها خارج السور[١]، وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر شأنها شأن القرى الأخرى. وفيها مدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات وناد رياضي وفيها روضة أطفال وفيها عدد من العيون أشهرها أم عمار التي تعتبر من أقوى العيون في واحة القطيف بعد عين داروش بصفوى.

٩ ـ الجارودية:

قد تكون منسوبة إلى الجارود بشر بن عمرو العبدي وقد تكون المعنية باسم اجارد من عبد القيس كما يذكر ياقوت، وتقع هذه القرية إلى الغرب من حلة محيش، وقريبة من بر البدراني[٢]، وعلى بعد ميلين من مدينة القطيف، وتستقر على مرتفع جبلي، وكانت مسورة وتتكون من ١٥٠ منزلاً معظمها من الحجارة والطين وبعضها أكواخ وبعضها يقع خارج السور[٣]، ثم اتسعت فالتهمت البساتين المجاورة، وسيحتها تعتبر من أجود الأراضي الزراعية، وتسقى أغلبها من العيون البرية[٤]، ومن عيونها الشهيرة عين الصدين، التي اشتهرت بعذوبة مائها، وهي تقع على مقربة من القرية، ومنها عين القشورية العذبة التي تستقى منها الطبقة الثرية في مدينة القطيف. وفيها مركز للبلدية، كما يوجد فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة وجمعية خيرية وناد رياضي وروضة أطفال ومركز للبريد.

(١) دليل الخليج، ٥ / ١٨٨٤هـ.

(٢) يعتبر المدخل البري لمدينة القطيف في الزمن الغابر، ومنه المنطلق لقوافل الحجاج قبل أن توجد وسائل النقل الحديثة.

(٣) المصدر السابق، ٥ / ١٨٨٢.

(٤) كانت توجد عيون برية كثيرة تسقي الواحة.

١٠ - الخويلدية:

مؤنث خويلد وهو من أسماء الأعلام، قرية صغيرة تقع على بعد ميل من مدينة القطيف في الجهة الغربية الجنوبية وكانت مسورة تتكون من ١٥٠ منزلاً[1]، وقد ضاقت رقعتها في الوقت الحاضر عن استيعاب حركة العمران فالتهمت البساتين المجاورة دونما تخطيط وقد اشتهرت هذه القرية بإنتاجها الطين الخويلدي الذي يستخرج منها بكميات كبيرة ويصدر منها للخارج والذي كان يستعمل بعد خلطه بصفار البيض لإزالة قشرة الرأس قبل أن يعرف الشامبو.

ويوجد فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة للبنات وناد رياضي.

١١ - التوبي:

بضم التاء مشربة بفتح، ويظهر من نطقها الغريب أنها من الأسماء القديمة جدًّا كسيهات وتاروت، وهي قرية تقع إلى الغرب من مدينة القطيف على مسافة ميل تقريبًا، ولها طريق متفرع من شارع المحيط الدائري، وهي تقع بين سيحتي الخويلدية والبحاري، وتحيط بها البساتين من كل جانب، وكانت قرية مسورة صغيرة تتألف من ١٠٠ بيت، وسكانها يقدرون بـ ٤٠٠٠ نسمة، وتعتبر سيحتها من أجود الأراضي الزراعية في الواحة، وفيها عدد من العيون، أشهرها عين القصير، التي كانت مخصصة لاستحمام النساء لاسيما في حفلات الأعراس.

وقد أنجبت عددًا من الشعراء الممتازين منهم الشيخ جعفر الخطي والسيد محمد الفلفل كما يوجد فيها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة متوسطة، ومدرسة ابتدائية للبنات وناد رياضي.

---

(١) المصدر نفسه، ٥ / ١٨٨٣هـ.

١٢ ـ البحاري:

بكسر أوله نسبة إلى البحار جمع بحر على غير القياس[١] وربما جاءت هذه النسبة إلى القرية لغلبة أعمال أهاليها في البحر وصيد الأسماك قديمًا، بالإضافة إلى الزراعة حيث كانوا يملكون سبعة قوارب للصيد كما يذكر لوريمر[٢]، وقد يكون اسمها محرفًا عن بحرة وهي بلدة بالبحرين كما جاء في القاموس المحيط، وتقع على الطريق العام المؤدي إلى العوامية وصفوى، وكانت على بعد ميل ونصف عن مدينة القطيف بتقدير لوريمر[٣] مسورة تتكون من مائة بيت، إلاَّ أنَّ امتداد عمرانها وتوسع عمران مدينة القطيف أدى إلى محو المسافة، حتى أصبحت تشكل الطرف الشمالي منها، شأنها شأن قرية الشويكة في الجنوب، وتتبعها سيحة كبيرة مترامية الأطراف، وفيها عدد من العيون الجارية المشهورة، كالرواسية وحمام أبو لوزة والحباكة والقصاري، ولقرب هذه العيون من الحاضرة اتخذت مراكز للاستحمام وأشهرها:

ا ـ **حمام أبو لوزة**، ومياهه معدنية، وقد أقيم عليه عدد من المباني، التي تعتبر من المعالم الأثرية، ويقال إن بناءها يرجع إلى العهد العثماني، ويقال إنها أبعد من ذلك بكثير وأن بناءها جدِّد غير مرة، وهذه المباني المتلاصقة تتكون من قبة كبيرة تغطي النبع الخاص باستحمام الرجال، ولها مدخل لغرفة مستطيلة بنيت في جوانبها مصاطب لنزع الملابس ثم في الجانب الشمالي مباشرة يقع حمام للنساء وهو عبارة عن بركة متصلة بالنبع ويتألف من غرفتين، ويجانبه من الشرق اصطبل للخيل والحمير التي كانت وسائل للنقل في ذلك العهد، وإلى جواره مبنى مستطيل، أقيم على المجرى، ومقسّم لكابينات لاستعمال النورة، وإلى جوار القبة من الغرب مسجد لأداء فريضة الصلاة.

ب ـ **الحباكة**: وهي على بعد ٢٠ مترًا تقريبًا إلى الشرق من حمام أبو لوزة، وهي عين مكشوفة يستحم فيها الرجال، وقد عمل في مجراها بركة كبيرة وأقيم عليها مبنى

---

(١) القاعدة اللغوية بأن الجموع لاينسب إليها إلا إذا غلبت كأنصاري أي تحولت إلى علم.
(٢) دليل الخليج، ٥ / ١٨٨١.
(٣) المصدر نفسه، ٥ / ١٨٨١.

لاستحمام النساء، وإلى جوارها من الشرق حي صغير مؤلف من الأكواخ يسمى فريق الحباكة، وعلى مقربة منه إلى الشمال تقع مقبرة الحباكة بقسميها الشرقي والغربي المقبرة العامة ومقبرة العابدات وبجانبها مسجد يسمى باسمها، ويكاد القسم الغربي يختص بدفن موتى بعض العائلات كآل المسلم، وفيها مدفن الشاعر الشيخ حسن الدمستاني، وإلى الشمال من المقبرة عين تسمى البِشري وبجانبها مسجد ومبنى لتغسيل الموتى، وحي صغير يسمى بفريق البشري.

جـ ـ **القصارى**: عين واسعة مكشوفة مخصصة لاستحمام النساء فقط، تقع إلى الغرب من حمام أبو لوزة على بعد ١٠٠ متر من حمام (أبو لوزة).

د ـ **الرواسية**: عين قوية مكشوفة مخصصة لاستحمام الرجال، وتقع على بعد ٥٠٠ متر من المقبرة غربًا في الطريق المؤدي إلى قرية الأجام، ولقرب قرية البحارى من القطيف أصبحت لا توجد فيها مدارس خاصة بها سوى مدرسة ابتدائية للبنات وناد رياضي.

١٣ ـ القديح:

بضم أولـه وفتح ثانيه، وهو تصغير قَدَح أي الإناء الفارغ[1] أو القدح بكسر القاف سهم الميسر. وأعتقد أن هذا الاسم محرف عن القَدِيح بكسر الدال بمعنى ما يتبقى في أسفل القدر فيغرف بجهد كما تقول معاجم اللغة، ولعلها سميت به لما يتجمع في واديها سابقًا من المياه الضحضاحة. وهذه البلدة تقع إلى الغرب من قرية البحارى على بعد كيلومتر وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب.

وقد وصفها لوريمر بأنها قرية كبيرة مسورة تقع على بعد ميلين ونصف من مدينة القطيف، وتتكون من ٣٥٠ منزلاً نصفها أكواخ والباقي من الحجارة والطين ويملك

---

(١) القدح في اللغة الإناء الفارغ فإذا امتلأ سمي كأسًا.

سكانها عشرة قوارب للصيد[1]، إلا أنها تدهورت أخيراً، وهجرها سكانها وانتقلوا إلى النخيل، ولم يتمسك بالبقاء فيها بصورة دائمة إلاّ عدد قليل من أهلها وكان هناك خلف السور من الجانب الغربي الجنوبي متسع من الأرض، يسمى الوادي يستعمل في الصيف أفدية[2] لجميع الغلال وتجفيف التمور، وفي الشتاء يتحول إلى مستنقع كبير أشبه شيء بالبحيرة الواسعة، ولكنها سرعان ما تجف حينما تهب الرياح الموسمية، فتتحول إلى مملحة، يستخرج منها كميات كبيرة من الملح. وإلى الغرب منه بجوار النخيل كان هناك موضع يستخرج منه الطين القديحي الأبيض على شكل منجم، حيث يستعمل لغسيل الملابس قبل انتشار استعمال الصابون. وإلى الجنوب تقع قرية رشالة وقد اندمجت فيها حين اتسع العمران فاندرس اسمها.

أما الآن فقد تغيرت هذه الصورة إذ اتسعت البلدة بصورة مذهلة، وضاقت عن استيعاب حركة العمران، فامتلأ الوادي بالمساكن والأبنية دونما تخطيط، والتهمت ما حولها من البساتين المجاورة، وساعد على ازدهارها انتعاش الحياة الاقتصادية فيها ونشوء طبقة من رجال الأعمال والتجار والموظفين.

وتوجد فيها حركة أدبية نشيطة، وظهر فيها أدباء وشعراء وهي موطن العلامة الشيخ علي القديحي صاحب كتاب «أنوار البدرين» والشيخ أحمد الشيخ محمد صالح القديحي وله ديوان شعر مطبوع والعلامة الشيخ حسين القديحي، وهم من أسرة علمية تتبوأ مكانتها الاجتماعية في البلدة.

ويوجد فيها مركز للبلدية وجمعية خيرية نشيطة وناد رياضي، كما يوجد فيها أربع مدارس ابتدائية للبنين ومدرستين متوسطتين ومدرسة ثانوية بالإضافة إلى ٣ مدارس ابتدائية للبنات ومدرسة متوسطة وثانوية وروضة أطفال ويرجع السكان نسبهم إلى مضر، وينسبون مؤسساتهم الاجتماعية إليها، والمعروف أن مضر مسكنها بالحجاز[3].

---

(١) دليل الخليج، ٥ / ١٨٨٥.

(٢) جمع فدا المكان أو الأوعية التي تجمع فيها التمر أو الحنطة أو الشعير.

(٣) نهاية الأرب للقلقشندي، ص ٤٢٢. صبح الأعشى ٩١/٣٣٩ العبر ٢/٣٠٥.

١٤ - العوامية:

نسبة إلى العوام، ويوجد في تاريخ المنطقة علمان بهذا الاسم أحدهما أبو الحسن بن العوام زعيم الأزد وأمير الزارة[١]، والثاني العوام بن محمد ابن يوسف الزجاج، ونرجح أن تكون منسوبة إلى الأول، وربما اتخذها ضاحية له لقربها من مدينة الزارة، وإن كان مؤلف كتاب «أنوار البدرين» يذهب إلى أن أول من عمَّرها وسكنها أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج فنسبت إليه[٢]، وهي تقع إلى الشمال من القديح على طريق صفوى وعلى بعد ٣ أميال من مدينة القطيف في الجهة الشمالية الغربية.

ويظهر أن هذه البلدة كانت إحدى ضواحي مدينة الزارة التي كانت حاضرة للمنطقة والتي دمَّرها أبو سعيد الجنابي عام ٢٨٣هـ حين استعصت عليه في بداية حركته فانتقل إليها مركز الثقل وعمِّرت على حساب تدمير تلك المدينة، ومازال هناك بالقرب منها حي بهذا الاسم في الناحية الجنوبية الشرقية، ويتكون من مجموعة أكواخ، يدعى بفريق الزارة، ويعتقد أنه جزء من موقع الزارة التي اندرست واختفت آثارها وطمرتها مزارع النخيل، إذ لم نجد لها ذكرًا بعد ذلك في كتب التاريخ، ويقول صاحب كتاب (أنوار البدرين) إن مدينة الزارة بقيت خرابًا، ثم صارت نخيلاً وأشجارًا وأنهارًا تبعًا للعومية[٣].

وتقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى صفوى ووصفها لوريمر قبل ثمانين سنة بأنها قرية مسورة، تتكون من ٣٠٠ منزل وأنها على بعد ٣ أميال شمال غرب مدينة القطيف ويملك سكانها خمسة قوارب لصيد اللؤلؤ[٤]. أما في العهد الحاضر فقد اتسعت هذه المدينة وأصبحت مترامية الأطراف وامتد العمران إلى البساتين المجاورة

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص٥٢.
(٢) أنوار البدرين، ص٢٧٧.
(٣) المصدر السابق، ص٢٧٧.
(٤) دليل الخليج، ٥/١٨٨٠.

بدون تخطيط شأنها شأن القرى الأخرى في الواحة حتى تحوَّلت إلى مدينة وأصبحت تضم عددًا من الأحياء كالجميمة والزارة والكوع والبويب والمنيرة وغيرها.

وقد تبوأت هذه البلدة مكانة اجتماعية خاصة، ربَّما تكون ذات جذور عميقة، ترجع إلى أيام كانت فيها الزارة عاصمة لهذه المنطقة، وذلك باستمرار المصاهرة بين الأسر العريقة في كلتا البلدتين القطيف والعوامية، بالإضافة إلى إنجابها عددًا من العلماء والأدباء كالشيخ محمد بن نمر والكاتب القصصي محمد حسن بن نمر وأسرة الشيخ محمد أبي المكارم.

ويوجد في هذه البلدة عدد من المؤسسات الاجتماعية: ففيها جمعية خيرية وناد رياضي، كما يوجد فيها ٤ مدارس ابتدائية ومدرسة متوسطة ومدرسة ثانوية بالإضافة إلى ٤ مدارس ابتدائية للبنات ومدرسة متوسطة وثانوية، ويوجد فيها أيضًا جمعية خيرية وروضة للأطفال ومركز للدفاع المدني والبريد.

* * *

أما الأجزاء المنفصلة عن هذا الشريط فهي:

١٥ ـ صَفْوى:

بفتح أوله وتسكين ثانيه بألف مقصورة أما في عهد ابن المقرب[(١)] فتنطق بألف ممدودة، كما جاء في شعره:

والخط من صفواء حازوها فما ... أبقوا بها شبرا إلى الظهران
نزلوا على صفواء صبحًا وابتنوا ... فيها القباب وأيقنوا بأمان

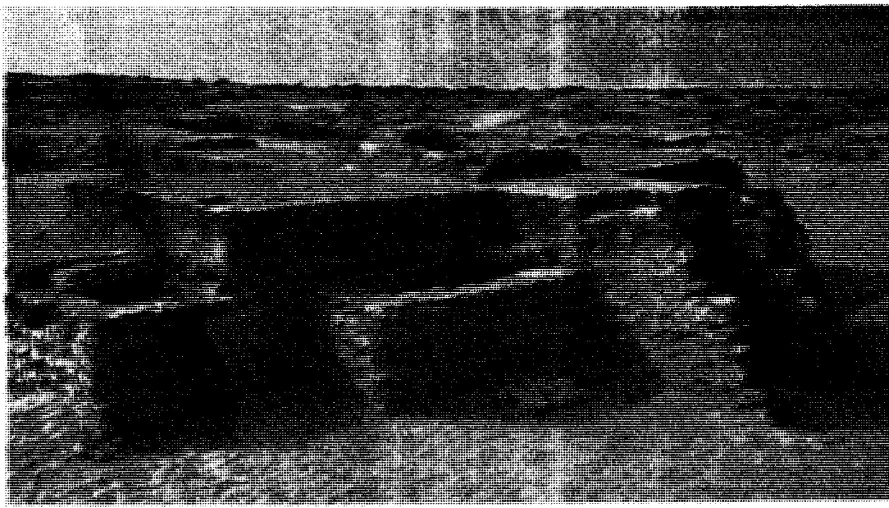
(١) توفي سنة ٦٢٩هـ.

وفي عصر المسعودي المتوفي سنة ٣٤٥هـ تعرف بصفوان، وكان يسكنها بنو حفص ابن عبدالقيس[١] ومن المحتمل أن يكون اسمها «الصفا» سابقًا وهو اسم تردَّد ذكره في الشعر العربي وهو من أسماء المواقع في هذه المنطقة، وقد تعرَّض اسم هذه البلدة للتغيّر غير مرة في تاريخها.

وتقع مدينة صفوى إلى الشمال من مدينة القطيف على بعد ١٥ كم ويصلها بالواحة طريق معبَّد يمرّ بالعوامية، وتقع واحتها بمحاذاة الساحل شرقي المدينة، وتفصلها عن سيحة العوامية من الجنوب سبخة واسعة، تسمى «سبخة صفوى»، وإلى الشمال منها تقع مقبرة جاوان الشهيرة وهي من المواضع التي تزخر بالآثار، وهو موضع كان عامرًا في يوم من الأيام ولم تبق منه إلا العين المسمَّاة باسمه، وتكثر فيه الهضاب الصخرية لذلك اتخذت منه أرامكو مقلعًا للصخور لردم البحر أثناء عملية بناء مرفأ رأس تنورة، فأطلق على هذا الموقع (مقلع جاوان)، إلا أن الشركة نفسها عثرت أثناء عملية إزاحة الصخور على مقبرة غريبة الشكل، تتألف من طابقين مبنية من صخور الملح ومسيعة بالجصّ، ومنظرها الخارجي - كما شاهدتها - يبدو على شكل صليب، ولها ممرّ مسقوف، على كل جانب منه عدد من الغرف، تحتوي كلّ غرفة على قبر، وإلى جانبها عند المدخل قبور صغيرة يبدو أنها مخصصة للأطفال.

وقد عثر البحاثة فيدال فيها على مجموعة من الآثار، ترجع إلى العصر الهيليني والروماني الأول وقد سُلِّمت مفاتيح هذا المدفن إلى أمارة المنطقة، كما عثرت أرامكو عام ١٩٤٥م في جاوان على حجر تكسرت أطرافه بالمعاول قبل معرفته، وقد اتضح بأنه شاهد قبر لامرأة، يقال لها جشم بنت عمرت (عمرة) بن تحيو من أسرة عور (آل عور) من قبيلة شذب[٢]، ومن الملاحظ أن كتابة أحجار القبور التي عثر عليها في جاوان افتتحت بعبارة (نفس وقبر)، بينما الكتابات الأخرى التي عثر عليها في ثاج وقرب القطيف تبدأ بجملة (وكر وقبر)[٣].

(١) التنبيه والإشراف، ص٣٤٠.
(٢) العرب قبل الإسلام، ج ١٩٤/١.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢١٨/١.

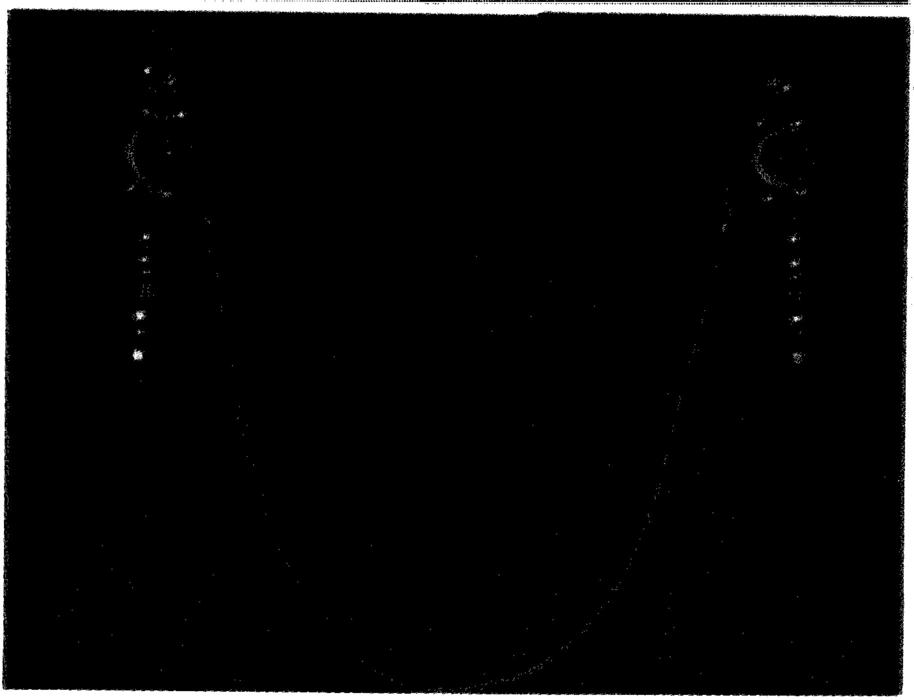


ضريـــح جاوان (غـــرب رأس تنورة): وجدت به مدافن هيلينية (١٠٠ سنة ق.م).



حجرات المدافن داخل ضريح جاوان.





حلي ذهبيـة ولآلـىء عثر عليها في مدافن جاوان.

وإلى الغرب من مدينة صفوى مرتفع يُسمَّى حزم صفوى وقد امتلأ بالعمران في الـوقت الحاضر، كما اتسعت مدينة صفوى من جميع الاتجاهات، فالتهم عمرانها ما جاورها من الأراضي الزراعية حتى أصبحت من المدن المهمة في واحة القطيف، وتقع عين داروش الشهيرة في وسط المدينة، ويقال إنها سميت باسم الملك دارا (داريوس ٥٢١-٤٨٥ ق.م) حين نزل بصفوى وهي أقوى عين في واحة القطيف، فكانت تتفرع منهـا سبعة أنهر لاتقل في قوتها عن عين أم سبعة في الأحساء، وتسقى معظم واحة صفوى التي تبلغ حوالي خمسين ألف نخلة[١].

وقد وصفها لوريمر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بأنها قرية كبيرة مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلاً، على بعد ٨ أميال من مدينة القطيف، وهي آخر قرية في شمال الواحة وتقع في الطرف الغربي للمنطقة الزراعية[٢]، ويبدو من سياق وصفه أنها متصلة بسيحة العوامية ثم فصلتها رمال الصحراء، وربما كانت هناك عين تسقي هذه الرقعة ثم طمرتها الرمال، وأصبحت يبابًا شأنها شأن المناطق الغربية من الواحة.

وقد انتعشت هذه البلدة منذ أن أُنشىء الخط الذي يمر بها، والذي يصل بين الـظهـران ورأس تنـورة فاكتسبت موقعًا استراتيجيا لقربها من مصافي البترول فاتسع عمـرانها وأصبحت من المدن المهمة في المنطقة، فأنشىء فيها مركز للإمارة والشرطة وبلدية ومحكمـة ودائـرة لكاتب العدل، وبموجب التقسيم الإداري أصبحت مركزًا تتبعها ١٤ قرية، وقد بلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٣هـ واحدًا وعشرين ألف نسمة، وهي الآن أضعاف مضاعفة بعد أن استوطنت فيها بعض القبائل.

ويوجـد فيها الآن حركة تجارية نشيطة، وقد فتح فيها فرع لبنك الرياض كما يوجد فيها خمس مدارس ابتدائية للبنين ومدرستان متوسطان ومدرسة ثانوية، كما يوجد

---

(١) المعجم الجغرافي، ج ٢/٦٥٩.
(٢) دليل الخليج، ج ٥/١٨٨٥.

فيها عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنات، بالإضافة إلى الأنشطة الاجتماعية من وجود جمعية خيرية وناد رياضي وروضة أطفال ومراكز للبلدية والشرطة والمرور والدفاع المدني والبريد وفرع لمصلحة المياه والمجاري.

وقد أنجبت هذه البلدة علماء وأدباء بارزين منها العلامة الشيخ محمد صالح الصفواني قاضي الأوقاف والمواريث الأسبق والكاتب الكبير الأستاذ سلمان الصفواني صاحب جريدة اليقظة العراقية.

١٦ - جزيرة تاروت:

وهذا الاسم يعتبر من الأسماء القديمة، التي يعتقد بأنها فينيقية، ويذهب بعض الباحثين إلى أن اسمها في الأصل «عشتاروت» حذف منه المقطع الأول، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين[١]، وتردد ذكرها في كتب المؤرخين الإغريق فسموها تيروس، TARRUS، أما بطليموس الجغرافي اليوناني فسمّاها تارو بحذف التاء الأخيرة TARO وهو قريب من لفظها الحالي.

وعشتاروت آلهة الإخصاب والجمال والحب عند الساميين، وهي أهم إلهة عند الفينيقيين، وهي تماثل افروديت الإغريقية[٢]، وقد اكتشفت لها تماثيل في الجزيرة وكان لها معبد، أقيمت على أنقاضه القلعة البرتغالية في مدينة تاروت. وتعتبر هذه الجزيرة أقدم موقع للاستيطان البشري، ولها تاريخ مغرق في القدم فكانت موطنًا للفينيقيين قبل نزوحهم إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط، فقد نقل الأب مرتين اليسوعى في كتابه تاريخ لبنان عن بعض مؤرخي الإغريق بأن أهل هذه الجزيرة كانوا يباهون بأنهم هم الذين أسسوا صور وارواد[٣]، ولا تخلو هذه الجزيرة من آثارهم، فقد عُثر منذ سنوات

(١) العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ج١/١٤١.

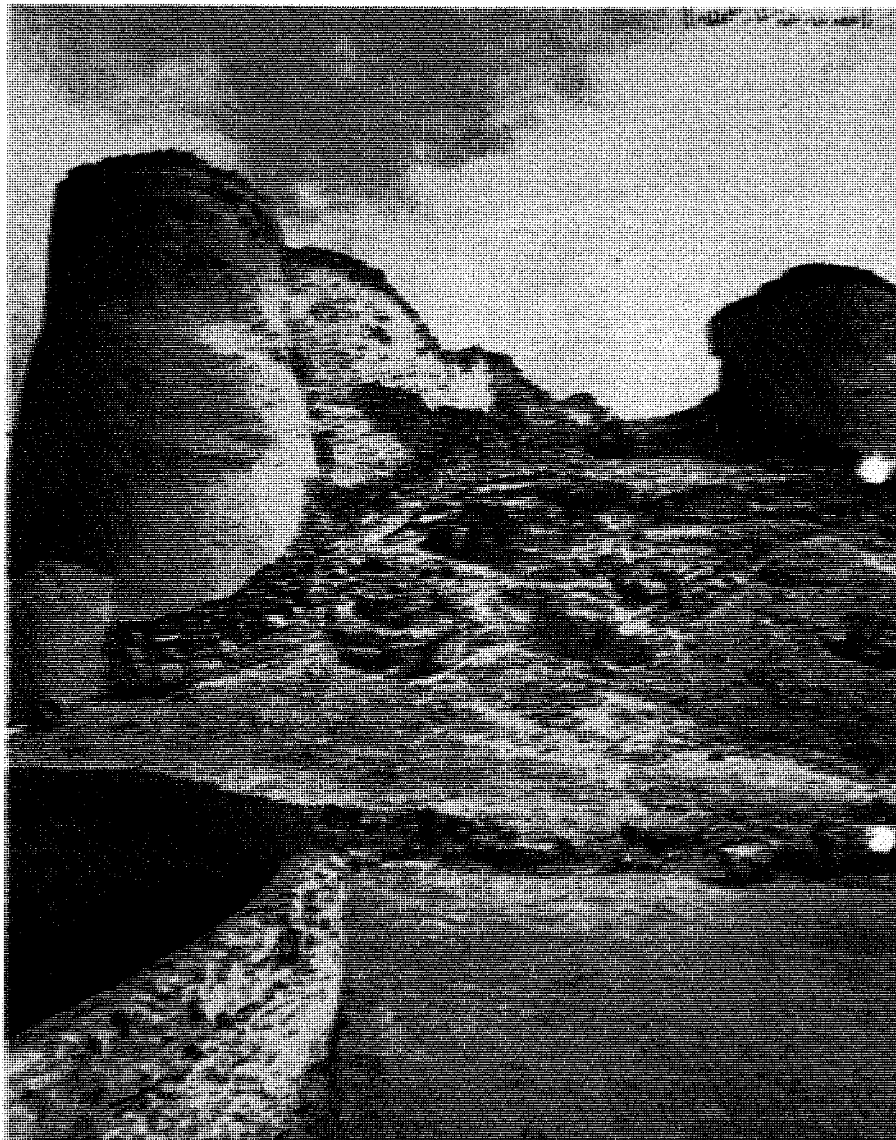
(٢) الموسوعة العربية الميسرة، ص١٧١٣.

(٣) صور مدينة ساحلية في لبنان أسسها الفينيقيون في الألف الثالث قبل الميلاد-أمّا أرواد فهي جزيرة على بعد ٣ كم من شاطىء طرسوس في سوريا وبالمقابل يوجد في الخليج صور بعمان وعراد بجزيرة البحرين.

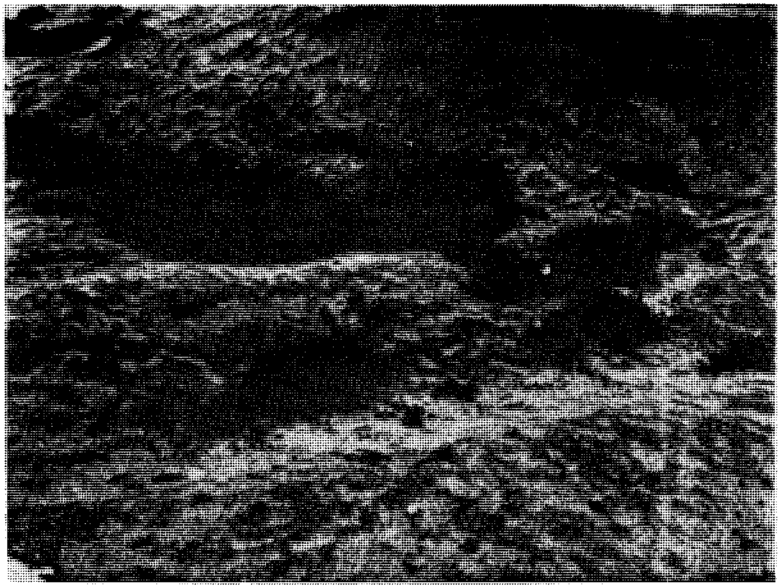
في أحد بساتينها على تمثال من الذهب الخالص للآلهة عشتاروت، لذلك حفلت بالآثار المهمة حيث يرجع بعضها إلى عصر السلالات الأولى لبلاد ما بين النهرين، أي قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠، ٥٠٠٠ سنة ق.م، ويعود بعضها إلى فترات زمنية مختلفة معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية وحضارة الموهنجو دارو على نهر السند وحضارة أم النار التي قامت بالمنطقة الجنوبية في الخليج العربي، والتي تم اكتشاف بقاياها في أبو ظبي بواسطة البعثة الدانمركية سنة ١٩٦٦م[١]، كما عثر فيها على آثار تنتمي إلى حضارة العبيد وحضارة باربار[٢]، ويوجد فيها الآن مواقع أثرية ومقابر قديمة تم اكتشافها مؤخرًا وقد حُظيت باهتمام البعثة الدانمركية فقامت بالمسح الأثري فيها، وبدأت بالتلّ العالي الواقع في الجانب الغربي من مدينة تاروت، وهو الموقع الذي قامت على أنقاضه قلعة البرتغاليين، التي أعاد بناءها الأتراك، والتي مازالت معالمها بارزة حتى الآن.

لقد أسفرت هذه الأنقاض المتراكمة عن ثروة أثرية ثمينة، فوجدت تحتها بقايا هيكل عشتاروت، الذي يتكون من أحجار ضخمة منحوتة بحجم متر مكعب، مما يدل على ضخامة هذا الهيكل، كما اكتشفت البعثة الدانمركية أبنيةً تتكون من أربع طبقات سكنية، تتألف جدرانها من كتلٍ حجرية مربعة الشكل، وعثرت أيضا على بئرٍ عميق من المياه العذبة، تنصرف مياهه إلى حوض كبير واسع من الأحجار الطبيعية، وعلى كسر فخارية منتشرة على سطح التلّ، وقد أظهرت دراسة الفخار بأن هذه الكسر تنتمي إلى حضارة باربار (حوالي ٣٠٠٠ق.م)، كما دلّت الحفريات في الطبقات السفلى على أن هذا الفخار الموجود فيها ينتمي إلى فترة مبكرة أقدم من عصر باربار، وقد اكتشفت في هذه الطبقات تركة أثرية مهمة، تتمثل في رؤوس سهام وكسر حجرية كالسكاكين والمكاشط و٢٠٠ كسرة فخارية، تتميز بأنها من النوع الخفيف الأصفر المخضر والمزينة بأشكال هندسية ذات لون بنيٍّ غامق، وقد تبينّ من هذه الدراسة التي

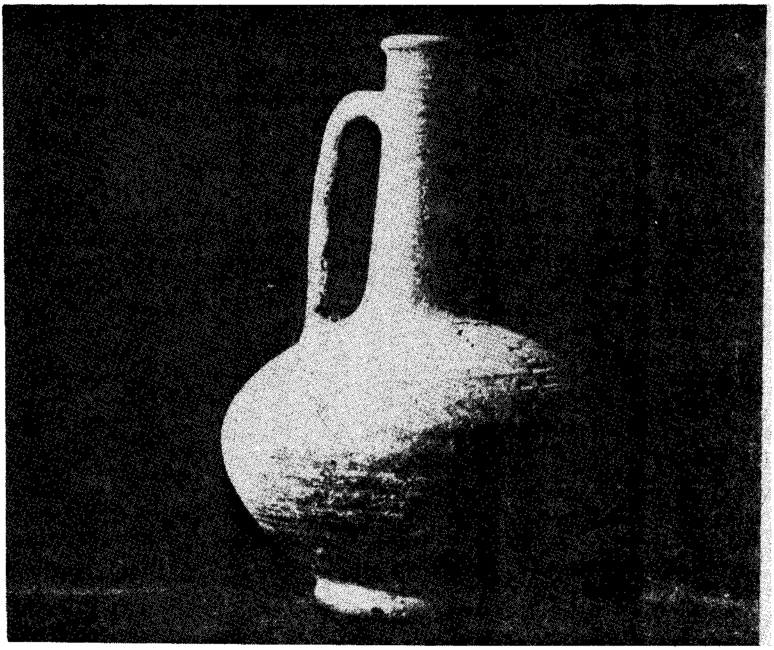
(١) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية الذي أصدرته إدارة المتاحف والآثار، ص٣٧.
(٢) منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق. م.، ص١٤٠.



(مقدمة عن آثار المملكة) .



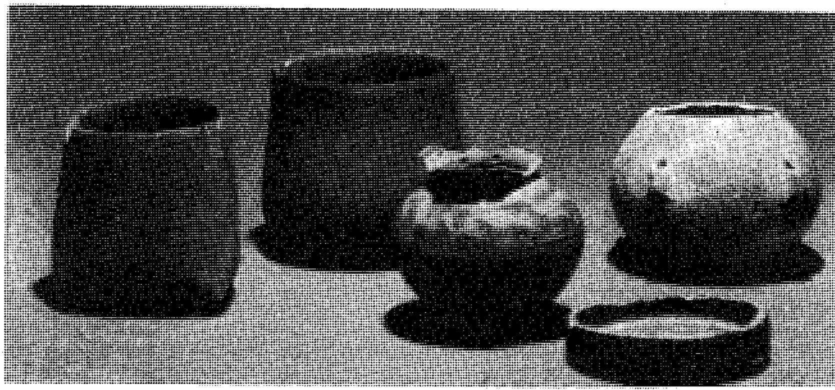
موقع سنابس (جزيرة تاروت): المستوطنات الهلينستية وعليها آثار



آنية فخارية هيلينية من سنابس.



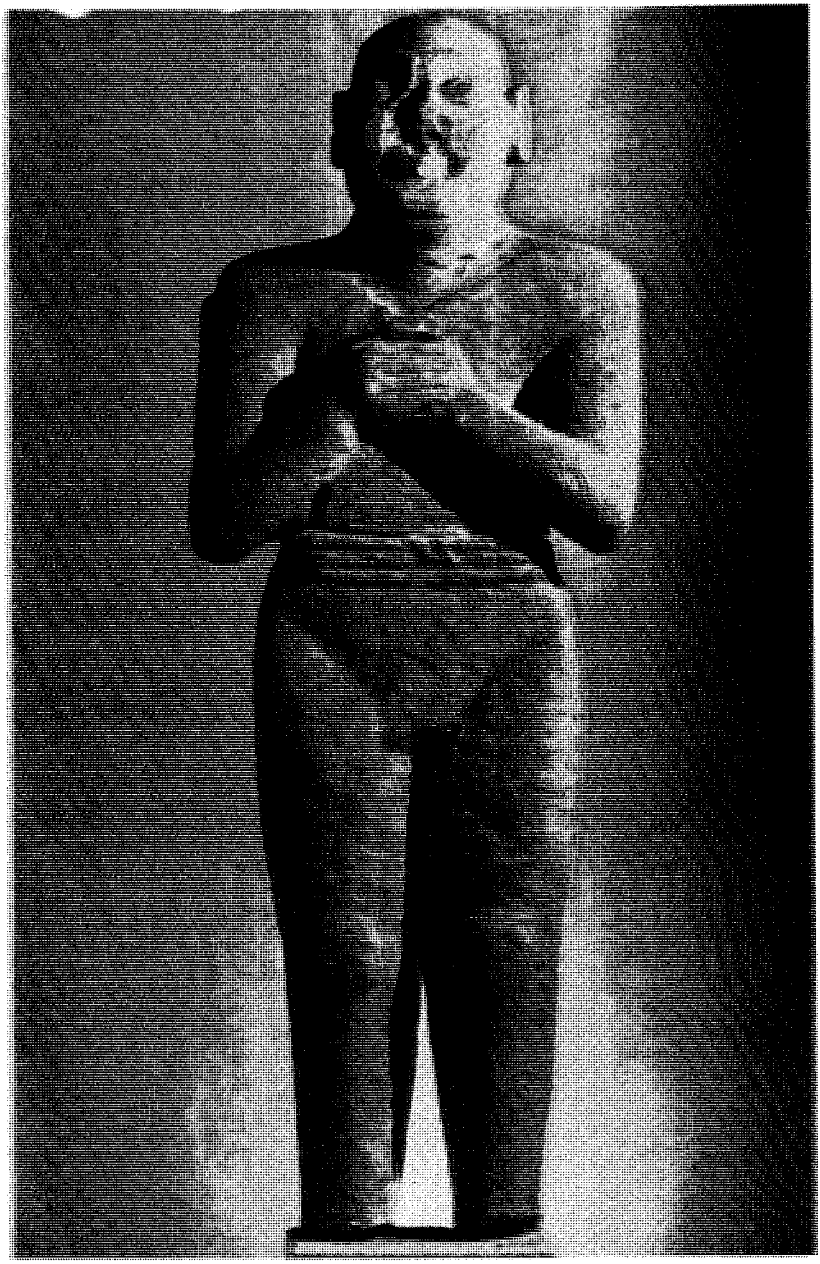
صورتان لوجه إنسان ووجه أسد خلفه على جزء من آنية حجرية.



صورة أسد منقوشة على قطعة من الحجر الصابوني.



تحف أثـريـة من تاروت يعـود جميعها إلى ٤٥٠٠ سنة سابقة.



تمثـــال حجـري يشبـه التـماثيـل السـومـرية التي يعود تاريخها إلى ٥٠٠٠ سنـة سابقـة. عثر عليه بجزيرة تاروت قرب القلعة.

قامت بها البعثة بأن هذا الفخار ينتمي إلى عصر حضارة العبيد الأول (حوالي ٤٥٠٠ ق.م)[١].

ويرى جي بيبي أن الطبقات السفلى من هذا التلّ تضم حضارة العبيد، بينما تضمّ الطبقات العليا حضارة باربار، وبين هذه الطبقات يكمن الدليل على وجود التطور من المرحلة الأولى إلى المرحلة الأخيرة، وقد أدّى اكتشاف فخار حضارة العبيد في موقع تاروت إلى المزيد من الحفائر والتنقيبات، تمّ تسجيل خمسة عشر موقعًا، تضم العديد من الكسر الفخارية الملوّنة، ومن هذه المواقع موقعان يبعدان نحو ٤٠ ميلاً عن ساحل الخليج بينما تقع أغلبية هذه المواقع على الأرض السبخة المحاذية للساحل الحالي، وقد تمّ التوصل بالدراسة المقارنة إلى التشابه التام بين فخار حضارة عصر العبيد والفخار الذي عثر عليه هنا، وشملت الدراسة أيضًا المقارنة بين المخلفات الأثرية المتمثلة في حجر الأوبيسدان والرحى الحجرية ورؤوس السهام والمخارز[٢].

وتوجد في الجزيرة العديد من التلال الجيرية المغطاة بالطين، والتي تأخذ شكل القمع، ويضم التل حجرة الدفن، وسقفها يتألف من كتل من الحجر الجيري وتقع هذه التلال في الجنوب الشرقي من الجزيرة على مقربة من ميناء دارين، فقد عثر على مقابر تحيط بأضرحتها ملاط من الجبس، وتتناثر حولها وعلى الأرض العديد من الكسر الحجرية من الالباشير والاستتايت[٣].

وأهم المعالم الأثرية البارزة فيها قلعتان أثريتان إحداهما في مدينة تاروت، وقد بنيت على أنقاض هيكل عشتاروت بجوار عين الحمام، والثانية في دارين في الجنوب

(١) منطقة الخليج العربي، ص١٤٠؛ مقدمة عن الآثار في المملكة العربية السعودية، ص٣٧.
(٢) منطقة الخليج العربي، ص١٤٠.
(٣) المصدر السابق نفسه، ص١٤٠.

الشرقي من الجزيرة على الساحل مباشرة، وتعرف بقلعة محمد بن عبدالوهاب[1] وهي قلعة دفاعية من القلاع التي بناها البرتغاليون في القرن السادس عشر الميلادي ثم جدَّد بناؤها عام ١٣٠٣هـ.

ومرفأ دارين نفسه الذي يتمتع بشهرة تاريخية منذ القدم، والذي كان من أهم الموانىء التجارية في الخليج يضم ثروة دفينة، وتوجد على مقربة منه أكمات بدائية شاذة التكوين، يقول عنها الأهالي إنها كانت بقايا مدافن، وقد التهمها العمران في الوقت الحاضر، حتى يقال إن بلدة دارين الحديثة تستقر على أربع طبقات من المدن بعضها فوق بعض.

وتردد ذكر هذه الجزيرة في كتب الجغرافيون العرب، فوصفها أبو الفداء في القرن الثامن الهجري بأنها بليدة في الشرق من القطيف تبعد عنها بنصف مرحلة، ينحسر البحرفيما بينها وبين القطيف في حالة الجزر وتصبح جزيرة في حالة المدّ، وفيها كروم تنتج العنب المفضل[2]، ولعل ذلك راجع إلى خصوبة تربتها المتميزة عن أراضي الواحة، وتقع الأراضي الزراعية في الجهة الغربية والشمالية منها، وكان بها من النخيل قديمًا حوالي مائة ألف نخلة، لم يبق منها في الوقت الحاضر سوى ستين ألف نخلة وهي في تناقص مستمر، وتروى كلها سابقًا من مصدرين هما عين الحمام الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من قلعة تاروت، وعين الفرسان الواقعة على مسافة نصف ميل منها، ومياههما عذبة ساخنة، تزودان سكان الجزيرة بمياه الشرب كما يقول لوريمر[3]، وقد انتابهما الضعف في الآونة الأخيرة، فعوَّض نقص الريّ بالآبار الارتوازية، وبسبب حفر هذه الآبار انتشرت الزراعة في الجهة الشرقية من الجزيرة.

وتقع جزيرة تاروت في قلب خليج القطيف أو خليج كيبوس، أو المسمى حديثًا بخليج تاروت، على بعد ٦كم من مدينة القطيف إلى الشرق، وتبلغ مساحتها ٦كم

(١) من كبار تجار اللؤلؤ في زمنه وقد منح هو والحاج منصور بن جمعة رتبة الباشوية في عهد الأتراك.
(٢) تقويم البلدان، ص٧.
(٣) دليل الخليج، ٧ / ٢٤٤٥.

من الجنوب إلى الشمال ومثلها من الغرب إلى الشرق، وكانت في سالف عهدها جزيرة يحيط بها البحر من كل جانب، أما في حالة الجزر فينحسر الماء في الجهة الغربية منها، وتستعمل وسائل المواصلات البرية بينها وبين القطيف إلاَّ من خور قليل العمق يسمى «المقطع» لايتجاوز عمقه مترًا واحدًا. أما في حالة المدّ فلا سبيل إليها إلا باستخدام السفن.

وتتخلَّل سواحلها بعض الخلجان والرؤوس الصغيرة، وينحسر البحر عن شواطئها في حالة الجزر، باستثناء الطرف الجنوبي منها، فهو عبارة عن رأس داخل في البحر، والذي يقع فيه مرفأ دارين، أشهر مرافىء شبه الجزيرة العربية، فهو الميناء الوحيد الصالح لرسوِّ السفن في حالتي المد والجزر، وقد اشتهر هذا المرفأ منذ القدم، فقد مرَّ عليه أحد قادة الاسكندر المقدوني عند عودته من الهند، بعد أن زار مدينة فينيقيا على الساحل الغربي من الخليج أثناء جولته الاستطلاعية، وتقول الرواية إنه عرج على جزيرة نيرين ويعتقد أنها دارين، كما حظي هذا المرفأ بشهرة واسعة في التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي.

وصفه ياقوت بأنه فرصة يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليه داري قال الفرزدق:

كأن تريكة من ماء مزن ... وداريّ الذكي من المدام

وجاء في القاموس المحيط داري: العطار منسوب إلى دارين فرضة بالبحرين بها سوق يحمل إليها المسك من الهند، ويعتبر اسمها من الأسماء القديمة كتاروت وسيهات، وقد حاول بعض الباحثين أن يتأول معناها فزعم أنها جمع سالم لدار وأنها ترفع بالألف وتنصب وتجرّ بالياء، أو أن المقطع الأخير (ين) ألحقت بها كأداة تعريف في اللغة الحميرية (أي الدار) كما فعلوا في تأويل لفظ البحرين[1]، أو أن معناها باللغة

---

(١) المعجم الجغرافي، ١/٢٠٥-٢٠٩.

الفـــارسية (عتيق) حسب ما روي الأصمعي أن كسرى سأل من بني هذه القـــرية فأجابوه: دارين أي قديم[1].

وقد تمتعت دارين بشهرة فائقة في العصور الخالية، فكانت محط الأنظار وطلاب الثروة، وقد عاشت فترة رخاء وازدهار كبيرين، إذ كانت السفن ترد إليها من الهند محملة بالتـوابـل والمنسـوجات والسيوف الهندية والمسك والبخور والأحجار الكريمة والعاج والخشب الفاخر النادر، ومن الصين محملة بالحرير والمنسوجات الحريرية وغـيرها، ومن بلاد العرب الجنوبية محملة بالمرّ واللّبان والأفاوية والبرود اليمانية والعاج الوارد إليها من سواحـل أفريقيا الشرقية، ثم تعيد تصديرها إلى جميع أنحاء العالم، ومنها كان أهل البادية وسكان أواسط شبه الجزيرة العربية يفدون إليها، فيبتاعون معظم حاجاتهم فتمر قوافلهم عبر الـدهنـاء في طريقهـا إلى الأحساء والقطيف، ثم تعبر الجزيرة عبر المياه الضحلة وفي ذلك يقول أعشى همدان:

يمـرون بالـدهناء خفافا عيابهم ... ويخـرجن من دارين بجر الحقائب
على حين ألهى الناس جلّ أمورهم ... فنـدلاً زريق المال ندل الثعالب

ودارين هي إحدى قرى جزيرة تاروت الأربع، التي ذكرها لوريمر فوصفها بأنها قرية محمية بقلعة مربعة تتكون من مائة منزل للسادة، ومعظم سكانها من بني خالد مع قليل من الجنيدات، ولا يوجد بها حدائق ولا زراعات ويملك السكان ١٥ قاربًا لصيد اللؤلؤ، كما أن قرية تاروت مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلاً وهي أكثر كثافة سكانية من بقية القرى، وتقع في وسط الجزيرة، وكثير من منازلها خارج السور، ويزرع بها النخيل بكثرة وأشجار الفاكهة، ويعمل أهلها في الغوص لاستخراج اللؤلؤ وتجارته وبعضهم بالزراعة، وتأتي بعدها قرية السنابس، وتقع على الساحل الشرقي، وتتكون من مائتي منزل، وهي غير مسورة وليس بها حدائق نخيل ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ والسمك، وتوجد فيها ٦٨ قاربًا لصيد اللؤلؤ. أما القرية الرابعة فهي الزّور وتسمى (فنية)، وتقع

---

(١) المصدر السابق، ج ٢/ ٦٥١-٦٥٢.

على الساحل الشمالي للجزيرة، وتتكون من ٤٠ منزلاً، وبها بعض الحدائق التي تروى من عين تاروت، وسكانها من مهاجري أبو ظبي، من قبيلتي بوفلاسه وبني ياس، ويعملون بصيد اللؤلؤ ولديهم ٧ قوارب كما أن مجموع سكان الجزيرة في عهده كما يقول لايزيد على أربعة آلاف نسمة(١).

أما في الوقت الحاضر فقد تغيرت تلك المعالم القديمة للجزيرة، فقد دفن البحر في الجهة الغربية لمدينة القطيف، فاتصلت بها وأصبحت تلك الأراضي التي يغمرها البحر سابقًا مناطق سكنية، فقامت في الغرب مدينة الدخل المحدود، ومناطق في طريقها إلى العمران، كالمنطقة التركية والمنيرة والمزروع والناصرة، حتى انتفت صفة الجزيرة عنها، وتحوَّلت إلى شبه جزيرة، لاتصالها بالبر من الجهة الغربية، ويربطها الآن بمدينة القطيف شارع معبد منوَّر بالكهرباء ذو اتجاهين، يسمى شارع أحد، وعند مدخلها توجد مصانع الألومنيوم والحدادة والطابوق وورش إصلاح السيارات كما ترتبط قراها بشوارع معبدة، فيشق وسطها شارع رئيسي يمر بمدينة تاروت حيث السوق التجاري، ويجتازها إلى الربيعية(٢)، وهي مدينة حديثة، ثم يصل إلى السنابس، وبعدها ينعطف إلى الجنوب، وينتهي إلى دارين، كما يوجد شارع من الغرب يربط دارين بتاروت وآخر بالسنابس والزور، ويتجه غربا، ويلتقي بالشارع العام بالقرب من مدخل الجزيرة، وتبعا لنمو السكان وانتشار حركة العمران، فقد زحفت المباني في بلدة تاروت على البساتين المجاورة فتكونت أحياء جديدة، كالخارجية والدشة والأطرش والحوامي والوقف وأرض الجبل، كذلك الأمر في السنابس ودارين والربيعية.

وتاروت تعتبر من المراكز العلمية والثقافية في القطيف منذ القدم، فقد أنجبت بيوتًا علمية كآل سيف وآل معتوق وآل الصفار، وظهر فيها علماء مجتهدون أمثال الشيخ عبدالله المعتوق وشعراء مبرزون أمثال عبدالمحسن التاروتي وحسن التاروتي ومحسن الملهوف التاروتي.

---

(١) دليل الخليج، ج ٢٤٤٦/٧ - ٢٤٤٧.

(٢) نسبة إلى ملا حسن بن ربيع الذي نزح إليها من القديح واستوطنها فنسبت إليه.

ونظرا لأهمية الجزيرة فقد أقيم فيها مركز للإمارة والشرطة والدفاع المدني وبلدية ومركز للبريد في تاروت ودارين ومندوبية للرئاسة العامة لتعليم البنات. وفتح فيها فرع لبنك الرياض، كما يوجد في الجزيرة ٧ مدارس ابتدائية ومدرستان متوسطان ومدرسة ثانوية، وكلها للبنين بالإضافة إلى ١٠ مدارس ابتدائية و٤ متوسطة ومدرستان ثانويتان للبنات. ويوجد فيها نشاطات اجتماعية، ففيها جمعيتان خيريتان إحداهما بتاروت والأخرى بدارين، وفيها ثلاثة نواد رياضية في تاروت والسنابس ودارين وثلاث روضات للأطفال.

١٧ ـ الأجـام:

يمكن أن تكون في الأصل جمع أجمة، وهي منبت القصب الملتف أو أن أصلها الأوجام كما ينطقها الآن أهاليها، وهي جمع الوجم (بتسكين الجيم أو تحريكها) ومعناها كما يقول صاحب القاموس حجارة مركومة على الآكام. أو أبنية يهتدي بها في الصحارى، وهذا المعنى يناسب وضعها الحالي، إذ تحف بها الصحراء من كل جانب، ولعل لاسمها صلة بالآجاميين الذين رحلوا مع سليمان القرمطي عند رجوعه من هيت سنة ٣١٧هـ، فانتظموا في جيشه، وعرفوا بالآجاميين وكانوا قبلاً من سكان الآجام والطفوف من أعمال الكوفة، كما يذكر المسعودي[1].

وتقع الآجام في الصحراء في الجهة الغربية من الواحة، على بعد ٩كم من مدينة القطيف، وإلى الشرق من هذه القرية منخفض من الأرض، تصب فيه فضلات مياه الأراضي الزراعية، على غرار بحيرة الأصفر في الأحساء، وينبت فيه الحلفاء والقصب، ولعل لاسمها صلة بهذا الموقع، كما يوجد بها مزار ينسب لأحد الأنبياء، والقرية كانت مسورة ـ كما وصفها لوريمر ـ تتكون من ٥٠ منزلاً من الحجر والطين، وتقع في وسط المنطقة الزراعية، التي يغلب فيها زراعة النخيل[2]. أما الآن فقد اتسعت أضعافًا مضاعفة.

ويوجد فيها مدرسة ابتدائية ومتوسطة وروضة للأطفال وجمعية خيرية.

---

(١) التنبيه والإشراف، ص ٣٣٩.

(٢) دليل الخليج، ج٥، ص١٨٨٣.

١٨ ـ أم الساهك:

والسهاك ـ لغة ـ الرمد وحكة العين، وربما سميت بهذا الاسم لوقوعها في أرض رملية، تثير أتربتها الرياح الساهكة أي العواصف فتسبب الرمد وحكة العين، وتقع هذه القرية إلى الغرب الشمالي من صفوى على بعد ٣ كم منها وكانت منعزلة في الصحراء. أما الآن فقد أوشكت أن تختلط بمدينة صفوى.

ذكرها لوريمر فوصفها بأنها قرية تتكون من ٦٠ منزلاً، وتقع في منطقة زراعية[١]، وفيها مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة.

١٩ ـ أبو معن:

قرية تقع إلى الشمال من أم الساهك على مقربة منها في سبخة الرّياس وهي منطقة زراعية يسكنها خليط من القبائل وفيها مدرسة ابتدائية للبنين.

٢٠ ـ الدريدي:

نسبة إلى دريد وهو من أسماء الأعلام العربية، قرية ذات نخل تقع على مقربة من أم الساهك إلى الجنوب وتبعد عن صفوى بنحو ١٠كم وهي واقعة في حزم، أي مكان مرتفع فتسمى أحيانًا حزم الدريدي[٢]. ذكرها لوريمر فعدَّها من مياه واحة القطيف.

٢١ ـ النابية:

وتسمى القاسمة تقع جنوب غرب القطيف وتبعد عنها نحو ١٥كم[٣]. وهي قرية صغيرة تسكنها بعض قبائل البادية وفيها مدرسة ابتدائية.

---

(١) المصدر السابق، ٥ / ١٨٨٥.

(٢) المعجم الجغرافي، ٢ / ٤٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ١٣٨٧.

٣٢ - شَعَاب:

بفتح أوله وثانيه قرية ذات نخل من قرى القطيف تقع في الجنوب من رأس القليعة وشمال جاوان وصفوى.

وهناك واحات أخرى صغيرة أو مراكز مياه قليلة الأهمية من بقايا الواحات التي كانت تزخر بها صحارى البيضاء كالرويحة والفاقعة والعبا والعلا منتشرة في الصحارى المجاورة، وتابعة إداريًا لمراكز إمارة منطقة القطيف.

وقد جاء في بيان مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية والاقتصاد الوطني لتقسيم الإمارات في المنطقة الشرقية الصادر عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) بأن للقطيف ١٩ قرية و٩ موارد ولصفوى ١٤ قرية ولسيهات ٣ قرى. وهذا العدد من القرى شاملاً جميع الضواحي والقرى التابعة لكل مدينة، حسب تقسيم مراكز الإمارات في ذلك الحين.

ومن الملاحظ أن جميع قرى القطيف كانت قديمًا مؤسسة على أرض صخرية، ولعلها اختيرت هذه المواقع للسكن لتكون بمنأى عن رطوبة الواحة، لاسيما في فصل الشتاء، كما أنها كانت محاطة بأسوار ذات أبراج على شاكلة قلعة القطيف، لتكون مراكز دفاعية للسكان، لتحميهم من سطو البدو وغاراتهم المتتالية في الأيام الغابرة، أما الآن فقد أهمل شأنها لاستتباب الأمن في ربوع هذه المنطقة كما هو الشأن في سائر أنحاء المملكة فانمحت معالمها وتخطاها العمران.

كما يشاهد في السنوات الأخيرة أيضًا ازدهار الحركة العمرانية في مدينة القطيف وضواحيها على السواء، فضاقت مساحتها القديمة المحاطة بالأسوار عن استيعاب هذه الحركة العمرانية، فأخذت المباني تلتهم المساحات المجاورة والبساتين القريبة والمناطق البحرية، فقامت أحياء سكنية جديدة، تزخر بالفلّات الحديثة والأبنية المسلحة، وكان لمشروع صندوق التنمية العقارية في منح القروض الطويلة الأجل[1] أعظم زخم في انتشار الحركة العمرانية وانبثاق الأحياء السكنية الجديدة.

(١) يسدد القرض على أقساط سنوية لمدة خمس وعشرين سنة بدون فوائد بل يخصم من كل قسط =

ولـوزارة المـواصلات في فتح الطرق وتزفيتها وربط القرى بالمدن أكبر دور في تسهيل المواصلات وتحديث المنطقة، ولا ننسى دور وزارة الشئون البلدية والقروية في العنـاية بتجميل المـدن وتبليط الشوارع الداخلية وتنويرها، ولقد تغيَّر بالفعل الوجه الكالح لهذا البلد القديم بعد أن دخلت الكهرباء في كل مدينة وقرية، وكذلك الخطوط الهاتفية، وبعد أن قام مشروع هندسة المجاري ليشمل المدن والقرى. وكل ذلك من جملة المشروعات الحيوية التي جعلت البلاد تخطو خطوات نحو التقدم والازدهار.

= نسبة ٢٠٪ تشجيعًا للمقترض على انتظام التسديد فإذا رغب في سداد القرض فيخصم له نسبة ٣٠٪ من أصل القرض.

الفصل الثاني

الإنسان:

الجذور الأساسية للسكان
الطبقات الاجتماعية
العادات والتقاليد
الزواج وتقاليده
الألعاب القديمة
الزينة عند المرأة
الألبسة الرجالية والنسائية
المطبخ التقليدي
المساكن والأثاث
اللهجات المحلية وأصولها
الأساطير الميثولوجية
الأديان والمعتقدات
حضارة وتاريخ

الجذور الأساسية للسكان

الموقع الجغرافي للخليج العربي بحكم كونه ممرًا عالميًا في الأزمنة الغابرة وهمزة وصل بين الشرق والغرب، كان ملتقى لجميع الأمم والأجناس، وقد حفل بروافد عديدة من السكان، فمن ثمَّ ذهب علماء الآثار إلى أن آثار الاستيطان البشري في المنطقة الشرقية أكثر وضوحًا في أي جزء آخر من المملكة[1] فمن أول من استوطنها؟ ومن هي الأقوام التي وفدت إليها في الأزمنة السحيقة وخلفت تلك الآثار؟ ومتى استقرت فيها أو هاجرت منها؟ وما هي السلالات التي انصهرت في هذه البوتقة التي زخرت بمختلف الشعوب والأجناس؟

هذه الأسئلة وغيرها لاتزال تقف منتصبة أمام عين الباحث كألغاز وأحاجي، يغلفها ضباب الصمت، ولم يعثر حتى الآن على أجوبة شافية لتلك الأسئلة، ولعل علماء الآثار الذين استعصى عليهم الحل في وقتنا الحاضر أن يهتدوا إلى إجابة تكشف غوامضها في مستقبل عاجل أو آجل.

لقد اكتشف علماء الآثار في هذه المنطقة آثارًا قديمة تعود إلى العصر الحجري والعصر النحاسي والبرنزي، عثروا عليها في مناطق كثيرة من الخليج العربي، وعثروا كذلك على آثار مختلفة أحدث منها، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد وما بعده،

---

(١) مقدمة عن الآثار بالمملكة العربية السعودية، ص٣٦.

ولكنهم لم يتمكنوا من اكتشاف هوية أولئك الأقوام الذين خلفوها، فنسبوها إلى البقاع التي اكتشفت فيهـا، وصنفـوهـا حسب أعـمارها وطرازها، كالعصر العبيدي وعصر الوركاء وجمدة نصر وباربار وأم النار وغيرها، ومعنى ذلك أن تاريخ سكان هذه المنطقة يمتد إلى تلك العصور المغرقة في القدم، ويعود إلى العصور الأولى من تاريخ البشرية.

إن الـظواهـر الوراثية الموجودة حاليًا بين السكان تدل على أن هناك مزيجًا من الشعـوب نشـأ بحكم التـزاوج والمصـاهـرة منذ القدم، وترك بصماته على أجسامهم ووجـوههم، فمن بياض البشرة وسمزتها، إلى تجعد الشعور وانبساطها، أو سوادها وشقرتها، إلى اختلاف ألوان العيون، إلى استطالة الأنف ودقته، أو انبعاجه وقصره، إلى غلظة الشفاه ودقتها، إلى كثافة اللحية أو انحسارها. . كل ذلك دلائل على أن دماء سكان هذه المنطقة كان مزيجًا من دماء مختلفة.

لقد تدفقت على هذه المنطقة موجات بشرية من جهاتها الأربع، في فترات من تاريخها.

أما الشعوب السامية التي ظهرت في الشمال منذ فجر السلالات الأولى وازدهرت حضـارتهـا، كالسـومريين والاكديين والأشوريين والبابليين والكلدانيين والفينيقيين، فيرجع أكثر الباحثين إلى أنهم نزحوا من الخليج العربي في فترات متعاقبة.

وقـد اشتهر من سكانها الساميين الأوائل قوم عرفوا بالكنعانيين، وتحدر منهم العمالقة وهم أبناء عمليق الذين تفرعت منهم قبيلة جاشم وهي القبيلة التي يتألف منها سكان البحرين وعمان[1]، ويقول ابن الأثير في تاريخه إن أهل البحرين وعمان هم من العمالقة الذين يقال إنهم من الكنعانيين[2] وإلى هؤلاء كما هو الشائع على ألسنة السكان - يعزى - حفر العيون القديمة في الواحة.

(١) مروج الذهب، ج١ ص٥٣؛ والمفصل ج١، ص٣٤٦؛ ونهاية الأرب، ص٢٠٢

(٢) الكامل، ج١، ص٧٨.

وتحدر من الكنعانيين فئة عرفت بالفينيقيين أخيراً، هاجرت من هذه المنطقة إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط الآسيوية والأفريقية، ويقول فريد وجدي في دائرة معارفه: إنه في سنة ٢٥٠٠ق. م. أخذت سواحل البحر الأبيض المتوسط في آسيا تأهل بقوم نزحوا من الشرق وقالوا إنهم من الكنعانيين، وكانت مدائن الكنعانيين على سواحل الخليج في إقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم القطيف أو البحرين[١]، ويذكر القديس أغسطين (٣٥٣-٤٣٠م) أن أبناء المستعمرات الفينيقية القديمة لم يكونوا في أيامه قد نسوا موطنهم الأول، فكان الفلاح إذا سئل من هو؟ أجاب أنه كنعاني[٢].

وخلال هذه الأحقاب المتعاقبة التي امتدت إلى العهد الذي تعرف فيه اليونانيون على الخليج، حفلت هذه المنطقة بألوان عديدة من السكان وأفواج من بقايا الجيوش الغازية التي استطابت الإقامة فيها من أكديين وآشوريين وبابليين وفرس وغيرهم، لاسيما بعد أن وطأت جيوش الاسكندر المقدوني[٣] سواحل الخليج، فيحدثنا التاريخ أنهم أنشأوا مراكز ومحطات على السواحل لتموين السفن بالزاد والماء، ثم ما لبثت هذه المراكز أن صارت أسواقًا لتبادل السلع والنشاط التجاري، فأقام جمع منهم في هذه الأسواق الجديدة واستوطنوها واتخذوها دارًا لهم ووطنًا جديدًا، فلما زالت دولة السلوقيين[٤] في العراق، وزال نفوذهم السياسي والعسكري بزوال دولتهم ضعفت تلك المستوطنات، وانقطعت روابطها بالأم، فهاجر من هاجر، وتأقلم الباقون، واستعربوا

(١) المصدر نفسه، ج ٧، ص٥٩٠.

(٢) تاريخ لبنان، ص ١٠٠.

(٣) هو الإسكندر الثالث ابن فيليب الثاني الملقب بالإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) خلف أباه على عرش مقدونيا سنة ٣٣٦ق.م. وهو في سن العشرين فقام بإخضاع الثورات في المدن الإغريقية وفي عام ٣٣٤ق.م. بدأ بتنفيذ مشروعه في محاربة الفرس الذي تبناه أبوه فاحتل بلاد الشرق الأدنى واجتاح الإمبراطورية الفارسية وتوغل في الهند فاحتل إقليم البنجاب وعند عودته توفي ببابل دون ولاية عهد فتقاسم قواده إمبراطوريته.

(٤) نسبة إلى سلوقوس أحد قواد الإسكندر الذي استولى على سوريا وآسيا الصغرى بعد موته وأسس الدولة السلوقية وجعل عاصمتها سلوقيا على شاطىء دجلة (٣١٢-٦٤ق.م.).

بالتدريج حتى صاروا عربًا مثل سائر العرب[1]. ومما يذكر أن الفرس أكرهوا جماعات من أسرى الروم الذين سقطوا في أيديهم وأسكنوهم في سواحل الخليج[2] وجنوبي العراق وقد تكونت من أولئك وهؤلاء مستوطنات معروفة، وأشهرها مستعمرة أمبي AMPE التي كونها الملطيون، الذين نقلهم الملك دارا[3] DARIUS إلى السوس على مقربة من مصب دجلة[4]، ومدينة كراكس CHARAX التي أنشأها الإغريق على فم الخليج.

وقد استرعت الجزيرة العربية لاسيما الخليج اهتمام اليونانيين ومن أتى بعدهم من البطالسة والرومان، فأولوها عنايتهم ووجهوا لها الرحالة والمكتشفين فوضعوا لها الخرائط، ووصفوا مدنها وقبائلها وأحوال سكانها، كالجغرافي اليوناني سترابون وديوروس الصقلي وازيدور الكراكسي وبلينوس، ويأتي في طليعتهم بطليموس صاحب كتاب الجغرافيا الذي ذكر عددًا من القبائل التي كانت تسكن هذه المنطقة، ومن بينها قبيلة لينيتي LAINITAE التي كانت تسكن القطيف، وهي فرع من اللحيانيين على رأس كلاسر وشبرنكر[5] وقبيلة أخرى تسمى تيم THAEMAE ومواطنها ممتدة على الخليج بين جرا GERRE ولينتي أرض القطيف وهي من القبائل المتحدرة من بني عبدالقيس[6]. ومن القبائل التي تسكن ناحية القطيف قبيلة كيبي KABIE والتي سمى الخليج باسمها كيبوس SINUS CAPEUS والذي تقع فيه جزيرة تاروت، وهي من القبائل المعروفة أيام تغلاث فلا شر ملك أشور (٧٤٥-٧٢٧ق. م.) وقد عدها دليتس DELITZCH

(١) العرب قبل الإسلام، ج٣، ص٣٤٩.
(٢) المصدر السابق، ج٣، ص ص٣٧١-٣٨٢.
(٣) أحد ملوك الدولة الكيانية الفارسية التي قوضها الإسكندر في فتوحاته (٥٢١-٤٨٥ق. م.).
(٤) العرب قبل الإسلام، ج٣، ص٣٤٩.
(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٨١.
(٦) ذكر القلقشندي في كتابه نهاية الأرب، ص١٨٩-١٩٢ عددًا من القبائل التي تسمى تيم أو تيم. الله منها بنو تيم الله بطن من بكر ابن وائل ومنها بنو تيم الله من النمر ابن قاسط بن أقصى بن دعمي بن جديلة وهم من قبائل بني عبدالقيس.

من جملة قبائل بني ارم، وقبيلة أخرى سماها بطليموس IDISITAE التي هي قبيلة اياد[1] وقبيلة ABUCAEI أوABOUKAIOON التي هي قبيلة عبد القيس، وهاتان القبيلتان معروفتان لدى مؤرخي العرب ونسابيها، ويبدو أن تاريخ تلك القبائل العربية ضارب في القدم، يمتد إلى ما قبل الميلاد.

ومن القبائل التي ذكرها قبيلة جلبوس GAULOPES وأخرى تسمى كتى KATTI تسكن الخط CHATENI أي سيف البحرين[2] وهي التي أعطت اسمها للساحل الغربي من الخليج الممتد من البصرة إلى قطر، فعرف باسم الخط لدى الجغرافيين العرب، كما توجد قبيلة باسم زورازي ZURAZI أو زوراكي ZURACHI وربما كان لاسمها علاقة بمدينة الزارة المشهورة في التاريخ الإسلامي، والواقعة على مقربة من العوامية، والتي كانت حاضرة لهذه المنطقة.

وهنا نلاحظ أن كثيراً من القبائل العربية التي أشار إليها المؤرخون الإغريق، قد ذكرها المؤرخون العرب بشيء من التفصيل بل ذكروا إلى جانبها قبائل كثيرة استوطنت هذه المنطقة، كقبيلة جاسم المتحدرة من العمالقة[3] وقبيلتي طسم وجديس البائدتين[4] هذا إلى جانب حديثهم عن قبائل مشهورة أخرى كقبيلة قضاعة وقبيلة الأزد وقبيلة إياد وبني تميم وبكر بن وائل وتيم الله وقبيلة عبدالقيس التي رسخت جذورها في هذه المنطقة وانتشرت فروعها.

وقد زخرت هذه المنطقة بمختلف القبائل العربية، سواء منها العدنانية والقحطانية لاسيما بعد أن كثر نسل معد بن عدنان، وضاقت منطقة الحجاز وتهامة عن استيعابهم، كما أن للحروب فيما بينهم وبين ربيعة ومضر خاصة دور بارز في تفريقهم

---

(١) العرب قبل الإسلام، ج٣، ص٣٨٢ و٤٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٠.
(٣) نهاية الأرب، ص٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٠٥.

وتشتيتهم، فنزح منهم إلى نجد والهلال الخصيب، ومنهم من تنخ ببلاد البحرين وعمان، فاستوطنوها، ومن الملاحظ أن من الصعب ربط تسلسل الأنساب وإرجاعها إلى أصل معين، فقد تتداخل قبيلتان متباعدتان في النسب، بسبب الاتفاق في الاسم فقط، كما أشار إليه ذلك الهمداني[1] والقلقشندي، وقد اختلف النسابون في كثير من القبائل العربية بسبب ما حصل لبعض القبائل في انتسابها تارة إلى قحطان باعتبارها العرب العاربة، وتارة إلى عدنان المستعربة، لتتشرف بالفرع الذي تحدر منه نبي الإسلام، وأحيانًا تتدخل ظروف اجتماعية وسياسية تدفعها إلى تغيير انتسابها مرة بعد أخرى، كما حصل لقبيلة عك التي انتسبت إلى العدنانيين ثم انتسبت إلى اليمنيين وحين اصطدمت بقبائل غسان رجعت إلى انتسابها الأول[2].

ومن الصعوبة بمكان أيضًا تعيين أول قبيلة عربية استوطنت هذه المنطقة، ويبدو من حديث الطبري أن قبيلة الأزد أول قبيلة عرفت باستيطانها بلاد البحرين[3]، كما كان لها وحدها السيادة على بلاد الخليج وفي ذلك يقول شاعرهم:

وازد لها البحـــران والسيف كله وأرض عمان ثم أرض المشقــر

ثم لحقت بها قبيلة قضاعة القادمة من تهامة بزعامة مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة، ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد، مع عدد من القبائل العربية كقبيلة قنص كلها بزعامة الحيقار بن الحيق، وقبيلة إياد بزعامة غطفان بن عمرو بن الطمثان وزهر بن الحارث بن الشلل وصنح بن صنح بن الحارث، فاجتمعت هذه القبائل بالمنطقة، وعقدت حلفًا فيما بينها وتحالفوا على التنوخ (أي المقام) وتعاقدوا على التناصر والتآزر، فصاروا يدًا واحدة على الناس وشملهم اسم تنوخ، وكأنهم قبيلة واحدة، ولما تمت مصاهرة قبيلة قضاعة لقبيلة الأزد بزواج جذيمة الأبرش الأزدي من لميس أخت زهير بن عمرو بن فهم القضاعية توثقت عرى الروابط بين

(١) صفة جزيرة العرب، ص٩٠.
(٢) العرب قبل الإسلام، ج١، ص٣٠١.
(٣) تاريخ الطبري، ج١، ص٤٣٧.

القبيلتين فانضمت الأزد إلى الحلف التنوخي، فكانت لهم جميعًا السيادة على بلاد البحرين[1].

وحين قدمت قبائل بني عبدالقيس[2] من تهامة[3] بزعامة عمرو بن الجعيد المعروف بالافكل وسيد ربيعة في الجاهلية إلى بلاد البحرين تصدى لها جمع من قضاعة وإياد لطردها من أراضي المنطقة، فحملت إياد على قبيلة شن إحدى قبائل عبدالقيس التي يرأسها سعد السعود الشني وفتكت بها فتكًا ذريعًا، حتى كادت تفنيها، غير أن حشودًا من عبدالقيس هبت لنصرتها، فحملت على قضاعة فهزمتها شر هزيمة، ثم مالت على إياد وجموعها، وأصلتها قتلاً ذريعًا، وألحقت بحلف تنوخ هزيمة فادحة، حيث لحقت فلولهم ليلاً بالعراق.

ومنذ ذلك الحين تصدع حلف تنوخ في بلاد البحرين، بانسحاب قضاعة، وعلى رأسها مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وجذيمة الأبرش زعيم الأزد ومغادرتهم البلاد إلى الأنبار والحيرة بالعراق حيث كونوا فيها بعد الدولة التنوخية[4] التي تعاقب على عرشها هؤلاء الثلاثة، وقد انفسح المجال لقبيلة إياد لتنفرد بالسيادة على بلاد البحرين.

غير أن قبائل بني عبدالقيس استشعرت في جانبها القوة، لزحزحة إياد ومنافستها، لاسيما بعد أن هزمت حلف تنوخ، فصممت على أن يكون لها موطىء قدم في البلاد، فزحفت على الريف وشدت خيلها بكرانيف النخل[5]، وشعرت إياد بها تبيّته

(١) تاريخ الطبري، ج١، ص٤٣٧.
(٢) أشهر بطونها شن ولكيز ووديعة وعمرو وغنم ودهن والبراجم ونكره وصباح وذهل.
(٣) من قراهم في تهامة جار وقمارى وجبله وبيضاء والقليعة والنبطاء وييان وبيرة ودارا وسلار.
(٤) حين اكتسح الإسكندر الإمبراطورية الإيرانية وقوّض الدولة الأخمينية قام بتقسيمها إلى إمارات لإضعافها وفي عهد حكامها ملوك الطوائف حيث كانت الاضطرابات تعصف بها قدم مالك وعمرو ابنا فهم وجذيمة الأبرش الأزدي إلى الأنبار والحيرة فتهيأت الفرصة لتأسيس الدولة التنوخية حيث تعاقب على حكمها هؤلاء الثلاثة وقد امتدت من سنة ١٣٨م حتى سنة ٢٦٨م.
(٥) الكرانيف جمع كرناف وهي أصول السعف تبقى في الجذع بعد قطع السعف من النخلة.

عبدالقيس فاستصرخت أحلافها، وقالت أترضون أن توثق عبدالقيس خيلها بنخيلكم؟ فقال قائل (عرف النخل أهله)، فذهبت مثلاً، ثم دخلت قبيلة عبدالقيس مع قبيلة إياد في معارك دامية، أسفرت عن هزيمتها وجلائها عن البلاد، وكانت قبيلة إياد تلقب بالطبق لشدتها وإطباقها على الناس لصرامتها وشرها وفي ذلك يقول الشاعر عمرو بن اسوى:

لقيت شن إيادًا بالقنا طبقًا وافق شن طبقه

وقال آخر:

شحطنا إيادًا عن وقاع فقلصت وبكرًا نفينا عن حياض المشقر

وبعد أن تمكن بنو عبدالقيس من السيطرة على البلاد توزعوها فيما بينهم، فانتشرت قبائلهم في أرجاء المنطقة، فنزلت بنو حفص صفوى، وبنو نكرة بن لكيز القطيف وما حولها والشفار والظهران إلى الرمل وما بين قطر وبينونه، وبنو جذيمة بن عوف منطقة الخط وافناءها، ونزلت شن ابن أفصى طرفها وأدناها إلى العراق، ونزلت بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن وديعة والعمور وبنو محارب بن عمرو وعجل بن عمرو منطقة الجوف والعيون والأحساء وقد بقيت بنو عبدالقيس في هذه المناطق محتفظة بها عند ظهور الإسلام[1].

وقد انتشروا في المدن والقرى، وخالطوا السكان القدماء. وشاركوهم في أسلوب حياتهم، وزاولوا الزراعة والصناعة، حتى نبغ منهم شخصيات معروفة في العهد الجاهلي، كهزيز بن شن أول من ثقف القنا بالخط[2] ومنهم الحطمة بن محارب الذي تنسب إليه الدروع الحطمية[3]، وكثير من الشعراء المعروفين في الأدب العربي، وعلى

(١) العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٣٠١.
(٢) جمهرة أنساب العرب، ص٢٩٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٧.

رأسهم طرفة بن العبد صاحب إحدى المعلقات، وقد استوطن كثير منهم المدن والأرياف، وعلى العكس ممن سبقهم من القبائل التي هيمنت على المنطقة من مجموعة قبائل تنوخ، إذ أن أغلبهم احتفظوا ببداديتهم في انتشارهم في الصحاري المجاورة، لذلك سهل عليهم النزوح منها والاتجاه إلى أماكن أخرى دون أن تشدهم روابط وطنية أو علاقة بالأرض.

ويستفاد من حديث البلاذري أن أغلب القبائل التي نزحت إلى هذه المنطقة كانت تقيم في باديتها حتى ظهور الإسلام، على الرغم من سيطرتها في بعض الأحيان على المدن.

وكانت المدن تزخر بالجاليات ولهذه الجاليات تقاليدها وديانتها كالمجوسية واليهودية والنصرانية والوثنية، وهي معروفة حتى بعد ظهور الإسلام، وكانت تتمتع بالمراكز الإدارية والجاه والنفوذ، وتسيطر على الحياة الاقتصادية، لذلك كانت العناصر العربية ببساطة حياتها وصفاء نفوسها أكثر استجابة للدعوة الإسلامية وأسهل تقبلاً، على العكس من تلك الجاليات الحضرية التي لها جذور دينية راسخة وعقائد متوارثة، فلم تستطع التخلي عن دياناتها فقبلت دفع الجزية، وفي حادثة الردة انحازت تلك الجاليات إلى المرتدين، وانضمت إلى جيش الحطم بن ضبيعة زعيم بكر من وائل، وحاربت إلى جانبه ضد بني عبدالقيس، التي بقيت على إسلامها بزعامة الجارود بن المعلى العبدي كما تحدثنا به أخبار الردة.

ويبدو أن تلك الجاليات قد فقدت رصيدها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بعد حادثة الردة، وتضاءل وجودها في المجتمع، بعد أن سيطرت بنو عبدالقيس، فلم يعد لها ذكر فيما بعد، وقد تغلبت العناصر العربية المتمثلة في قبيلة عبدالقيس والقبائل المنضوية تحتها من بكر بن وائل وبني تميم، فكتبت لها السيادة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حتى طبعت التركيب السكاني في المنطقة بطابعها، بانتشار أفخاذها في المدن والأرياف والبادية.

ولانصهار قبائل بني عبدالقيس في الحياة الحضرية في مجتمع المدينة والقرية ضعفت ذاكرة الفرد في الانتماء إلى القبيلة على مرور الزمن، وصعب عليه تسلسل نسبه وإرجاعه إلى فخذ معين، وحلت الأسرة محل الرابطة القبلية في مدن القطيف وقراها، وهي حتمية تاريخية ملازمة للحياة الاجتماعية الحضرية، فكلما ضعفت الذاكرة في الانتماء إلى القبيلة كان الفرد أقرب إلى المجتمع الحضري.

أما من آثر من بني عبدالقيس حياة الحل والترحال والحياة في البادية فظلوا محتفظين بتسلسل أنسابهم، ولم ينصهروا في بوتقة السكان وقد تفرعت قبائلهم وقويت شكيمتهم حتى استطاعوا السيطرة على البلاد في فترات من تاريخها، فكانوا في بادىء أمرهم يستخدمهم الطامعون في البلاد، وحينما يضعف الحكم المحلي ينقضون على مراكز السلطة، كما حدث لبني ثعلب وبني عقيل وبني سليم[1] حينما زالت دولة القرامطة ثم للعيونيين[2] الذين بسطوا نفوذهم على المنطقة جميعها في القرن الخامس الهجري، وأقاموا دولة عمرت نحوًا من ١٧٦ عامًا، وكما حدث لبني خالد، حينما ضعفت الخلافة العثمانية فانقضوا على القطيف والأحساء وطردوا الأتراك سنة ١٠٨١هـ وأقاموا دولة عمرت قرابة ١٢٧ عامًا.

وتبعًا لتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية أخذت ظاهرة البداوة طريقها إلى التلاشي، بعد أن جذبت الحياة الحضرية كثيرًا من أفراد القبائل لاسيما أولئك الذين تعلموا، أو زاولوا الأعمال المدنية أو التحقوا بالوظائف أو العمل في مناطق الزيت.

ويلاحظ أن هذه المنطقة ما كانت تعرف استتباب الأمن إلا في فترات قليلة من تاريخها، وذلك بحكم وضعها الجغرافي، حيث تكتنفها الصحارى من كل جانب، ويهدد البدو أمنها واستقرارها في كل لحظة، وحتى قبائل البادية نفسها كانت تسودها شريعة الغاب حيث كانت مسرحًا للتشاجر والتناحر والاقتتال فيما بينها، فكانت كل

---

(١) أفخاذ متفرعة من قبيلة عبدالقيس.

(٢) يرجع نسبهم إلى عبدالقيس.

قبيلة قوية تحاول إزاحة القبائل الأخرى، إلا من انضوى تحت سيطرتها، وقد أدى ذلك إلى اختلال الأمن في أرجاء المنطقة، ولم تتمتع هذه البلاد بنعمة الأمن والسلام إلا في ظل الحكم السعودي الزاهر، حيث قطع دابر هذه المهازل، وقضى على تلك الفوضى الضاربة، ووطد دعائم الأمن والاستقرار، وبزوال تلك الأوضاع جنحت كثير من القبائل إلى التحضر واستيطان المدن ومزاولة الأعمال المدنية[١].

وكانت أهم القبائل التي عرفتها منطقة القطيف، والتي كانت تتردد عليها أو تقطن بجوارها، هربًا من لهب الصحراء أثناء فصل الصيف بنو خالد[٢] وبنو هاجر[٣] وآل مرة[٤] والعجمان[٥]، وتتركز إقامتهم في عنك وأم الساهك وحزم صفوى.

---

(١) بدأ المرحوم جلالة الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية الحديثة بالخطوة الأولى في تحضير البدو وتطوير حياتهم فخصص لهم هجرًا وأجبرهم على الإقامة فيها ومزاولة الأعمال الحضرية كالزراعة، بدلاً من الحل والترحال، فبلغت قراهم في عهده نحو مائتي قرية.

(٢) النسبة إليها خالدي: كان أول قدومهم إلى هذه المنطقة في منتصف القرن العاشر الهجري كما ذكر مؤلف كتاب تحفة المستفيد ص١٤، وقد قدموا مع الجيش العثماني فأنزلهم الترك الرجراجة بالأحساء تعزيزًا لقواتهم وقد جاؤوا بهم من بادية الشام، وحين ضعفت دولتهم انقضوا على الأحساء والقطيف فملكوهما، فمن المحتمل أن يكون أصلهم خالد حمص أو خالد الحجاز وقد انتشروا في حواضر المنطقة وباديتها، ومن مواطنهم جزيرة جنة والمسلمية والجبيل وعنك، وقطنت الأحساء بطون منهم وتحضرت، كآل دوغان وآل غنيم وآل شباط وآل عباس وآل بدين وآل فارس، كما توجد بطون منهم في قطر والكويت وقد تحضر معظمهم في الوقت الحاضر وزاولوا الأعمال المدنية وانتشروا في مدن المنطقة الشرقية واستقطبت عنك بسكنى أغلبيتهم فعمروها، وكانت مناخًا لهم سابقًا خلال فصل الصيف.

(٣) النسبة إليهم هاجري، ويلتقون مع المناصير في أرومة واحدة، وقد انحدروا من الجنوب حوالي القرن السابع عشر أو الثامن عشر إلى الجهة الشرقية، وسكنوا شبه جزيرة قطر ثم تحول أغلبهم إلى شرقي الأحساء وتقدر نفوسهم بنحو عشرة آلاف نسمة.

(٤) النسبة إليهم مرّي، ويلتقون في النسب مع العجمان في الجد الأعلى وهو يام من نسل قحطان وكان موطنهم الأصلي نجران، ويعتبرون من أكبر القبائل وأقواها وتقع ديارهم شرقي رمال الدهناء والربع الخالي، ويتميزون بمقدرتهم على قص الأثر، وتقدر نفوسهم بنحو خمسة وثلاثين ألف نسمة.

(٥) النسبة إليها عجمي وهي إحدى القبائل القحطانية. موطنهم الأصلي نجران، ومازالت بقاياهم =

والسكان في مدينة القطيف وقراها تنعدم بينهم الروح القبلية، وجميعهم تتوزعهم أسر متفرقة فقلما تستطيع الأسرة أن تنتمي إلى فخذ معين من القبائل العربية القديمة، وكان نظام العائلة الممتدة الذي كان يجمع بين أفراد الأسرة الكبيرة من جد وأب وابن وأزواجهم وأولادهم هو النظام السائد في المدينة والقرية سابقًا، إلا أنه أخذ أخيرًا في التفتت والزوال بعد أن حلَّ نظام الأسرة النووية محله وهي عبارة عن الأسرة الصغيرة التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد الصغار.

وكثيرًا من أسر القطيف تجدها موزعة في بلدان الخليج كالبحرين والأحساء والكويت وعمان والمحمرة والعراق، نتيجة لاضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية سابقًا، فإذا اضطربت الأوضاع في بلد قذفت بهم إلى البلد الآخر، ثم لا يلبث المهاجر أن يتوطن فيه لاسيما إذا لم تتبدل تلك الأوضاع السيئة أو ارتبط مع مهجره بأعلاق مادية أو اجتماعية، والشيء الملاحظ أن المهاجر القطيفي تشدّه إلى مسقط رأسه جاذبية فريدة، فمهما تغرَّب عن بلده ينازعه الحنين إلى العودة، فيؤوب إليه وإن طال الزمن.

وتبعًا لاستقرار الحياة الاجتماعية وازدهار الوضع الاقتصادي وبفضل الرعاية الصحية والقضاء على الأوبئة والأمراض المعدية ازداد عدد السكان أضعافًا مضاعفة، فبعد أن كانت تلك الأمراض كالجدري والحصبة والسعال الديكي والملاريا والسل والدوسنطارية تفتك بالكبار والصغار دونما رحمة.. أصبحوا الآن في مأمن منها، بعد ردم المستنقعات ومكافحة البعوض ووجود المستشفيات والمستوصفات والعيادات الطبية وحملات التطعيم، بالإضافة إلى توافر المواد الغذائية ومياه الشرب النقية والسكن الصحي، حتى أصبحت تلك الانطباعات القديمة عن المناخ الصحي للبلاد حديث خرافة بسبب وجود المستنقعات وانتشار الملاريا والتي عبَّر عنها الشاعر بقوله:

ومن يسكن البحرين يكبر طحاله ويحسد بما في بطنه وهو جائع

= هناك، نزحوا إلى نجد ثم إلى منطقة الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري عندما ضعفت دولة بني خالد، ولمع ذكرهم في الحروب السعودية، وتاريخهم مليء بالفواجع والانتكاسات، وتقدر نفوسهم بنحو أربعين ألف نسمة.

أو قول رؤبة العجاج:

هم إذا لم يعـــده هم فتـــك   كأنـــه إذ عاد فينـــا وزحـــك

حمى قطيف الخط أو حمى فدك

أو قول الفرزدق:

كأن أخـا الهم الذي قد أصابه   به من عقـابيل القـطيف ملالها

فقد تم القضاء على الملاريا والأمراض المعدية قضاءً تامًّا، وتبعًا لتقدم الحياة الصحية ازدادت نسبة المواليد زيادة كبيرة وقلّت الوفيات، وأصبح متوسط العمر نحو ٦٥ سنة، بعد أن كان لايتجاوز الأربعين، ونمى السكان نموًّا كبيرًا عمّا قبل ذلك، ولا يوجد إحصاء دقيق بصفة دورية للنفوس، كما هو متبع في البلاد الأخرى، وآخر إحصاء جرى عام ١٣٩٣هـ، فكـان مجمـوع سكـان القطيف بما فيها سيهات وصفوى هو ١٣١٩١٩ نسمة منهم ٦٨٢٦٤ ذكورًا و٦٣٦٥٥ إناثًا[1]، مع الملاحظة أن هذا الإحصاء غير دقيق، إذ لم تسبقه توعية للجمهور وتقدر نفوس الواحة بما فيها من مدن وقرى بنحو ثلاثمائة ألف نسمة في الوقت الحاضر.

الطبقـات الاجتماعيـة

كان المجتمع في القطيف قبل اكتشاف البترول يتميز بظاهرة الطبقية، بحكم كونه بلدًا زراعيًّا، إذ كانت القطيف في مواردها الاقتصادية تعتمد في الدرجة الأولى على الإنتـاج الـزراعي لاسيما بعـد أن تدهـورت أعمال الغوص نتيجة هبوط أقيام اللؤلؤ الطبيعي في الأسواق العالمية.

فكـانت هنـاك طبقة الملاك، التي تعود إليها ملكية الأرض وإلى جانبها طبقة الفلاحين الذين يعملون في الزراعة ويليها في الأهمية طبقة العمال الذين يعملون في

---

(١) المعجم الجغرافي، ج١، ص٣٧.

البحر، ويمتهنون الغوص وصيد الأسماك. أما طبقة التجار فهي من الأقلية بمكان، وغالبًا ما تندمج في طبقة الملاك، وحتى أولئك الذين يعملون في البحر أو يمارسون الحرف والصناعات التقليدية كالنسيج وصناعة الحصر والفخار وغيرها كانوا ينضوون تحت طبقة الفلاحين، فالأكثرية منهم تمارس هذه الأعمال المختلفة إلى جانب عملها في الزراعة، كما أن أغلبية التجار من أصحاب رؤوس الأموال الذين يتعاطون التجارة المحلية أو أعمال التصدير والاستيراد، أو الذين يموّنون سفن الغوص كانوا من فئة ملاك الأراضي، وعلى هذا الأساس يمكن أن نحصر الوضع الطبقي في القطيف إلى طبقتين رئيسيتين، طبقة موسرة تعيش على ريع أملاكها، وطبقة معدمة تعيش على كدها وعرق جبينها.

وعلى الرغم من مساوىء هذه الطبقية وتفاوت فئة على فئة في الاعتبارات الاجتماعية، إلاَّ أنَّ ما يسمى بالإقطاعية(١) المعروفة في البلاد الزراعية الأخرى لا توجد في القطيف.

وتقف طبقة الملاك في قمة الهرم الاجتماعي، فهم الذين كانوا يشكلون الطبقة الأرستقراطية في المجتمع، ومن أوساطهم يبرز الوجهاء والأعيان والشخصيات المسئولة في البلد، وهم الذين يتحملون تجاه السلطة أعباء الزكوات والرسوم.

وتتفاوت الأسر في الاعتبارات الاجتماعية، ويستند مجد الأسرة على ما تحصل عليه من علم أو مال، فإذا حصلت على واحد منهما، وظل متوارثًا فيها، برزت على مسرح الحياة الاجتماعية كأسرة محترمة، لها مكانتها المرموقة في المجتمع، أما إذا تناقص

---

(١) الإقطاع نظام اقتصادي زراعي كان منتشرًا في العالم منذ القدم وقد كان في مصر حتى عام ١٩٥٢م وهو عبارة عن مساحة كبيرة من الأرض الزراعية تضم تجمعات سكنية كالقرى، وجميعها تعود إلى ملكية فردية، فإذا بيعت لشخص آخر بيعت الأرض ومن عليها من بشر وحيوان، أما الأراضي الزراعية في القطيف فتتألف من ملكيات صغيرة مجزأة إلى مجموعة من البساتين، لذلك قلّما يقتصر الفلاح على بستان واحد من ملاك واحد.

رصيدها من هذين العنصرين فإن مكانتها الاجتماعية تتلاشى، وتذوب في خضم المجتمع.

هكذا كان الوضع الاجتماعي فيما مضى، أما بعد اكتشاف الزيت والتحاق اليد العاملة بالوظائف والأعمال في الشركات والبنوك والمؤسسات، وبروز عدد من المقاولين ورجال الأعمال والتجار، فقد انقلبت تلك الاعتبارات الاجتماعية رأسًا على عقب، وساعد على ذلك انتشار التعليم، وحصول أبناء الطبقة الكادحة على المؤهلات، ونجاح بعض منهم في الأعمال الحرَّة، فبرزت في المجتمع طبقة المتوسطين من التجار والملاك ورجال الأعمال والمقاولين وأصحاب المهن الحرَّة، بالإضافة إلى طبقة الموظفين العاملين في دوائر الدولة والبنوك والشركات بعد أن ارتفع مستوى الدخل، وفي الوقت نفسه كانت طبقة ملاَّك الأراضي تعاني مشكلات كثيرة، من جراء إهمال البساتين وقلة اليد العاملة فيها وهبوط أسعار المحاصيل التي لاتتناسب مع تكاليفها، مما أدى بهم إلى عدم الاعتماد عليها، والانخراط في الأعمال الأخرى، ونتيجة لذلك تقلصت الفوارق الطبقية من واقع الحياة الاجتماعية.

العادات والتقاليد

البنية الاجتماعية هي عبارة عن مجموعة من الأفراد تربطهم أواصر روحية وعرقية وتاريخية وتراثية، ويشدهم انتماء وولاء للأرض التي نشأوا فيها، وتحكمهم علاقات اجتماعية مكونة من العادات والتقاليد، لذلك نرى المجتمعات في المدن القديمة كالقطيف والأحساء ينطبق عليها هذا المفهوم، على العكس من المناطق المستجدة، كالدمام والخبر ورأس تنورة وسائر مناطق البترول والمدن الصناعية، التي نشأت، حديثًا، فعلى الرغم من ازدهارها اقتصاديًّا ونمو العمران فيها، إلَّا أن سكانها يشكلون تجمعات بشرية، مختلفة المشارب والأهواء، متنوعة العادات والتقاليد، ويفقدون خصائص البنية الاجتماعية، إذ لا تربطهم بالأرض سوى المصالح المادية المؤقتة، بحكم أعمالهم ووظائفهم، لأنها وحدها هي التي دفعتهم إلى الهجرة إليها وشدَّتهم إلى

الإقامة فيها، لذلك ما أن تنتهي تلك المصالح حتى يبارحوا هذه المدن، بينما سكان المدن القديمة يشدهم انتماء للأرض وتحكمهم روابط قائمة بين مختلف مظاهر الحياة، تنظم الأفراد والجماعات، فهم لذلك يعيشون حياة اجتماعية، بينما أولئك يعيشون حياة جماعية.

والخطوط العريضة من تقاليد المجتمع القطيفي وعاداته تكاد تكون متقاربة مع المجتمعات الخليجية، وهي صورة مجسدة للتقاليد العربية الأصيلة التي توارثوها جيلاً بعد جيل، وسنتحدث عن أهم المعالم البارزة التي طرأ عليها التبدل وغزتها موجة التطور.

أولا: نظام الأسرة:

من التقاليد التي كانت متبعة عندنا حتى عهد قريب نظام العائلة الممتدة، وهو مازال حيًا في بعض المناطق، لاسيما في القرى والأرياف، وهو أن يكون كبير العائلة هو عميد الأسرة، الذي بيده الحول والطول ومقاليد الأمور، والسيد المطاع الذي لاينازع، فهو المسئول عن رعاية أفراد العائلة وهو المكلف بإطعامهم وكسوتهم والإنفاق عليهم.

ويمثل كبير العائلة الحاكم بأمره في الأسرة، والملك غير المتوج الذي يحكم رعاياه ضمن مملكته الصغيرة، فكلهم ينتظمون في خدمته، ويدورون في فلكه، ويقدمون له الطاعة والولاء، لذلك فهم لايملكون التصرف في أمر شئونهم الخاصة، ولايعملون شيئًا إلاَّ بإذنه، كما أنَّ الفتاة لاتملك من أمرها شيئًا، فمصيرها مرهون بيد عميد الأسرة، يزوجها من شاء، ويرفض من شاء، وليس لها حق الاعتراض، وعلى العموم كان النظام القبلي بجميع مظاهره يطغى على أوضاع مجتمعنا في عصر مضى.

لقد كان نظام الأسرة يخضع في تماسكه إلى عامل اقتصادي واجتماعي، أما في هذا العصر الذي توافرت فيه أسباب الرزق، وتأثر الفرد بالأنماط الاجتماعية الحديثة، فقد طغت النزعة الاستقلالية على تفكيره، وبدلاً من أن تكون العائلة مؤلفة من عدد

من الأسر في المـاضي، أصبحت لاتشتمل إلاَّ على أسرة واحدة، مؤلفة من الزوجين وأطفالهما في الغالب، وهي الأسرة النووية كما يسميها علماء الاجتماع.

ثانيا: تعـدد الزوجـات:

كان تعدد الزوجات شائعًا فيما مضى، وشذَّ من يقتصر على زوجة واحدة، لذلك كان لكـل فرد ميسـور الحال أكثر من زوجة، وقد تصل إلى أربع، وكانت الحياة في بساطتها وعدم تعقيدها تشجع على هذا الوضع، إذ أن الأمر لا يتطلب أكثر من دفع الصـداق الزهيد، وتهيئة غرفة واحدة في المنزل وحشرها في مجتمع الحريم، دون أن تنقص أو تزيد من ميزانية الأسرة.

أما بعد أن تعقدت الحياة وتنوعت متطلباتها في هذه الأيام فاقتضت الضرورة الاقتصار على واحدة فقط، لاسيما بعد أن تعلمت المرأة وأدركت قيمتها كشريكة للرجل في حياته.

ثالثا: وضـع المـرأة:

كان موقف المجتمـع من المرأة فيما مضى تشوبه نظرة احتقار، فهو يراها دون الرجل مقامًا، ويعتبرها عورة يجب سترها والتوارى بها عن الأنظار والأسماع، فيرى أنه ليس من اللياقة التحدث في شأن من شئونها فحسب، بل يرى من العيب أن يذكر اسمهـا في محافل الرجال، وحسب الرجل إذا ذكر المرأة في معرض حديثه أن يعقب تكريمًا لمستمعه بقوله (حاشاك) وكأن ذكرها من فحش القول، ولعل هذه النظرة كانت متوارثة، ترجع في جذورها إلى أيام العصر الجاهلي.

وقـد بلغ الأمـر أحيانًا درجة استنكاف الرجال من تناول الطعام مع النساء، فيأكلون مع الذكور ولو كانوا صغارًا وكأنهن من جنس آخر، والحقيقة أن وضع المرأة في الماضي كان أشبه بوضع الدواجن في البيت، لا وظيفة لها إلاَّ التفريخ، فليس لها كيان

معترف به، ولا مشاركة في الحياة الاجتماعية، وكانت من صفات الكمال فيها ألاَّ تراها الشمس، وبلغ الأمر بالفتاة قبل الزواج أن يفرض عليها الحجاب حتى على النساء[1].

وليس وضع الفلاحة التي تسهم في العمل بجانب الرجل بأحسن حالاً، إن لم تكن أسوأ، فهي تباع وتشترى في سوق المزايدة عند تزويجها، وليس لها رأي ولا خيار. أما الآن فقد تبدلت الصورة بعد أن حظيت المرأة بنصيبها من التعليم وأصبحت تشارك الرجل في وظائف المجتمع في إطار الشريعة الإسلامية.

رابعا: السلوك الاجتماعي:

من التقاليد المرعية في المجتمع سابقًا طاعة الوالدين، والخضوع لهما والانصياع لأوامرهما، مهما كانت صائبة أو خاطئة، ومنها احترام كبار السن، وتقدير حنكتهم بحكم خبرتهم في الحياة فلا يسبقونهم في الكلام، ولا يمارونهم في الرأي ولا يتقدمون عليهم في المشي أو الدخول والخروج، ولا يبدأون قبلهم في الأكل أو الشرب، بل كانوا يحلّونهم صدر المجلس، ويصغون لما يقولون، ويأخذون بمشورتهم في جلائل الأمور.

ومن الآداب الاجتماعية المتعارف عليها الوقوف عند كل قادم، لا سيما لكبار السن، واستعابة الأكل في الطرقات، والتلفظ بالكلمات البذيئة، وإفشاء السلام وتبادل التحيات مع من يعرفونهم أو لا يعرفونهم، أثناء اجتيازهم في الطريق، أما بالنسبة للمرأة فيفرض عليها الخفر والحياء والطاعة العمياء لزوجها، فلا تخرج إلاَّ بإذنه، ولا تتصرف إلاَّ برأيه، كما يفرض على الفتاة أن تقبع في خدرها، وأن تتحجب حتى عن النساء.

ومن أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية التعاطف والكرم والنجدة، كصلة الأرحام والعطف على الفقراء، ومدِّ يد المساعدة للمحتاج، فإذا حلَّ شهر رمضان أو أيَّام الأعياد وزَّعوا الصلات والصدقات، وإذا أصيب أحدهم بكارثة أو خسارة مالية هبُّوا

---

(١) تدعى (مخبّية) أي مخدرة، وهي التي فرض عليها الخدر والخباء.

لمساعدته، وإذا حدث حريق تضافروا للنجدة والإسعاف بصورة جماعية وكانت رابطة الجوار تحتل عندهم المقام الأول في الرعاية، فيقدمون للجار كل مساعدة ويسبغون عليه عطفهم وصلاتهم ويوصون برعايته فيقولون (عليك بالجار ولو جار) ويحرصون على اتصافه بالسمعة الطيبة والسيرة المحمودة، ويرددون (الجار قبل الدار)، كما كانت للضيف حفاوة بالغة، فكان لكل فرد ميسور الحال مجلس لاستقبال الضيوف، وكان في البلاد عدد من البيوتات، التي كانت لها دار ضيافة لاستقبال الوافدين من كل فجٍّ، فكان النزيل يقيم ما شاء في ضيافتهم إلى أن يستطيب له الرحيل فيغادر معززًا مكرَّمًا.

هذه ملامح من السلوك الاجتماعي فيما مضى، أما الآن فقد تغيَّرت أكثر هذه الملامح، تبعًا للأوضاع التي طرأت على الحياة الاجتماعية، لاسيما حين زخرت البلاد بمختلف الجاليات الأجنبية، وأثَّرت على مظاهر السلوك والعادات.

خامسا: الاحتفالات الدينية والشعبية:

مواسم الأفراح:

١ - تأتي مناسبة حلول العيدين الفطر والأضحى في مقدمة الأعياد الدينية على الصعيدين الرسمي والشعبي، ففيهما تغلق المتاجر وتعطل الدوائر ويقبل الناس على الاحتفال بهاتين المناسبتين، فيلبسون الجديد، وينحرون الذبائح ويقيمون الولائم، وينفقون بسخاء، ويوزعون الصدقات، ويتبادلون التهاني والزيارات، ويفتحون مجالسهم ودواوينهم لاستقبال المهنئين.

وكان الأطفال لا يقلون غبطة عن الكبار في الاحتفاء بهاتين المناسبتين، من لبس الجديد والتباهي به بين الأتراب، والتطلع إلى العيدية التي ينفحهم بها آباؤهم وأقرباؤهم، ثم الخروج إلى الطرقات والميادين العامة لشراء النقولات والمكسرات والحلوى والتباري بتكسير البيض الملوّن. وفي مناسبة عيد الأضحى خاصة يحل موعد رمي الدواخل[١] في البحر، فكان الأطفال يزرعونها بمختلف البذور قبل أن يحل العيد

(١) جمع دوخلة وهي عبارة عن قفة صغيرة مستطيلة الشكل تنسج من خوص النخل وتملأ بروث الحيوانات وتزرع بمختلف البذور.

بأربعين يومًا، ويثابرون على سقايتها كل يوم حتى تنمو، فكانوا يضعونها في وسط إناء مملوء بالماء ويرفعونها وينزلونها وهم يتغنون:

دوخـلتي حجّـي بي إلى أن يجي حبيـبـي
حبـيـبـي راح مكـة ومـكـة المـعـمـورة
فيهـا الـذهـب والـنـورة الـخ......

وفي عصر يوم عيد الأضحى المبارك يذهبون إلى ساحل البحر، ويلقونها في ثبج الماء، بعد أن يضعوا في قلبها قطعة من النقود وشيئًا من لحم الأضاحي، وكأنَّها ترمز إلى نوع من الفدية عن الحجاج الغائبين. ومما يذكر في هذه المناسبة كان كل مسافر لفريضة الحج تنصب في بيته المراجيح حتى يعود من سفره.

٢ - ويُعدُّ شهر رمضان من مواسم الأفراح الدينية، فهو الشهر الذي تنفق فيه الأسرة بسخـاء، وتـرصد له ميزانية خاصة دون سائر الشهور. فتوزع الأطعمة على الجيران والخلان والأقارب وهو شهر الصلوات والصدقات والسهرات التي تمتد حتى الهزيع الأخير من الليل، وتعقد في لياليه الندوات الليلية ويقرأ فيها القرآن والأدعية، وتقام فيه الأسمار وفيه يسمح للأطفال بالسهر والتجوال في الطرقات والشوارع، إذ أن الجن كما كانوا يعتقدون تحبس في قمـاقمها طيلة هذا الشهر، وفيه يجوب (المسحر) أنحاء البلد ضاربًا طبلته أو طارقًا بيوت الناس، ليوقظهم للسحور، قائلاً (لا إله الله صلي على النبي يا صائم) (السحـور يا عبيد الله السحـور) ومن حوله جوقة من الأطفال يرددون ويصفقون، وعندما ينتصف الشهر يبدأ جولته على البيوت، ليتقاضى أتعابه فينفحونه بالعطايا من النقود والحبوب، كذلك الأمر آخر الشهر.

٣ - ومن الأيام التي يحتفل بها: ليلة النصف من شعبان[١] وتسمى (الناصفة) وليلة النصف من رمضـان[٢] وتسمى (الكـريكشون) حيث كانت تقام الاحتفالات

---

(١) (٢) الاحتفال بهاتين المناسبتين عادة منتشرة في الخليج وأكثر البلاد العربية. أما بالنسبة للشيعة فالناصفة تعني مناسبة مولد الإمام المهدي، والكريكشون مناسبة مولد الإمام الحسن بن علي.

وتصنع الـولائم ويلبس الجـديد، وتـطوف النســاء بالمساجد يوزعن النذور ويوقدن الشموع، ويقمن بخياطة أكياس صغيرة لأولادهن، ويضعن لها خيوطًا لتعلق حول أعناقهم وتتدلّى فوق صدورهم، ويقوم الأطفال بجولات بعد الغروب وفي الصباح، يطوفون زرافات من كلا الجنسين، ويتخللون البيوت وهم ينشدون:

ناصــفــة حلاوة كريكـشــون   حلّوا الــكــيس واعــطونــا
لولا (فــلان) ما جينــا   الله يخلي ولــدكــم.. الــخ

وما أن ينتهوا من ترديد أهازيجهم، وتسمع الأم بترديد اسم ابنها حتى تنفتح فيهـا شهية العـطاء، فتنفحهم بما لديهـا من السكسبـال (الفول السوداني) والحلاوة والملبس وأنواع المكسرات.

٤ ـ وتـأتي الاحتفـالات بإطلالة شهر ربيع الأول في مقدمة الأفراح الشعبية سابقًا، فبعد انتهاء موسم الحداد في شهري المحرم وصفر، وبعد الاحتفال بذكرى وفاة الرسول ﷺ يخرج الناس زرافات ووحدانًا، رجالاً ونساءً إلى ساحل البحر ليتحللوا من كابـوس الحـزن، وعنـد عودتهم عنـد الغـروب يجمـع الشبـاب أكـوامًـا من القش والقضقاض، ويوقدونها رمزًا لحرق آثار الحداد، ويتحلقون حولها وهم يدورون وينشدون:

يا بو صفــيره صفَــر   طلع من الحــضــار وطــفــر

وعند عودتهم إلى منازلهم يصطحبون معهم أعوادًا من أغصان الشجر ويسمونها (الخُضرة) ويعلقونها على أبواب منازلهم وغرفهم، تيمنًا بخضرتها، التي ترمز إلى إطلالة الأيام البــاسمــة والحياة البهيجـة، كما يتخلّصـون من الأواني الفخـارية والصينية المتصدعة، فيلقونها من أعلا المنازل في الطرق، فيحدث صوتها قرقعة كإعلان وتحية لقدوم موسم الأفراح.

أمـا الآن فقـد اندثرت هذه العادات، تبعًا للتطور الذي طرأ على المجتمع، وتحولت إلى ذكريات تعيش في ذاكرة كبار السن.

٥ - وكان للمسافر حفاوة بالغة، سواء حين مغادرته أو أوبته، فحين يسافر من ناحية البر يشيِّعونه إلى البدراني[1]، أو إلى الفرضة حين يغادر بحرًا، وكذلك يفعلون حين قدومه من سفره. وكان لعودة المسافر مظهر كبير في المجتمع حيث كانت تفتح المجالس لاستقبال المهنئين وتقام الولائم، وإذا كان المسافر شخصية كبيرة تبارى الشعراء في نظم القصائد ترحيبًا بمقدمه.

هكذا كان الشأن في الماضي حين كان السفر بعيدًا، وتستغرق الرحلة بضعة شهور. أما الآن بعد أن استخدمت وسائل النقل الجوي التي قربت المسافات، وكثر المسافرون والعائدون فقد بهت ذلك اللون البهيج للمسافر، وتضاءلت تلك المظاهر لاسيما في المدن.

٦ - وكان لختان الطفل حفاوة بالغة في الوسط العائلي، حيث تقام حفلة بهيجة وتعمل وليمة بهذه المناسبة يدعى فيها الأقارب والأصدقاء، ويوكل إجراء عملية الختان للحلاق بعد أن يشتد عود الطفل، حيث تسبّب له آلامًا ما ونزيفًا دمويًا وقد يغمى عليه أحيانًا. أما ختان البنت فتجري خلف جدار سميك من السرية بواسطة عجوز متخصصة، وهي عادة شائعة في بعض الأقطار العربية كمصر والعراق وكان الغرض منها الحدّ من نشاط الغريزة الجنسية، وقد هجرت هذه العادة في الوقت الحاضر، لاسيما في الحواضر، كما أن عملية ختان الذكور تتم بواسطة الأطباء في المستشفيات، وغالبًا ما تكون في وقت مبكر.

٧ - ويأتي الاحتفال بالزواج في قمة الاحتفالات الشعبية، وقد فصلنا ما يجري فيها من عادات وتقاليد في فصل لاحق، وكادت تندرس تلك العادات والتقاليد لولا أن هناك محاولة رجعية إلى إحيائها تشبه ردة الفعل، التي نشأت من جراء الركض وراء الصرعات الحديثة.

---

(١) يقع غرب الجارودية، وهو المنطلق للقوافل التي تسافر عبر الصحراء.

٨ - وتعتبر مواسم الغوص من المواسم الشعبية، الحافلة بالمباهج في الخليج العربي على اختلاف مناطقه، بحكم كونه في تلك الأيام من الأعمال المهمة، التي يمارسونها والتي كانت تشكل إحدى الدعائم في موارد البلاد الاقتصادية، وهي موسمية، فحين يحل أول مايو يخرج الناس إلى الساحل زرافات من كلا الجنسين لتشييع قوافل الغواصين وتوديعهم، وهم ينشدون الأهازيج على دقّات الطبول والدّفوف، وكذلك يفعلون عند عودتهم في نهاية سبتمبر بمناسبة القفال[١].

٩ - وهناك مواسم أفراح خاصة بالفلاّحين، كيوم اللفاف، وهو تكميم عذوق النخيل باللّيف، ويوم الصرام، وهو يوم جذاذ النخيل وكذلك أيام السلوق، وهو طبخ البسر وتجفيفه، وفي هذه الأيام التي ينفق فيها بسخاء تعتبر حافلة بالمباهج في حياة الفلاّح.

الزواج وتقاليده

الزواج ظاهرة اجتماعية، حظيت باهتمامات الإنسان منذ القدم ورعتها الأديان والملل، وأحاطتها بسياج من التقديس والتشجيع فسنّت لها الشرائع والنظم، وباركتها النواميس الروحية، ذلك لأنها تمثل القاعدة الهرمية في التماسك الاجتماعي. فعن طريقها يصل الإنسان إلى شاطىء الاستقرار، وعلى صعيدها يقوم بناء الأسرة وتتلاحم الروابط الاجتماعية.

وقد خلّفت المجتمعات الإنسانية ميراثًا ضخمًا من العادات والتقاليد، حيث تشكلت لكل مجتمع عاداته وتقاليده الخاصة، التي تعطيه شخصية مستقلة وتميزه عن المجتمعات الأخرى، ومجتمعنا في الخليج العربي كانت له عاداته وتقاليده الخاصة في الزواج تكاد تكون موحدة الصورة والإطار، وإن اختلفت خطوطها في بعض المناطق اختلافًا جزئيًا.

---

(١) مشتق من قفل المسافر أي عاد من السفر، وهو نهاية موسم الغوص.

ففي منطقة القطيف كانت تتم مراسيم الزواج على النحو التالي:

١ - الخطبة:

وهي أولى مراحل الزواج وكانت تتم بواسطة الأقارب أو الخطّابة المتخصصة لهذا الغرض فتوصف البنت للعريس[1] إذا كان غير مرتبط بإحدى قريباته كابنة عمّه أو غيرها[2] فيوافق عليها دون أن يراها، وبعد استجابة ولي أمرها إمّا بإرسال مكتوب إليه أو مكالمة أهلها شفويًا يرسل لبيت العروس كمية من السمك الطازج الصغار حيث توزع على الأقارب والجيران والمعارف كرمز للبركة والخير وكإعلان عن الخطوبة.

٢ - الملجة[3]:

أي عقد الزواج وهي المرحلة الثانية وقد تمر فترة طويلة بينها وبين المرحلة الأولى، ففي هذه المرحلة يتم الاتفاق على تحديد موعد معينً فتعقد حفلة صغيرة مكونة من الأقارب والمعارف، ويدعى فيها الشيخ (المأذون الشرعي) فيجري صيغة العقد بعد موافقة البنت فيسألها عن قبولها، فإذا سكتت اعتبر سكوتها رضاها وربما كان باعث الحياء والخجل أو الخوف من معارضة الأهل يخفي وراءه الرفض التام على إجراء هذه الصفقة، وفي بعض الأحيان يستغني عن أخذ رأيها فتؤخذ موافقة وليّ أمرها دون الرجوع إليها ويجري العقد دون أن يُسجّل في وثيقة رسمية، ويسلّم الصداق ويرسل مع الهدايا إلى بيت العروس، وجميعها يسمّى (التسلومة) وهي مكونة من المصوغات

---

(١) كانت الصفات التي يجب أن تتوافر في البنت (بلهجة القطيف المحلية) أن تكون بيضاء ولها خشم سلّالي (أي أنف مستدق طويل يشبه سلّة السيف) وعين بيدانية (أي كحبة لوز الشام) وشعر خوصي (أي مسترسل يشبه خوص النخل) وأن تكون خيرة (أي هادئة الطبع) وخاتمة أي تحسن قراءة القرآن الكريم.

(٢) من التقاليد القديمة أن الأقارب غالبًا ما يربطون أبناءهم منذ صغرهم بأطفال على أساس الزواج في المستقبل، وتبقى البنت مسماة للولد حتى تكبر ويزوجونها به.

(٣) بالجيم المخففة (CH) باللهجة المحلية أي الملكة بتسكين اللاّم.

الـذهبية والأقمشـة الحـريرية والقـطنية لها ولأهلها وأقاربها وأكياس الرز والبيدان[1] والنقال[2] والقناطي[3] ورؤوس القند[4].

٣ ـ الدخلة:

أي دخول العروسين وهي آخر مرحلة، وقد تتم بعد المرحلة الثانية مباشرة، وهناك تجري الاحتفالات على قدم وساق فبالنسبة للعروس فإنها قبل الدخول بثلاثة أيام يجري الاحتفال (بغسالتها) أي باستحمامها فتذهب معها الداية[5] في الصباح برفقة أقاربها وجيرانها ومعارفها إلى إحدى العيون وعلى طول الطريق يرددن الأغاني والأهازيج وتقوم الداية بتوزيع العذرة[6] في الزوايا والمنعطفات والترع، وابتداءً من مساء ذلك اليوم تجري الاحتفالات بليالي الحناء الثلاث حيث تجلس العروس في صدر القاعة على مشهد من المتفرجات فتجلى في أبهى حليها وحللها ويوضع في حجرها رأس قند، وتقوم (النقّاشة) الأخصائية بوضع العجين في كفيها وقدميها في المواضع التي تريدها أن تبقى بيضاء، ثم تغمسها بالحناء آخر الأمر، وتتكرر العملية في الليلة الثانية والليلة الثالثة على التوالي حتى يصبح لون الحناء ضاربًا إلى السواد وكل ذلك يتم على عزف الطبول والدفوف والرقص وترديد الأهازيج الشعبية والزغاريد والتهاليل.

وفي عصر اليوم الـذي يسبق ليلة الدخول يحتفل بالخضاب على غرار الليالي السـابقـة فتجـلى العـروس في أروع زينتها أكثر من أي وقت مضى وتقوم الخضابة

(١) البيدان هو المعروف بلوز الشام.
(٢) النقال نوع من المكسرات.
(٣) القناطي، ويسمى الملبس وهو نوع من الحلويات يعمل على شكل كرات صغيرة بحجم النبق ويوضع في جوفها حبة من الحمص ويجفف.
(٤) كتلة من السكر المتحجر بطول قدم على شكل هرمي وملفوف بورق أزرق.
(٥) الداية امرأة متفرغة تتكفل بشلة من البنات منذ صغرهن فتعنى باستحمامهن وتصفف شعرهن بدون أجر إلى أن يتزوجن فتجنى ثمرة أتعابها في هذه المناسبة، وهي تسهر على خدمة العروسين طيلة أيام العرس.
(٦) العـذرة عبـارة عن رز مطبـوخ بالسكـر أو الـدبس لاسترضاء الجن، راجع فصل الأساطير الميثولوجية من هذا الكتاب.

المتخصصة بنقش كفي العروس وقدميها بمادة سوداء تسمى (الخضاب) وفي المساء وقبل أن تزف إلى العريس يجري الاحتفال بمراسيم (التريمبو)(١) فيضعنها في وسط الصالة وينشرن فوقها رداء من الحرير حيث تمسكه أربع نساء كل واحدة بطرف من زواياه الأربع ثم يرفعنه وينزلنه وهن يرددن أهزوجة متداولة مطلعها:

«واتـر مبـو واليـــومـــي»

ثم تزف إلى غرفة الدخول وتبقى دايتها بجوارها مع شلة من أقاربها في انتظار فارس الأحلام.

أما بالنسبة للعريس فقبل الدخول بيوم يكلف شخصًا بأن يطرق باب كل بيت ويوجه دعوة عامة للبلد يدعوهم لحضور الاحتفالات وتناول العشاء حيث تنحر الذبائح ويدعـوهم كذلـك لتناول الفطور حيث تقدم أشهى الحلويات كل صباح طيلة أيام العـرس وينفق بسخاء في هذه المناسبة، وفي عصر ذلك اليوم يذهبون معه لإحدى العيون للاستحمام وتوزَّع العذرة في الترع والمنعطفات على غرار ما يعمل للعروس وعند العــودة يركبـونـه على فرس أو حمار ويتحلق الجمهـور حولـه وهم يرقصـون رقصـة (العرضة)(٢) ويرددون الأهازيج على دقّات الطبول والدفوف، وفي المساء بعد انتهاء مآدب العشاء تقام حفلة بمناسبة ليلة الحناء يقرأ فيها قصة زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد بأسلوب غرامي شيق وبعد انتهاء الحفل تبدأ السهرة فتقام حفلة السامري والفجري(٣) وتستمر حتى الصباح بينما العريس يبيت مع جملة من حوارييه وأيديهم وأرجلهم مغموسة بالحناء.

وفي الليلة الثانية يقام احتفال مماثل بمناسبة الزفاف تتكرر فيها المشاهد نفسها والأعمال وتقام المآدب على قدم وساق وعند انتهاء الحفل يزف العريس إلى بيت العروس

(١) يعتقد أن هذه العادة جاءت من الهند أو الصين وهي موجودة في أغلب بلدان الخليج.
(٢) هي رقصة الحرب النجدية وهي منتشرة في بلاد الخليج.
(٣) السامري والفجري طريقتان معروفتان من فن الغناء الشعبي في الخليج،ومن الملاحظ أن الطبقة الدينية أو المحافظة تتورع عن إقامة الغناء والطرب فتلغي جميع تلك المظاهر في حفلات العرس.

في حشـد من المحتفـين وهم يرددون الأهـازيج والتهاليل وعند دخوله الغرفة يرافقه الشيخ[1] فيقـرئه الدعاء بعد أن يصلي العريس ركعتين ثم يخرج معه لتوديع المهنئين وسرعان ما يعود إلى الغرفة لإتمام بعض المراسيم.

وتقوم الداية مباشرة بمهمة (غسالة الرجل) فتوضع رجل العريس اليمنى ورجل العـروس اليسرى في وسط صحن صيني وتجعلهـا في وضـع متقـابل بحيث تلتصق إحداهما بباطن الأخرى ثم تصب ماء الورد عليهما كرمز للوفاق وتفاؤل بالوئام وهي عادة عريقة من المحتمل أنها جاءتنا من الهند في الأصل ففي منطقة النيبال بجبال الهملايا مازالت هذه العادة حيَّة عندهم حتى الوقت الحاضر.

وبعد انتهاء هذه المراسيم تنفضّ النساء وتتاح الخلوة للعروسين هذا إذا لم يكن منذورًا على العروس بالحرس فقد جرت العادة أن تنذر الأمهات على بناتها بالحرس ليلة الدخول أحيانًا إذا بلَّغها الله في زواجها فتبقى بجوارها دايتها وبعض ذويها، ويحظر على العريس مقاربتها طيلة تلك الليلة ولايسمح له بمسها إلاَّ في الصباح عند آذان الفجر.

وهنـاك عادة أخـرى عند قبائل البدو وهي أن توضع العروس في بساط عند الزفاف وتنقلها عدد من النساء إلى خيمة العريس ويلقي بها كالفريسة ويظل أهلها خارج الباب في انتظار إكليل الشرف وهم متحفزون لغسل العار، ولا تهدأ ثائرتهم إلاَّ حين يلقي العريس نحوهم بالوصلة المغموسة بدم البكارة والتي تنجيها من موت محقق، عند ذلك يطلقون النار في الهواء إعلانًا عن شرفهم المُصان.

وقد جرت العادة أن يقدم الزوج لعروسه هدية في الصباح تسمى (الصباحة) تتكون من الملابس الفاخرة وغيرها كما جرت العادة أن يقوم العروسان في الليلة الثالثة بزيارة أهل العريس.

---

(١) ويقصد به الرجل الديني، ويتخير عادة في هذه المناسبات من يكون صديقًا للأسرة.

ويقيم الـزوج في منـزل العروس أسبوعًا كاملاً يزوره خلاله أقاربه وأصدقاؤه ويجلس جلسة عامة كل يوم، إما في العصر أو الليل، لاستقبال المهنئين، وبعد انتهاء الأسبوع تختم آخر مرحلة من العرس (بالحوّال) فينتقلان إلى عشها الزوجي.

هذه الخـطوط العامة للزواج وتقاليده عندنا في الماضي أمّا الآن فقد اندرست أغلب تلك العادات واستبدلت بعادات أخرى أكثر ملاءمة لروح العصر.

الألعــاب القديمـة

عرف الإنسان قيمة الألعاب باعتبارها منشطة للذهن والجسم مناهضة للخمول والكسل فاخترع الكثير منها منذ القدم، حتى أصبح لكل مجتمع ألعابه الخاصة التي كثيرًا ما تجد سبيلها إلى الذيوع والانتشار والانتقال إلى غيرها من المجتمعات كالشطرنج والدومنة وطاولة الزهر، التي نشأت في الأصل على صعيد الهند وفارس ثم انتقلت إلى الشعوب الأخرى وأصبحت بمصطلحاتها الأصلية وقوانينها ألعابًا عالمية واسعة الانتشار.

وكانت عندنا ألعاب كثيرة متنوعة خليجية الطابع للكبار والصغار اندرس الكثير منها، واستبدلت بألعاب أخرى وفدت إلينا من مجتمعات أخرى كألعاب كرة القدم والطاولة والسلة والدومنة وطاولة الزهر وغيرها من الألعاب التي عرفتها النوادي الرياضية مؤخرًا.

أما الألعاب المحلية التقليدية القديمة فهي متنوعة ويصعب إحصاؤها، وربّما وجـدت ألعـاب في بلد لاتوجد في البلد الآخر وربما اختلفت أسماؤها ومصطلحاتها وطريقة ممارستها، لذلك فإننا سنتناول أهم تلك الألعاب وطرقها الشائعة في القطيف وهي كالآتي:

١ ـ التيلـة:

وهي عبارة عن كرة صغيرة من الحجر أو الحديد أو البلور بحجم حبة الكرز تدفع بطرفي الأصبع الوسطى والسبابة فتتدحرج على الأرض حتى تقع في حفرة صغيرة تسمى (الماية) التي يجب أن تكون بينها وبين اللاعب حوالي مترين أو تصيب هدفًا معيَّنًا يسمى (الحل) وهو عادة يكون إما عددًا من نواة الخوخ أو التيلات وتتجلى مهارة اللاعب في إتقان إصابة الهدف أو إلقاء التيلة في الحفرة وتتعدَّد الحفر والأهداف بتعدُّد اللاعبين.

٢ ـ الدوامـة:

وهي أنواع منها الزنبور والمُقوّرة والبلبول حسب أشكالها وهي تصنع عادة من الخشب بحجم حبة الكمثرى ويثبت في طرفها مسمار بمقدار سنتيمتر وطريقة لعبها أن يلف حولها خيط من القنب عند بداية المسمار ثم يقذف بها فتدور حول نفسها وتتجلى مهارة اللاعب في تحقيق دورانها مدة أكثر من اللاعب الآخر ولها أيضًا طرق أخرى في لعبها.

٣ ـ الطنقـور:

وهو عبارة عن عصا بمقدار نصف متر محددة الطرف الأسفل يقذف بها اللاعب بقوة فترتكز في الأرض اللينة ويقوم اللاعب الآخر بقذف عصاه فإن أصابت العصا المركوزة في الأرض واقتلعتها وثبتت في مكانها انتصر اللاعب وكسب تلك العصا.

٤ ـ الخـطـة:

أو النطّة كما تسمى في الأحساء أو السكونة كما تدعى في البحرين وهي عبارة عن مربع مستطيل يرسم على الأرض ويقسم إلى ستة مربعات أو أكثر ولكل مربع اسم خاص وأسماؤها بالترتيب كالتالي (بسم، الجنَّة، النّار، المستراح، الشامي، الختمة).
وألعـابهـا متنـوعة وطريقتها الشائعة في القطيف هي رمي قطعة صغيرة مسطحة من الخشب أو الخـزف وتسمى (السكونة) في المربع الأول (بسم) الذي يقع في الجانب الأيسر فيرمي اللاعب القطعة وينط عليها باستعمال رجل واحدة فقط ثم يدفعها بقدمه

وهو رافع رجله الأخرى، حتى تخرج إلى الجهة التي كان يقف بها سابقًا ويطبق عليها بكلتا رجليه، ثم يعيد الكرة ثانية في المربع الثاني، ويفعل مثلما فعل في المربع الأول، ثم الثالث فالرابع فالخامس فالسادس، فإذا أكمل الدورة بدون خطأ أي أن رجله لم تلامس أحد الخطوط ولم تخرج القطعة عن مكانها المعين، ثم دفعها بنجاح إلى حيث يقف، فقد حق له أن يمتلك مربعًا يحظر على زميله أن يطأه، وكلما امتلك مربعًا صعب على زميله مواصلة اللعب كما حق له أن يتمشى فيه بحرية ويطلق كلتا رجليه حتى تتحقق له الغلبة في النهاية.

الخطة

المستراح	النار
الشامي	الجنة
الختمة	بسم

موقف اللاعب

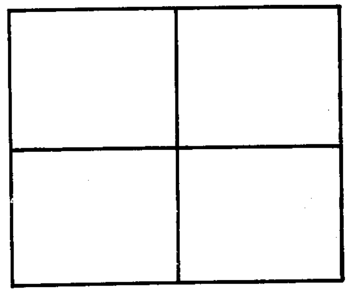
●

وقد اصطلح اللاعبون على جعل المربع الثالث (النار) منطقة محرمة يفرض على اللاعب اجتيازها بالقفز كما أباحوا له في المربع الرابع (المستراح) أن يقف بكلتا قدميه ويستريح ولذلك سمي (المستراح).

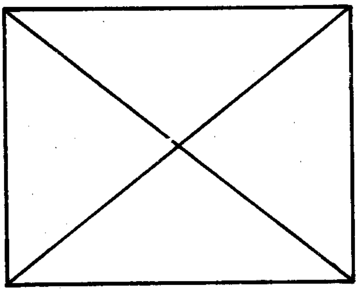
٥ ـ الصبة:

أو ما تسمى بالقطرة وهي على أشكال، منها ما هو على شكل مربع واحد وله خطان متقاطعان، ومنها ما يتألف من مربعين، ومنها الشكل المتداول الذي يشتمل على

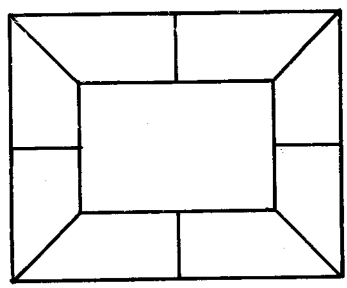
الصبـــة



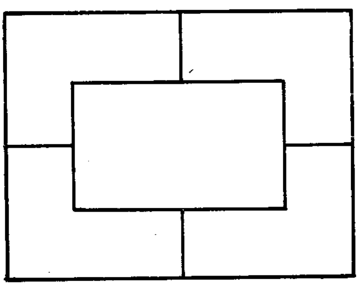
الشكل الأول



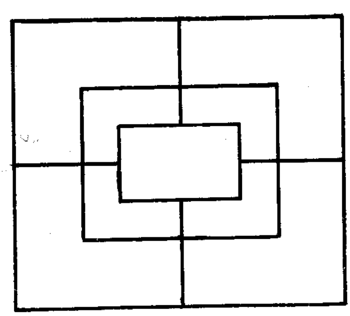
الشكل الثاني



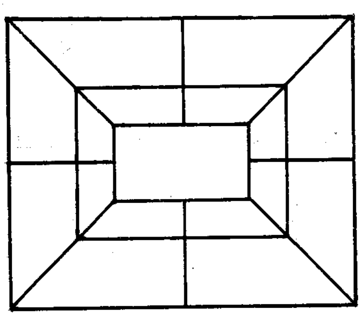
الشكل الثالث



الشكل الرابع



الشكل الخامس



الشكل السادس

ثلاثـة مربعـات متـداخلة ولهـا خطوط متقاطعة في وسطها وأحيانًا في زواياها، وكلما تداخلت الخطوط وكثرت الزوايا تعقدت اللعبة وصارت أشبه بلعبة الشطرنج.

وتتعدد أحجارها حسب تعدد مربعاتها وزواياها، فللشكلين الأول والثاني ستة أحجار وغالبًا ما يلعبها الصغار لبساطتهما وللثالث والرابع اثنا عشر حجرًا وللخامس والسادس ثمانية عشر حجرًا والأحجار نفسها تنقسم إلى نوعين مختلفين متساويين يختص كل لاعب بنوع معينٍ منهما وهي تشبه لعبة الشطرنج في الكر والفر وقتل الحجر فعلى اللاعب أن يحترس من وقوع حجره في زاوية يمكن للاعـب الآخر أن يكوِّن منها خطًّا متوازيًا من أحجاره فيقتل ذلك الحجر، لذلك كانت هذه اللعبة شائعة بصورة أكثر عند الكبار لأنها تحتاج إلى تركيز ذهني وحذق ومهارة.

٦ ـ الشطرنج:

وهي أقـدم الألعاب وأعرقها وتسمى لعبة الملوك، وهي لعبة عالمية من أصل فارسي أو هندي مازالت متداولة حتى هذا اليوم ولها مباراة دولية وقواعدها معروفة لا حاجة لذكرها وكان يلعبها الكبار.

٧ ـ الدامـة:

وهي اللعبة ذات المربعات وأحجارها من لونين وهي تشبه الشطرنج في تنقل أحجارها وحركاتها ولا حاجة لشرحها فهي مازالت معروفة.

٨ ـ السلطـنـة:

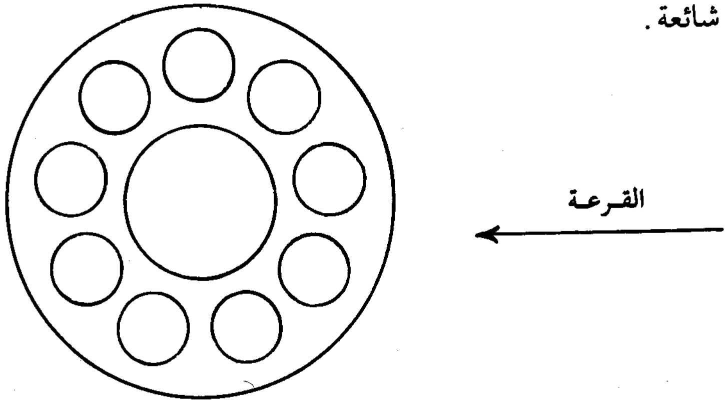
أو القلينة: وهي عبارة عن عدد من العصي الصغيرة المسطحة لها وجهان أخضر وأبيض يلقيها اللاعب في الهواء فتقع على الأرض فإذا صادف أغلبها من اللون الأخضر نجا، أما إذا كان من اللون الأبيض فهناك شخص من اللاعبين يسمى السلطان يحدد كمية الضرب، ويأمر وزيره بجلده، وهكذا تدور اللعبة بين اللاعبين حتى يأتي دور السلطان والوزير وقد يستعاض بدل العصى بعلب الكبريت أو كل شيء له وجهان كالنقود.

٩ ـ الزنجفة:

وهي لعبة الورق المعروفة التي يقال عن تنوع لعبها أنه يبلغ في عدده عدد أوراقها وسابقًا كان يمارس لعبها الكبار من سفلة الناس، وكانت الانطباعات عنها سيئة لاستخدامها في ألعاب القمار حتى أن وجودها عند أي شخص يعتبر إدانة بارتكاب الجرم الشنيع، ولم تكتسب هذه اللعبة طابع اللعب البريء إلا في الوقت الحاضر، وقد انتشرت في الأوساط الاجتماعية وظل يلعبها (الكبار) والصغار على حد سواء ولعل أكثر ألعابها شيوعًا هي ما تسمى بلعبة (البلوت).

١٠ ـ القرعة:

محرفة من القرعة بضم القاف ومعناها اللغوي السهم والنصيب وهي عبارة عن حجر مستدير يصنع من الجص على شكل الرحى وبظاهره تسع حفر باستدارة حافته والعاشرة في وسطه وقد يستعاض عن هذا الحجر بالحفر على سطح الأرض ويبلغ عدد أحجارها تسعين حجرًا لكل حفرة عشرة أحجار ما عدا الوسطى التي تبقى فارغة وقد جرت العادة بأن يستعاض بدل الأحجار بنوى الخوخ ويتبارى في هذه اللعبة عادة ثلاثة أشخاص لكل منهم ثلاث حفر ويبدأ أحدهم بتوزيع حجر إحدى الحفر على الحفر الأخرى فيلقي واحدا في كل حفرة على التوالي ثم الثاني فالثالث فإذا وجد أحدهم عند نهاية توزيعه عددًا مزدوجًا في الحفرة التي ينتهي عندها التوزيع حق له أن يستولي على ما فيها وتصبح الحفرة ملكًا له بكل ما يقع فيها أثناء التوزيع كما يحق له امتلاك الحفرة التي في الوسط كمخزن لمحصوله وهكذا يستمر اللعب حتى النهاية ولها مصطلحات أخرى شائعة.



١١ - المحبس:

وتسمى لعبة الخاتم وطريقتها أن يتقابل فريقان من اللاعبين بأن يخفي أحد الفريقين الخاتم في يد أحد أفراده ثم يبرزون جميع أيديهم مقبوضة وعلى منتخب الفريق الآخر أن يعرف اليد التي يستقر الخاتم في قبضتها، فإذا أخفق خسر فريقه نقطة، وأعادوا الكرة من جديد فإن عرف كسب فريقه نقطة وأعادوا الكرة من جديد وانتقل إليهم اللعب.

١٢ - اللقفة:

وهي عبارة عن عدد من النوى أو الأحجار الصغيرة يأخذ اللاعب واحدةً منها ويلقيها إلى أعلا ثم يلتقط واحدة أو أكثر من الأرض بسرعة وبيدٍ واحدة ويمسك الجميع قبل أن تقع الأولى على الأرض وعلى ذلك تتوقف مهارته وتتجلى مهارة اللاعب أيضًا حين يستطيع أن يجعلها تقع على ظهر كفه ثم يقلبها ويمسكها بباطن يده.

١٣ - التوفة:

وهي عبارة عن كرة صغيرة كانت تصنع من القماش وتحشى قبل أن توجد الكرة البلاستيكية وهي من الألعاب المنتشرة بين الأطفال.

١٤ - تفك ما تفك:

وتسمى في الكويت (طرباش طرماش) ويكثر لعبها عند الأطفال أيام الأمطار حيث يتوافر الطين وتعمل على شكل كرة مقورة ثم يفرغ جوفها بالأصبع ثم يمسكها اللاعب ويرفعها إلى أعلا ويقذف بها على الأرض والحفرة إلى أسفل وبفعل ضغط الهواء يتكون ثقب في أعلاها ويتطاير منه الطين وتحدث صوتًا قويًا وكلّما كان الصوت أقوى كان اللاعب أكثر مهارة، وهذه اللعبة اندرست بعد أن بلطت الشوارع وأصبح لعب الطفل بالطين يجافي الذوق والنظافة.

١٥ - الهول:

وهو أكثر الألعاب انتشارًا في الخليج وهي لعبة حركية صرفة تشبه إلى حدٍّ كبير كرة القدم كاختيار فريقين من اللاعبين وإيجاد ساحة كبيرة لأجل الجري، وهدفين

للإصـابة وتختلف عنها في كونها بدون أداة (كالكرة) ونحوها، وإنما يستعيضون عنها بكلمة (عندي) فيجري قائلها ويلحق به الفريق الآخر ليصده عن الهدف فإذا لامسه أحدهم بيده فقد انتزع منه الامتياز، وأعلن هذا اللاعب قائلاً (عندي) وجرى نحو الهـدف الآخر فيصده الفريق الأول، وهكذا يجري اللعب في كرٍّ وفرٍّ، حتى يفلت أحدهم خلسة، فيلامس الهدف ويسجل إصابة.

١٦ ـ خاست:

وهي لعبة مؤلفة من فريقين أيضًا وطريقتها هي أن يضطجع واحد من الفريق الأول ويغطى بقطعة من القماش ويجلس بجانبه الحكم ويأتي الفريق الآخر في صف منتـظم كل فرد خلف الآخـر يطوق بغترته خصر الذي يليه ويمسك أطرافها بيديه ويتقدم أولهم الذي وقع عليه الاختيار فيمكن المضطجع من مسك إحدى رجليه وعليه أن يحزر (أي يخمّن) من هو ذلك الشخص المسجي، فإن عرفه كسب الجولة وحل فريقه محل الفريق الآخر وإن فشل في معرفة اسمه أعلن الحكم خطأه وصاح (خاست) فيهجم الفريق المضاد ضربًا بالكرابيج على ذلك الفريق الذي يحاول أفراده بالسحب لتخليص زميلهم من قبضته وعلى قدر السرعة يتحقق نجاحهم وخلاصهم من الضرب المبرح ثم يحل الفريق الثاني محل الفريق الأول.

١٧ ـ المشابك:

وهي من ألعـاب اختبار القوى وطريقتها أن يتقابل متباريان اثنان وذلك بأن يشبك كل منهما أصابع يده بأصابع يد الآخر ويلفها في قبضة محكمة وكذلك يفعل خصمه ثم يحاول كل منهما أن يثني يد الآخر فإذا استطاع أحدهما أن يثني يد زميله تحقق له النصر واعترف بأنه أقوى منه.

١٨ ـ المطارح:

وهي أيضًا من ألعاب اختبار القوى وطريقتها هي أن يتقابل اثنان وهما واقفان ويطوق كل منهـما بكلتا يديه خصر الآخر ويحاول أن يثنيه ويطرحه على الأرض فإذا

استطاع أحدهما انتصر على خصمه . أما إذا لم يستطع أي منهما أن يطرح الآخر فيكونان متعادلين وهذه اللعبة تشبه إلى حدٍّ بعيد المصارعة اليابانية .

١٩ ـ صميدوه:

أو ما تسمى بالتغماية وطريقتها أن تصمد كلتا عيني أحد اللاعبين ويعطى عصا في يده كالأعمى وعليه أن يحمي نفسه من عبث زملائه وأن يفتش عنهم في مخابئهم فإذا استطاع أن يمسك بأحدهم انهال عليه ضربًا بالعصا وهذه اللعبة تمارسها الفتيات أيضًا ويسمينها (عصاة العميا) .

٢٠ ـ الصوعو:

أو الجمل وهو يتخذ من نجمة البحر التي يصطادها الغواصون ويهدونها أقاربهم الصغار ويعملونها على شكل حمار له يدان ملتصقتان ورجلان منفرجتان وعنق طويل ويلعب به الأطفال فيسرجونه ويضعون عليه أحمالاً ويربطون عنقه بخيط ويجرونه على الأرض .

٢١ ـ الكركمانة:

وهي نوع من القواقع البحرية تشبه في شكلها حبة الطماطم الكبيرة، يفرغون جوفها ويجففونها وتأتي هدية من الغوّاصين وتلعب بها البنات كأوعية وقدور.

٢٢ ـ الكرجوة:

وهي كاللّعابة للبنات الصغيرات وتصنعها الأمهات من القطن والقماش والأعواد على شكل بنت أو ولد ولها يدان ورجلان ورأس ووجه وقد يصنعن على الطريقة نفسها تماثيل للأولاد وللحيوانات كالخيل والحمير وأشباهها .

* * *

هذه نماذج لأهم الألعاب المحلية التي كانت دارجة فيما مضى. أما الآن فقد انقرض أكثرها واستبدلت بألعاب أخرى جديدة أكثر تهذيبًا وأسمى ذوقًا، ولاينسى أن للنوادي الرياضية المنتشرة التي ترعاها الرئاسة العامة لرعاية الشباب دورًا كبيرًا في استغلال فراغ الصغار والكبار فعن طريقها تعرفوا على ألعاب جديدة لم تكن معروفة سابقًا ككرة القدم وكرة السلة والطائرة والتنس وألعاب القوى كالجري والقفز والسباق وحمل الأثقال وغيرها.

الزينة عند المرأة

تتفنن المرأة في زينتها أينما وجدت لكي تكسب ميل الرجل وإعجابه بها فهي بحكم أنوثتها كوكب تابع يدور في فلكه، وحتى حينما بلغت من التحرر والتساوي معه في الحقوق والواجبات ما بلغت ـ كما في بلاد الغرب ـ مازالت تشدها إلى هذه الناحية بواعث خفية من حيث لاتشعر.

وقد اتخذت المرأة طرقًا عديدة في الزينة والتجميل، بدت مظاهرها في ألبستها وحليِّها ووشم جسدها بمختلف النقوش والأصباغ، ولكل مجتمع نسائي في أي صقع من أصقاع العالم ـ حتى الشعوب البدائية ـ طريقته الخاصة في التجميل.

وكلما كان المجتمع منغلقًا أو منعزلاً عن الطرق العالمية كان تأثره بالمجتمعات الأخرى أقل من غيره. أما إذا كان المجتمع مفتوحًا وملتقى للأجناس والأمم كمنطقة الخليج العربي في مختلف عصورها فهو يظل متأثرًا بغيره في هذا المجال بصورة مستمرة.

وقد شهدت القطيف ألوانًا من عادات الزينة والتجميل استرفدتها من البلاد الأخرى كالهند وإيران والعراق وغيرها، ثم ما لبثت أن تبدَّلت للأسباب التي ذكرناها آنفًا وحلَّت أخرى محلَّها، واتخذ الكثير منها سبيله إلى الانقراض لاسيما في هذا العصر الذي غزت فيه المدنية الحديثة مجتمعنا النسائي فتأثَّر بطرقها وتقليعاتها في الإكسسوار والماكياج والكوافير.

فبينما كانت المرأة فيما سبق تثقل عنقها وصدرها ويديها ورجليها بأرطال من الذهب والفضة، حتى كأنها معرض متنقل للمجوهرات وتصبغ أطرافها ووجها بالوشم والنقوش والحناء أصبحت الآن مشدودة إلى الجديد من التقليعات الحديثة. وكادت تلك الأساليب القديمة التي عرفتها أمهاتنا وجداتنا تندثر، وتصبح أشياء أثرية فلكلورية، وربما عفى عليها الزمن في وقت لاحق، وانمحت آثارها في جيل قادم[1]. لذلك اقتضت الأمانة التاريخية أن نتحدث عنها كغيرها من المظاهر الاجتماعية، لأنها أصبحت جزءًا من تاريخ بلادنا كما كانت تشكل عنصرًا من أوضاع الحياة الاجتماعية عندنا

لقد كانت وسائل التجميل عند المرأة متعددة ومتنوعة، أكثر مما هي عليه في وقتنا الحاضر وما دمنا في صدد الحديث عنها، فنحن سنتناولها بشيء من التفصيل حسب ما تيسر لنا من المعلومات.

أولا: الحلي والمجوهرات:

وتأتي في المقدمة لأهميتها وغلاء ثمنها، ولأنها كانت تستأثر بحصة الأسد من اهتمام المرأة وكانت تتألف من قطع عديدة تفوق الحصر، وهي تنقسم إلى عقود وأساور وخواتم وغيرها، حسب المواضع التي تتحلى بها المرأة، وهي كالتالي:

ا - العقود:

وهي التي تزين العنق والصدر، وكانت تتألف من الأشكال التالية:

١ - المرية: وهي مؤلفة من قطع ذهبية على شكل حبة الزيتون، تنظم في سلك وتأتي واسطة العقد على هيئة قرص بيضاوي الشكل مطعم بالأحجار الكريمة.

٢ - القلادة: وهي كالمرية، إلا أنها تختلف عنها بإضافة عدد من الرقائق الذهبية المطعمة باللؤلؤ والأحجار الكريمة، وتكون عادة واسطتها أكبر حجمًا من واسطة المرية.

(١) يبدو أن سحابة الرجعية أي العودة إلى القديم قد نشرت ظلها في هذه الأيام كإحياء الموضات القديمة التي كانت تستعملها جداتنا في الألبسة والحلي والتجميل.

٣ ـ الهيجل: أي الهيكل أو ما يسمى (بيت القران) ويصاغ من الذهب أو الفضة غير أنه أضخم مما هو متداول الآن.

٤ ـ المرتعش: أو المرتهش كما يسمى في الكويت، ويصاغ من الذهب الخالص ويطعم باللؤلؤ والأحجار الكريمة وهو أشبه ما يكون بطوق في العنق حيث تصف القطع الذهبية على وصلة قماش وتكون التي في الوسط أكبر من شقيقاتها.

٥ ـ الكردان: أو الجردانة باللهجة الكويتية، وهو عبارة عن سلاسل لها واسطة تتدلى على الصدر ويصاغ من الذهب الخالص.

ب ـ الأساور:

وهي التي تزين المعصم، وهي كثيرة العدد متنوعة الأشكال، منها:

١ ـ المعضد، وهو عبارة عن طوق مصمت واسع مستدير، يلبس بالمعصم من طرف اليد ويتخذ من الزجاج الملون أو يصاغ من الذهب وتلبس المرأة منه عددًا من الأزواج.

٢ ـ البناجري: وهو كالمعضد إلا أنَّه أعرض، ويصاغ من الذهب، وله حبب هرمية الشكل باستدارته، وتلبس منه المرأة زوجًا.

٣ ـ سف الحصير: وهو يشبه البنجري ويختلف عنه بوجود نقشة خاصة بدلاً من الحبب ووجود فتحة لأجل اللبس، وتلبس منه المرأة زوجًا.

٤ ـ الحناجير: وهو عبارة عن طوق ذهبي مدبب الشكل، ومطعم بالأحجار الكريمة، وله فتحة كسف الحصير لأجل اللبس، وتلبس منه المرأة زوجًا.

٥ ـ المفــخ : وهو عبارة عن كرات صغيرة بحجم حبة المشمش، مجوفة تصنع من الذهب وتنظم بسلك، وتلبس منه المرأة زوجًا.

٦ ـ القهـرب : وهـو عبارة عن سوار مؤلف من حبات الكهرب بحجم حبة المشمش وتلبس منه المرأة زوجًا.

٧ ـ الـزنـد : وقـد سمي باسم المـوضع الذي يحلى به وهو على شكل ثعبان ملتف، ويصاغ من الذهب الخالص.

ويلحق بالأساور صنفان لتحلية رسغ الرجل، ويصاغان من الذهب أو الفضة وهما :

١ ـ الحجل، وهو عبارة عن طوق مصمت مستدير، وله حواشي من الأجراس كروية الشكل، وفتحة لأجل اللبس.

٢ ـ الخلخال : وهو كالحجل إلا أنه مجوف وأجراسه في داخله كما يلحق بهما الخواتم، وهي لتحلية الأصابع، وأشكالها عديدة، وتزدان بتطعيمها بالأحجار الكريمة كالياقوت والزبرجد والفيروز واللؤلؤ وغيرها، وكانت المرأة تسرف في التحلي بها، فتثقل جميع أصابع يديها وأحيانًا بعض أصابع رجليها بعدد كبير من الخواتم ذات الفصوص الكبيرة.

جـ ـ حلي منطقة الوجه :

وهـــي أنـــواع :

١ ـ الخزامة، وهي حلقة ذهبية مطعمة باللآلىء والأحجار الكريمة، وتعلقها المرأة في فتحة من الجانب الأيمن من أنفها بعد خرقه.

٢ ـ القرنفلة: وهي شقيقة الخزامة، غير أنها على شكل قرص صغير، يتوسطه فص من الأحجار الكريمة، وتثبت بسلك لولبي في فتحة الأنف على الجانب الأيسر.

٣ ـ الزمام: وهو كالقرنفلة، إلاَّ أنَّه أصغر حجمًا وهذه الأنواع الثلاثة ربَّما جاءتنا من الهند، فهي ما زالت مستعملة هناك.

٤ ـ التراكي: أو الأقراط أو ما يسمى (بالحلق) وتصاغ عادة من الذهب، وتطعم باللآلىء والأحجار الكريمة، وتعلق في فتحة تثقب في شحمة الأذنين ولها أشكال عديدة متنوعة، ومازالت مستعملة حتى الآن.

٥ ـ الماشة: وهي قطعة ذهبية يشدّ بها الشعر، ولم تكن معروفة قديما.

٦ ـ قحفية الوريقات: وهي عبارة عن قطع ذهبية مستديرة على شكل النقود وتثبت على الجهة الأمامية من القحفية (الطاقية) بواسطة عراها السميكة باستدارة الوجه.

٧ ـ الشناشيل: وهي مجموعة من السلاسل الذهبية، وكانت تعلق كباقات في خصلات الشعر، وتتدلى على الصدر وإلى الخلف.

ثانيا: الوشم والنقوش والماكياج:

وهي كما يلي:

١ ـ الوشم:

وهو كما تعرفه القواميس العربية ـ عبارة عن غرز الإبر في الجلد ثم در النيلج عليه، وهذه العادة قديمة جدًّا ومنتشرة بين الشعوب. إلاَّ أن الطريقة المتبعة عندنا يبدو أنها جاءتنا من الهند، فمن أشكال الوشم (الدقة) وهي نقطة ترسم في الذقن، وتارةً

تُرسم على شكل مستطيل، ومنها (النخاسية) وهي نقطة ترسم في الجبهة مما يلي الحاجبين والبعض منهن يضعن نقطتين على شكل متوازي وهناك من يضعن وشمًا في مؤخرة العينين أو على الساعدين، أو على ظاهر الكفين أو على جوزة القدم، وفي مناطق أخرى من الجسم.

٢ - النقوش:

وتشمل الحناء والخضاب وكانت المرأة تعمد إلى صبغ كفيها ورجليها بمادة الحناء، بعد وضع العجين في المواضع التي تريدها أن تظهر بيضاء وتكرر العملية بالنسبة للعرائس كل ليلة، حتى يصبح لون الحناء ضاربًا إلى السواد وبعد ذلك تضع الخضاب، وتتفنن في نقشه وهذه العملية كانت تستأثر بأروع الحفلات في الزواج.

٣ - الماكياج:

وهو أنواع: منها (الكحل) وهو مادة سوداء مركبة تستعمل للزينة وكدواء لتقوية البصر، ومنها (التزجيج) وهو عبارة عن مادة سوداء كالخضاب يزجج بها الحاجبان، ويسمينها (التخطيط) ومنها (الديرم) وهو يتخذ من لحاء شجر خاص يلفظ مادة حمراء ضاربة إلى السواد عند ملامسته الشفاه، ويستعمل عوضًا عن قلم أحمر الشفاه المعروف في وقتنا الحاضر.

ثالثا: الكوافير:

وهي طريقة إصلاح الشعر والعناية به، وكانت المرأة لا تعرف صالونات الحلاقة النسائية المعروفة الآن، فكانت تلك العملية تقوم بها (الداية) وهي امرأة متخصصة أو متفرغة لتلك الأعمال، فهي تلازم الفتاة منذ صغرها، حتى بعد أن تتزوج، وتكاد مهمتها تقتصر على العناية بالشعر الذي يطول أحيانًا إلى أخمص القدم.

ويبدأ العمل بغسل شعر الرأس وتنظيفه بخليط من الطين والبيض عند الاستحمام بإحدى العيون ثم تليه عملية التعجيف في المنزل (أي تصليح الشعر)

فيوضع الدهان، ويسمى (الودك) وهو مستحضر من شحم الإبل بعد خلطه بمادة حمراء تسمى (مجموع) ومواد أخرى للتعطير، ثم يوزع الشعر إلى خصلتين (زلفين) من الأمام، وإعداد مستدقة من الخصل، تسمى (نخيلات) ثم يرش بمادة مركبة تسمى (الرشوش) مؤلفة من الحلبة والفروك ويستعمل الزعفران أحيانًا بعد حله بقليل من الماء، فيوضع عند مفرق الرأس.

هذه خلاصة طرق الزينة والتجميل عند المرأة فيما سبق. أما الآن، فقد اضمحلت كلها تقريبًا أو هجرت كالوشم والحناء وخرق الأنف فاتجهت المرأة إلى التأثر بالتقليعات الأوربية الحديثة في الإكسسوار والماكياج والكوافير.

الألبسة الرجالية والنسائية

يتحكم الجو والمناخ في نوعية الألبسة وكيفيتها فما تفرضه طبيعة المناطق الجبلية الثلجية أو المناطق المعتدلة يختلف عنه في الصحراء والمناطق الاستوائية، فالملابس الصوفية ذات الألوان المعتمة أو السوداء تقتضيها المناطق الباردة وقد جاءت وفقًا لمتطلبات المناخ المعتم الذي يسمح لأشعة الشمس الباهتة بالنفاذ إلى الأجسام، ولمقتضيات المناخ البارد أيضًا للحصول على التدفئة الضرورية وهذا على العكس مما تقتضيه الحياة في الصحراء أو المناطق الاستوائية، فهذه تتطلب الثياب القطنية الفضفاضة ذات الألوان البيضاء أو الفاتحة ليتخلل منها الهواء وتعكس أشعة الشمس اللاهبة، فلا تسمح بنفاذه إلى الجسم إلاّ قليلاً، لذلك نجد الألبسة في أفريقيا الاستوائية والسودان وجزيرة العرب تسودها هذه الظاهرة بشكل واضح منذ أقدم الأزمنة.

وكما تتحكم البيئة والمناخ في نوعية اللباس وألوانه كذلك تتحكم أيضًا في الأزياء، فالكوفية (الغترة) اقتضتها في الأصل بيئة الصحراء اللاهبة لتكون درءًا لسوافي الرمال ووهج الشمس ولتستعمل لثامًا يحمي الوجه من لفحات الصحراء. والعمامة

والعقال[1] استعملا أيضًا لتثبيت الكوفية، كما أن الأوربي اتخذ القبعة في الأصل لحماية وجهه ورأسه من تساقط المطر والثلوج كما ابتدع ربطة العنق والياقة لوقاية عنقه من لفحة البرد.

والخليج العربي له أزياؤه الخاصة، التي تقتضيها البيئة والمناخ، فالإزار الذي كان يستعمله سكان الخليج ـ مثلاً ـ قد جاء وفقًا لمتطلبات البيئة المحلية بدلاً من السراويل منذ القدم كما جاء في رحلة ابن بطوطة في وصفه للباس بعض سكان الخليج بأنهم يلبسون الإزار، وهو فوطة يشدونها في أوساطهم عوضًا عن السراويل[2]، والسبب في ذلك أنهم بحارة أو صيادو أسماك ويقتضي عملهم خوض البحر أو مزارعون تضطرهم سقاية النخيل إلى النزول في الترع والسواقي، فيمكنهم رفع الإزار إلى أعلا بخلاف السراويل التي تعيق أعمالهم وتحد من تحركاتهم.

ولا يعني ذلك أن البيئة المحلية لاتنحرف، فتعاكس القانون الطبيعي، فتتأثر بأزياء أخرى بحكم الجوار أو الاختلاط الناشىء من الأسفار والرحلات أو التأثر بمدنيات أخرى كما تأثرت ألبستنا بالأزياء الصحراوية أو الهندية ثم الأوروبية مؤخرًا، فعرفنا العقال الوافد إلينا من البيئة الصحراوية وارتدينا البدلة الأوروبية التي جاءت مع حضارة الغرب وكذلك الحال بالنسبة للمجتمع النسائي الذي تأثرت أزياؤه الفضفاضة بالطراز الهندي الضيق ثم بالموضات الأوروبية الحديثة مؤخرًا.

ويمكننا أن نقسم الأزياء في القطيف إلى مرحلتين رئيسيتين: قديمة وحديثة بالنسبة لهذا القرن فقط، وإن كان من المتيقن أن مراحل تطور أخرى في الأزياء قد

---

(١) لبس العقال يعتبر حديث العهد بالنسبة للبس العمامة عند العرب وهو متخذ في الأصل من عقال البعير، فحدث لأعرابي أن حلَّ عقال البعير ووضعه على كوفيته التي تلف رأسه فرأى فيه فائدة لتثبيت الكوفية ثم أصبح زيًّا للعربي.

(٢) رحلة ابن بطوطة، ج١، ص١٦٦.

سبقت تلك المرحلة التي سميناها قديمة وذلك بحكم موقع الخليج الجغرافي واعتباره بوابة تمر عبرها أمم الشرق والغرب في الزمن الغابر، حيث إننا لم نعثر على مصادر تحدد كيفية الأزياء التي اقتبسها سكان الخليج عبر مراحل التاريخ إلاَّ لمامًا، فتذكر بعض المصادر: إن القرامطة كانوا يرتدون القمصان القصار والسراويل ولكن هذا لا يعطي تحديدًا كافيًا لنوعية الأزياء التي يرتديها عامة الشعب وكذلك ذكر ابن المقرب في شعره[1] أنواعًا من الألبسة لا نعرف أشكالها منها المرزوي وهو الثوب الرقيق واللالس وهو الثوب الناعم الموشى بالخيوط الحريرية في قوله:

ومن مرزوى بالقطيف ولالس عباء بِوَادِي طَيٍّءٍ ونطوعها

والأزياء القديمة قبل التطور الأخير كانت بطبيعة الحال تنقسم إلى قسمين رجالي ونسائي، فالأزياء الرجالية تتألف من القطع التالية:

١ - الدشداشة:

وهو ثوب فضفاض يصل إلى وسط الساق، ومشقوق إلى وسط الصدر تتدلى فيه أحيانًا عند العنق كركوشة[2] ويوضع فيه زر واحد عند العنق[3]، وهو مع الغترة والإزار يكوِّن اللباس الذي يرتديه عامة الشعب، وهناك نوع منه واسع الأردان يسمى «شلاحات» كان يرتديه الوجهاء والعمد ورؤساء القبائل.

٢ - الغترة:

التي هي الكوفية، وكانت تلبس بدون عقال وهي أنواع منها الشال والكوفية الحمراء والمخططة والبيضاء، وهي لباس عامة الشعب. ومن الملاحظ أن ألوان الغترة تختلف باختلاف لابسها فإذا كان من العلويين تحتَّم عليه لبس الغترة السوداء.

---

(١) ديوان ابن المقرب، ص٢٥٥، ط. مصر.

(٢) كلمة شعبية تعني مجموعة من الخيوط تقص بمقدار بوصة وتشد بخيط في أسفلها.

(٣) ما زال هذا الزيّ سائدًا في عمان على الصعيد الرسمي والشعبي حتى في وقتنا الحاضر.

٣ ـ الشطفة:

وهي نوع من العقال وهي تارة تكون مذهبة ويلبسها كبار الشخصيات وغير مذهبة وهي المعروفة بالشطفة الزبيرية ويلبسها بعض الوجهاء والتجار.

٤ ـ العمامة:

وهي اللباس العربي القديم وكانت منتشرة في القطيف وتلبس بعد الزواج، وتتميز طبقة لابسيها حسب ألوانها، فإذا كانت بيضاء فهي تدل على أن لابسها رجل دين وإذا كانت سوداء فلابسها من العلويين[١] وإذا كانت صفراء (وتسمى كشيدة) فلابسها من الأعيان والتجار، وكانت في عهد العيونيين لباس الطبقة الحاكمة، وكان هناك صنفان منها صنف رديء وهو الذي يصنع بالبصرة، وصنف جيِّد وهو الذي يصنع بمصر، وكان الشاعر علي بن المقرب لايلبس إلاَّ العمامة المصنوعة في مصر[٢].

٥ ـ اللوت:

وهو قطعة قماش مستطيلة تلف على الغترة بمثابة عمامة صغيرة ويستعملها وجهاء القرى ورؤساء القبائل وجميع ألبسة الرأس تستعمل معها الطاقية أو القحفية (نسبة إلى قحف الرأس) لباسًا داخليًا وكانت تنسج محليًا.

٦ ـ الصخمة:

وتسمى الصديري، وتلبس على الثوب مباشرة، وهي بدون أكمام تصل إلى أسفل البطن ولها أزرة قطنية كثيرة متراصة من الأمام.

٧ ـ الدقلة:

وهي تشبه المعطف إلى حدٍّ ما ويلبسها التجار وميسورو الحال ولها أشكال مختلفة فمنها ما له ياقة مختومة ومزودة بعدد من الأزرار القطنية على شكل الصخمة ومنها ما

---

(١) لا أعرف كيف نشأت عادة لبس السواد عند العلويين مع أنه شعار العباسيين وكذلك الحال بالنسبة للقبهم بالسادة وهو لقب خاص بنسل الإمام الحسن (رضي الله عنه) بينما المنتمون إلى الإمام الحسين (رضي الله عنه) إنما يلقبون بالأشراف.

(٢) ديوان ابن المقرب، ص ٥٩، م- ومازالت العمامة هي اللباس الرسمي والشعبي في عمان.

يسمى (الفرتكيش)[1] الذي وفد إلينا مع الاستعمار البرتغالي كما يدل على ذلك لفظه وهو الذي له ياقة مفتوحة.

٨ ▪ القبــاء:

وهو عبارة عن ثوب طويل فضفاض مشقوق من الأمام وكمه مشقوق قليلاً ويحلى أطرافه بالخيوط الحريرية، ويلبسه علية القوم وله زر في وسطه ويثنى جانب منه على الجانب الآخر.

٩ ▪ الزبـون:

وهو عبارة عن قباء طويل بدون أكمام يلبس لخفته في الصيف.

١٠ ▪ الجبــة:

وهي تشبه القباء إلى حدٍّ كبير، وتلبس عادة فوق القباء بدون حزام ويرتديها علية القوم ورجال الدين.

١١ ▪ الحــزام:

وهو قطعة من قماش مستطيلة تشد في الوسط على القباء.

١٢ ▪ السراويل:

وتتخـذ من القـماش القطني الأبيض وهي كانت تعمل فضفاضة في أعلاها، ضيقة في أسفلها.

١٣ ▪ الإزار:

قطعـة من قماش على شكـل فوطة، تلبس بدلاً من السراويل، ويلبسه عامة الشعب، ويستخدم أيضًا للاستحمام.

---

(١) تحريف عن PORTUGUESE أي البرتغالي.

١٤ ـ البشت:

ويسمى المشلح أو العباءة، ويقتصر لبسه حين الخروج من المنزل وتوشى حواشيه بالأسلاك الذهبية أو الخيوط الحريرية إذا كان لابسه من طبقة رجال الدين.

١٥ ـ النعال:

بمختلف أشكاله ويلبسه عامة الشعب وإن كانت عادة الحفاء بسبب الفقر كانت سائدة أكثر في العهود الماضية.

١٦ ـ البابوج:

وهو الذي يغطي مقدم الرِّجْلِ، ويقتصر لبسه على سكان الحواضر ورجال الدين.

١٧ ـ القندرة:

وهي الحذاء الرجالي المعروف وكان لبسها قليلاً ويقتصر لبسها على الطبقة الاروستقراطية.

١٨ ـ البوتلين:

وهو الحذاء الذي له ساق ويقتصر استعماله على أيام الأمطار فقط.

* * *

أما الأزياء النسائية فقد كانت تتألف من القطع التالية:

١ ـ الدراعة:

وهي عبارة عن ثوب قصير يصل إلى الركبة، وله أكمام ضيقة طويلة تصل إلى الرسغ وتعتبر لباسًا داخليًا، وتحلى أكمامه أحيانًا بالأسلاك الذهبية.

٢ ـ الهاشمي:

وهو ثوب فضفاض جدًّا واسع الأردان بحيث تستطيع المرأة أن تلف الكم فوق رأسها، وتتفنن المرأة في تطريزه بالأسلاك الذهبية. ويطول هذا الثوب عند البدو بحيث تسحب المرأة ذيله خلفها فيمحو آثار قدميها حين تمشي في الطريق أو على رمال الصحراء.

٣ ـ الملفع:

وهو قطعة مستطيلة من قماش أسود تلفه المرأة على رأسها وعنقها وصدرها، حتى لايبدو منها إلا فتحة الوجه، وتتفنن الحضريات، فتتخذ الملفع من قماش التور المطرز أحيانًا بأسلاك الذهب ويسمى (نغدة) وتلبسه المرأة عادة بعد الزواج.

٤ ـ البخنق[1]:

وهو قطعة من قماش تلتقي إحدى زاويتيها العليا بالأخرى وتخاط، حتى لا تبقى إلا فتحة صغيرة بمقدار الوجه، وتطرز بخيوط الحرير وأسلاك الذهب، وهذا اللباس خاص بالفتاة قبل الزواج.

٥ ـ القحفية:

وهي غطاء داخلي للرأس تثبت بخيط حول العنق، وتعمد المرأة الثرية المتزوجة إلى تحليتها بقطع ذهبية كالنقود وتصف على الواجهة الأمامية باستدارة الوجه، وتسمى (قحفية وريقات).

٦ ـ المشمر:

وهو قطعة من قماش خفيف أصغر من الرداء، وتلبسه المرأة في المنزل، ويتميز هذا اللباس المنزلي بشفافيته وبألوانه الزاهية، ويتخذ أحيانًا من الحرير الطبيعي، وهو يشبه الساري الهندي إلى حدٍّ بعيد.

---

(١) البخنق لغة البرقع الصغير أو المقنع الصغير.

٧ - الرداء:

القناع وهو عبارة عن قطعة كبيرة من القماش الأسود يشبه الملاية عند المصريين، تلبسه المرأة عند خروجها من المنزل ويغطى جميع جسمها من رأسها إلى قدميها وما تبقى من أطرافه تجمعه وتلفه تحت إبطها، وهو أنواع منه ما يسمى بالبروجي الموشاة حواشيه بخيوط حمراء، ومنه ما يسمى (الأناجر) وهو المحلاة حواشيه بالخيوط الذهبية، والغريب أن هذا اللباس موجود في بعض أنحاء دمشق.

٨ - الشيلة:

وهي كالرداء إلَّا أنَّه يتخذ من القماش القطني الأسود وترتديه الطبقة الفقيرة عند الخروج من المنزل، فهو بمثابة الرداء.

٩ - الشملة:

وهي عباءة من صوف، تلبسها نساء بعض القرى ونساء البادية،أما العباءة العراقية فقد عرفتها البلاد مؤخرًا.

١٠ - الغشواية:

أو ما تسمى بالبوشيه، وهي قطعة من قماش أسود ولها حاشية تطرز أحيانًا، وتلبسها المرأة عند خروجها من المنزل، ويكاد يقتصر استعمال الغشواية في الماضي على نساء الحواضر، أما القرويات أو البدويات فما كنَّ يعرفنها.

١١ - النقبة:

وهي ما تسمى بالبرقع أو البطولة، وهي عبارة عن قطعة قماش أسود سميك بقدر الوجه لها فتحتان لموضع العينين للنظر من خلالها وتضعها المرأة على وجهها وتشدها إلى الخلف، وهي مقابل الغشواية وتلبسها نساء البادية فقط.

١٢ ـ السراويل:

وتسمى شعبيًّا (الصروال) وهي فضفاضة في أعلاها ضيقة في أسفلها وكانت تستعمل مبطنة، وتتفنن المرأة في تطريز حواشيها.

١٣ ـ البابوج:

وهو حذاء ذو كعب واطىء وطرفه الأمامي مثنيٌّ إلى أعلا وهناك نوع منه يسمى الروغان وهو أسود لامع تلبسه المرأة الثرية.

١٤ ـ القبقاب:

حذاء منزلي يصنع من الخشب وله أصبع يستقر بين السبابة والإبهام في الرجل.

١٥ ـ العصابة:

وهي قطعة من قماش أسود تلفها المرأة على جبينها وتشدّ بها رأسها، وتستعملها العجائز على نحو خاص.

* * *

هذه هي الألبسة النسائية التي كانت سائدة الاستعمال سابقًا، أما الآن فقد تغيرت تلك الألبسة التقليدية القديمة، واستبدلت بأخرى. لقد تأثرت في بادىء الأمر بالأزياء الهندية كالسراويل الطويلة الفضفاضة والفساتين القصيرة التي تشبه القمصان، غير أنها اتجهت أخيرًا إلى التأثر بالأزياء الأوروبية الحديثة، حتى أصبحت موضة الجيل، فعرف المجتمع النسائي الفستان الشنل والماكسي والميني جب والتنورة والبلوزة والبنطلون والمعطف والكلسونات والصداري والشلحات وشرابات النايلون والبيجامات النسائية والروب والكنزة وغيرها واسترفد أحدث الصرعات التي تصممها بيوت الأزياء في لندن وباريس.

أما الأزياء الرجالية فقد سارت بطيئة في مجال التطور ولا ننسى أن الأسرة المالكة قد تمسكت بالأزياء التقليدية مما أكسبها طابع الاحترام والاعتبار في الأوساط الشعبية والناس ـ كما يقول المثل ـ على أديان ملوكهم فساد عند الرجال لبس العقال وأفل نجم العمامة والقباء والجبة والزبون والبابوج والحزام وغيرها وأصبحت هذه الألبسة مقصورة على طبقة رجال الدين فقط ولا ينكر أن هناك ألبسة أخرى وفدت إلينا لم تكن معروفة سابقًا كالكوت والمعطف والروب الرجالي والبيجامة والفوانيل والسراويل القصيرة (الهاف) ومايوهات السباحة بالإضافة إلى البدلة الأوروبية التي أصبحت لباسًا عالميًا.

ولولا تمسك الأسرة المالكة بتلك الأزياء لفقدت رصيدها من الاعتبار والاحترام، كما حدث لكثير من البلدان العربية التي غيرت ألبستها التقليدية وأصبحت فيها البدلة الأوروبية لباسًا رسميًا للطبقة الحاكمة، ومن ثمَّ أصبحت زيًّا لرعيل المتعلمين والمثقفين وانتشرت في جميع الأوساط الشعبية.

المطبخ القطيفي

كان الإنسان البدائي قبل أن يكتشف النَّار يعيش على الأعشاب والثمار واللحوم الطازجة، وحين تعرَّف على النَّار استخدمها في طبخ اللحوم ثم تفنن أحفاده في المطبوخات وتحكَّمت البيئة في حياتهم ومأكولاتهم فسكان البلاد التي تقع في الصحراء أو مناطق الجبال والغابات يختلفون في طعامهم عن البلاد التي تقع على ضفاف الأنهر الكبيرة أو شواطىء البحار.

وكما كان الصنف الأول يعتمد على صيد الحيوانات البرية وتربية الدواجن وأكلها كان الصنف الثاني يعتمد على صيد الأسماك في طعامه اليومي ومن هذا الصنف الأخير كان سكان الخليج منذ القدم، وقد وصف المؤرخون القدماء الذين زاروا هذه المنطقة قبل الميلاد أوضاع السكان واعتمادهم على أكل السمك في غذائهم اليومي ولا تزال هذه الظاهرة سائدة عند أغلب السكان حتى عهد قريب حيث كانت اللحوم البرية تشكل نسبة ضئيلة في برنامج طعامهم اليومي خلال أيَّام الأسبوع.

ولما كان السمك لوفرته ورخص ثمنه يشكل الادام الشعبي الأكثر تداولاً كانت له طبخاته المتنوعة، وسواء كان السمك صغيراً ويسمى (الحت) أو كبيراً ويسمى (القصيب)[1] صار منه ما يشوى وما يقلى وما يعمل منه كبسة مع الأرز أو صالونة مرق، وكذلك الحال بالنسبة إلى الاربيان (الربيان) حيث تتعدد طبخاته وتتنوع والتي منها الكبسة[2] والمحموص[3] والبحّارى[4] والمقلي تحت العيش[5] والحمصة[6] وهناك طبخات شعبية أخرى كالبرنجوش أو المحمّر[7]، ولشدة اعتمادهم على السمك كانوا يجففونه كالقديد، ويسمونه (الحلَى) بالألف المقصورة، وكذلك الاربيان ويدخرونها لفصل الشتاء حينما يندر صيد البحر.

والأرز كان يشكل غذاء رئيسيًّا فيما مضى، فكانوا يتناولونه في وجبتي الغداء والعشاء، لذلك أطلقوا عليه اسم (العيش) رمزًا للحياة، واعتبروه مظهرًا من مظاهر النعمة ويسر الحال كما كان يشكل المادة الأساسية في المآدب والولائم، أما الخبز فكانت أهميته تعتبر ثانوية، وربما اقتصر تناوله على وجبة الإفطار في الصباح.

---

(١) لغةً الحُتُّ الجراد الميت بضم الحاء، وأما القصيب فلأن السمكة تجزأ إلى قطع وتباع بالوزن.

(٢) وطريقة عملها أن يقلى البصل قليلاً ثم يلقى الربيان بعد تنظيفه ويقلى معه جيدا وقد يضاف إليه شيء من الخضار كالطماطم ثم يكبس الجميع بعد وضع البهارات مع الأرز.

(٣) ويسمى المبزّر أو المودّم وطريقة طبخه أن يحمص البصل بالسمن أو الزيت جيدًا ثم يضاف إليه الربيان والبهارات حتى يحمر ثم يلقى فوقه الأرز فإذا أضيف إليه الماش سمي (كشري) بعد أن يغلى الماش وينضج.

(٤) البحارى بتشديد الحاء نسبة إلى البحار ولعل أهل البحر أول من اخترعه لبساطة طبخه وطريقته أن يكبس الأرز مع الادام في آن واحد دون إضافة شيء إليهما ما عدا البهارات التي توضح في كل طبخة.

(٥) وطريقة طبخه أن يقلى الربيان جيدا ثم يضاف إليه البهارات والليمون العماني المجفف وبعد ذلك يخلط مع الأرز المطبوخ ويوضع على نار خفيفة.

(٦) وهي قلي الربيان مع البصل قليا جيدا حتى يصفر وأحيانا يضاف إليه الطماطم ثم يضاف إليه شيء من البهارات.

(٧) وهي أكلة شعبية وطريقة طبخها أن يضاف الدبس إلى الأرز ويطبخ معه.

أما لحوم الحيوانات بأنواعها فتحتل المرتبة الثانية في المطبخ الشعبي لارتفاع أثمانها بالنسبة لثمن الأسماك، لذلك كان تناولها قليلاً مرة أو مرتين في الأسبوع، أما في الولائم والمآدب فتصبح ضربة لازب، وتحتل لحوم الدجاج مركز الصدارة ولما كانت اللحوم تتخذ سبيلها إلى مطابخ الأغنياء كان لها عدد من الطبخات المتنوعة التي لاتعرفها الطبقة الفقيرة منها:

١ - القاورمة:

وطريقة طبخها أن يقلى اللحم مع البصل قليًا جيِّدًا حتى يصفر، ثم يرش عليه قليل من الماء وبعد ذلك يوضع الألو[١] والبيدان[٢] المُشرَّح ويضاف إليه قليل من الصبار[٣] بعد حلِّه في الماء وشيء من السكر والبهارات ويطبخ حتى ينضج.

٢ - القيمة:

وطريقة طبخها أن ينقع الحمص المجروش بالماء أولاً حتى يلين وبعد قلي اللحم مع البصل جيدًا يضاف إليه الحمص ويمرَّق مع لب الليمون العماني[٤] وشيء من البهارات حتى ينضج.

٣ - المحشي:

وطريقة عمله هو أن يفرغ جوف الخضار كالطماطم أو القرع أو الكوسة أو الباذنجان، ثم يحشى بخليط من اللحم المفروم والأرز والحمص المجروش والكشمش[٥] ولب الليمون العماني والبهارات وشيء من البقول كالكرفس أو الكراث ثم يطبخ حتى ينضج.

---

(١) الألو ثمرة مجففة من فصيلة المشمش.
(٢) هو ما يسمى باللوز الشامي ويقطع لبه إلى شرائح في الطبخة.
(٣) الصبار بضم الصاد وتخفيف الباء أو بتشديدها كما جاءت في معاجم اللغة وهو التمر الهندي الحامض.
(٤) نسبة إلى عمان حيث يحضر هناك ويصدر بعد غليه وتجفيفه.
(٥) الكشمش أو الزبيب وهو تمر العنب يستورد من الخارج.

٤ - البـراك:

وهي تسمية محلية لما يعرف بالدولمة في العراق ولها أسماء مختلفة وطريقة صنعها هي طريقة المحشي نفسها، والفرق بينهما أن البراك يستخدم فيه ورق العنب بعد غليه بالماء بدلاً من الخضار.

٥ - السبزي:

يحمص اللحم مع البصل تحميصًا جيدًا ويوضع فيه قليل من اللوبيا وخليط من البقول كالبقدونس والكرفس والاسبينك والشبنت والكراث والرجلة، ثم يمرق بالماء ويطبخ حتى ينضج.

٦ - الكفتة:

يطحن اللحم مع البصل ويضاف إليه لب الليمون العماني والبهارات ويحمص ثم يعجن بدقيق الحمص مع البيض ويعمل منه أقراص ويمرق بالماء ويطبخ، وتعمل كفتة الاربيان بالطريقة نفسها.

٧ - الكبة:

والعامة تنطقها (جبّة) وطريقتها أن يدق اللحم مع البصل أو يطحن ويضاف إليه التوابل والبهارات ولب الليمون العماني ثم يعجن مع طحين الأرز وقليل من البيض ويعمل منه كرات بحجم الطماطم ثم يمرق بالماء ويطبخ، وتعمل كبة الاربيان بالطريقة نفسها.

٨ - الكباب:

ويسمى أيضًا العروق وطريقة صنعه أن يطحن اللحم مع البصل وشيء من البقدونس والكراث والكرفس ثم يضاف إليه شيء من دقيق الحنطة ويعجن ويعمل منه أقراص مستطيلة ويقلى بالسمن أو الزيت.

٩ ـ كعب القدر:

والعامة تنطقه (جعب الكَدر) وطريقته أن يفرم اللحم إلى قطع صغيرة ويقلى مع البصل حتى ينضج ثم يضاف إليه الكشمش ولب الليمون العماني والبهارات ثم يصب على الأرز المشخول ويوضع على نار خفيفة حتى يتهدر وبعد ذلك يخلط مع الأرز.

١٠ ـ مثوية القدر:

يحمص اللحم مع البصل حتى ينضج ثم يضاف إليه لب الليمون العماني والبهارات وأحيانًا يضاف إليه شيء من الخضار ويوضع على نار خفيفة حتى ينشف.

١١ ـ الفسنجون:

وهي طبخة إيرانية عراقية ويستعمل فيها الدجاج غالبًا وطريقتها أن يقلي الدجاج أو اللحم، ثم يمرق بمحلول تمر الهند (الصبار) ويضاف إليه البهارات مع دقيق الفول السوداني أو معجون (بينت بتر) ويطبخ جيدًا.

١٢ ـ صالونة اللحم والخضار:

صالونة اللحم والخضار وهي معروفة وكذلك الكبسة والمحموص وقد سبق أن شرحنا طريقتها آنفًا.

* * *

وكما اختص مطبخ الأثرياء بهذه الألوان في طبخ اللحوم، اختص كذلك بألوان عديدة من الحلوى والتي كانوا يتناولونها في وجبة الصباح ويكثر صنع تلك الحلوى خاصة في شهر رمضان والأعراس وحفلات الأفراح وهي أيضًا متنوعة، منها:

١ ـ المقرازي:

وطريقة صنعه أن يؤخذ مثلاً مقدار أربعة كيلوغرامات سكر ويغلى في ثلاثة أمثالها من الماء حتى ينعقد ثم يضاف إليه كيلو من نشا الحب (الحنطة) المنقوع ويخلط به خلطًا جيدًا ثم يصب عليه كيلو من السمن ويحرك على نار خفيفة حتى يتماسك.

٢ ـ الساقو:

ينقع الساقو[1] ثم يزال عنه الماء فإذا كان المقدار كيلو غرام يضاف إليه مثله من السكر ويخلط ويوضع على نار خفيفة ثم يضاف له كيلو سمن ويحرك حتى يتماسك، ويستمر طبخه مدة خمس ساعات ومثلها عمل القرازي.

٣ ـ الكليجة:

يحمص دقيق الحنطة حتى ينضج ثم يترك حتى يبرد ثم يضاف إليه نصف الكمية من السكر ويعجن بالسمن والماء ويعمل أقراصًا مستديرة بواسطة قوالب خاصة ويجفف على نار خفيفة.

٤ ـ الخنفروش:

يحمص طحين الأرز ثم يخلط بالسكر والبيض ويعجن ويعمل منه أقراص وتقلى بالسمن ومقدار السكر نصف كمية الطحين.

٥ ـ المعروس:

يعجن طحين الحنطة مع نصف الكمية من السكر بالماء وبعد أن يسخن السمن بالقدر تصب العجينة فوقه وتخفض النار ثم تدار جيدا حتى تنضج وتتفتت ونسبة السمن بمقدار الثمن من كمية الطحين.

٦ ـ المفتوتة:

ينقع نشا الأرز حتى يذوب ثم يزال منه الماء ويعجن بنصف كميته من السكر، وبعد أن يسخن السمن تصب العجينة فوقه وتخفض النار حتى يصفر، ثم تدار حتى تتفتت.

---

(١) الساقو هو عبارة عن حبيبات نشوية وهو معروف ويستورد من الخارج.

٧ ـ خبيصة البيض:

يؤخذ مقدار ثلاثين من محاح البيض للكيلو الواحد من السكر ويخفق معه ثم يضاف إليه كيلو من السمن وشيء من الزعفران ويطبخ حتى يتماسك.

٨ ـ خبيصة الحب:

يحمص الطحين مع السمن بالنار أولاً ثم يضاف إليه سكر بمقدار كمية الطحين ويدار الجميع بالقدر على نار خفيفة حتى يمتزج بعضه ببعض وينضج.

٩ ـ خبيصة الأرز:

واسمها المتداول (خبيصة العيش) يحمص أولاً طحين الأرز حتى يصفر ثم يترك حتى يبرد، وبعد ذلك يضاف إليه نصف الكمية من السكر ثم يمرق بالماء ويطبخ حتى ينشف.

١٠ ـ العصيدة:

وهي حلوى شعبية، وطريقة صنعها هي الطريقة التي تصنع بها خبيصة الأرز، والفرق بينهما أن الأولى تعمل مع طحين الأرز والعصيدة تعمل بدقيق الحنطة وأحياناً يستعمل الدبس عوضًا عن السكر.

١١ ـ المحلبية:

يطبخ الحليب مع نشا الأرز ثم يضاف إليه ربع الكمية من السكر ويحرك أثناء الطبخ على نار خفيفة حتى يغلي وينضج.

١٢ ـ الماقوطة:

يخلط نشا الحب بمقدار نصف الكمية من السكر مع قليل من السمن ويغلى على النار.

١٣ - الشعرية:

وتسمى (السيويه) أو (البلاليط): تغلى الشعرية حتى تنضج ثم تشخل ثم توضع في القدر ويضاف إليها السكر وقليل من السمن وتحرك على نار خفيفة حتى تتهدر.

١٤ - المربى:

وكان يطلق على الحلوى المعمولة من قشرة الأترج، وطريقة عمله أن تزال القشرة الخارجية من الأترجة ثم يفصل منها اللب الحامض، وتقسم إلى شرائح وتغلى أولاً بالماء حتى تصفر ثم تعصر وبعد ذلك يوضع في القدر مقدار من السكر مع قليل من الماء ويطبخ جيدًا حتى ينعقد ويتحول إلى شبه عسل، ثم تلقى شرائح الأترج فيه ويترك على نار خفيفة ويمتزج بالمادة السكرية ويضاف إليه شيء من الهيل والزعفران.

وتعتبر (الهريسة)(١) الأكلة الشعبية الرمضانية المفضلة وهي الأكثر انتشارًا في بلدان الخليج. وهناك أنواع من الحلوى تصنع تجاريًا وتباع في الأسواق وهي الحلوى والرَّهش والقُبَيط.

هذه هي المطبوخات التي كانت معروفة فيما مضى، أما الآن فقد اندرس أكثرها بعد أن تطور المجتمع وتطلب الأمر السرعة في كل شيء فبعد أن كانت المرأة لا يتطلب منها في الدرجة الأولى سوى التدبير المنزلي والعمل في المطبخ وقتل أوقاتها فيه والتفنن في المطبوخات أصبحت لها مهمات أخرى في الحياة، كالدراسة والعمل ومن أجل ذلك لم يكن للمطبخ إلاّ جزء يسير من اهتماماتها فاستطابت في وجباتها الأكلات الخفيفة التي يساعدها الفرن في سرعة إنجازها.

---

(١) وطريقة صنعها أن يطبخ حب الحنطة في أربعة أمثاله من الماء مع مثل كميته من اللحم ويحكم القدر ويترك على نار خفيفة مدة عشر ساعات ويحرك بين فترة وأخرى، حتى ينضج ويذوب اللحم ثم يزال الماء الصافي ويعمل منه شوربة الهريس ثم تضرب الهريسة حتى تتخيط وتتماسك ثم توضع في الصحون ويصب فوقها السمن.

وحتى المشروبات كالقهوة والشاي اللذين كان تحضيرهما يتطلب وقتًا طويلاً قد سرت إليهما عدوى السرعة فتقلصت أوقات صنعهما تمشيًا مع روح العصر الذي يتطلب السرعة في كل شيء فبعد أن كانت القهوة تحمص وتدق بالهاون وتطبخ كلما قدم ضيف أصبحت الدلّة التي تحتفظ بالحرارة كافية لتكريم عدد من الضيوف كما ساعدت القهوة المستحضرة في العلب على اختصار الوقت.

وكذلك الحال بالنسبة للشاي الذي فقد مجده هو الآخر، لقد كانت لحفلة الشاي أبهتها وجلالها في الماضي فالعائلة كانت تحتفي بالسماور النحاسي اللماع فتتحلق حوله، وحينما تشتعل النار في جوفه ويغلي الماء يرسل صوتًا منغمًا ثم يصب الماء بالقورى الصيني ويوشح بالبردة المطرزة ويتوج به السماور وتظل الأسرة في انتظار الشاي حتى يخدر وإلى جانب السماور كانت تقبع الصندقة الأنيقة[1] وقد خرجت منها طقوم من الأكواب الزجاجية وهي المسماة (بالاستكانات) واتخذت قواعدها في صفوف منتظمة على الصينية بصحونها الجميلة وملاعقها الرشيقة يصحبها قدح من القند أو السكر لتلبية أذواق المحتفين.

أما الآن فقد أفل نجم تلك الأدوات وتحولت إلى تحف أثرية وأصبح تحضير الشاي لايستغرق سوى بضع دقائق، شأنه شأن القهوة التي زال مجدها وأبهتها والتي كانت بتنوع دلالها اللامعة التي تزين واجهة الوجاغ مظهر اعتزاز لرب المنزل.

المساكن والأثاث والمفروشات

من الطبيعي أن تتأثر هندسة البيوت في القطيف بالعمارة الإسلامية العربية وهذا ظاهر للعيان، تلمسه في طراز البيوت وعمل الأطواق والاسطوانات والتفنن في النقوش

(١) الصندقة: صندوق ذو أقسام مختلفة الأحجام على قدر أدوات الشاي كالقورى والاستكانات والصحون والملاعق.

والزخرفة، كما أن عوامل الجو والمناخ والوضع الاجتماعي قد تركت على عمارتها بصماتها الظاهرة، فالجو استلزم أن يكون لها سطوح في أعلاها لأجل النوم خلال أشهر الصيف، والمناخ استوجب أن يكون للغرف نوافذ يتخلل منها الهواء إلى الداخل ليخفف من رطوبة الجو، والوضع الاجتماعي اقتضى أن تكون المنازل مصمتة متلاصقة لعدم استتباب الأمن في الأيام الماضية.

وهندسة البناء كانت عندنا موحدة الطراز تقريبًا، حيث تتوسط البيت قاعة مفتوحة تسمى (شمسه أو حَوِي) ليتخلل منها الشمس والهواء، ولا تزيد أدواره على ثلاثة، فالدور الأرضي يسمى (الدور)[1] والطابق الأول يسمى (الغرف) والطابق الثاني يسمى (الخلوات)، فالدور الأرضي الذي يقع فيه مدخل المنزل (الدهليز) يحتوي على البئر الذي يزوّد المنزل بماء الغسيل[2] وعلى عدد من الغرف تستعمل لسكنى الخدم والعبيد أو لتخزين الحطب أو كناديد[3] لحفظ التمر، واصطبلات للحيوانات أما الصالة السفلية التي تُوصل فيما بينها فتسمى (العقد)، وتستعمل للنوم في القيلولة أثناء موسم البوارح[4] لشدة حرارة الجو، ويليه الطابق الأول الذي يستخدم لسكنى العائلة، فالصالة التي يقع فيها مدخل الغرف تسمى (ليوان) بفتح اللام فإذا كانت على شكل مربع تسمى (مربعة)[5]، أما الطابق الأخير فيتألف في الغالب من سطوح وغرفة تسمى (خلوه) وصالة مسقوفة مفتوحة من جميع الجهات تسمى (مُصبّح) وهذه الغرفة التي بجانب السطوح تستعمل كمجلس للرجال أو كحجرة خاصة برب المنزل، وتستخدم للنوم لقربها من السطح حينما يبرد الجو في أواخر الصيف.

---

(١) جمع دار تسمية البعض باسم الكل وهذا المصطلح عند أهل القطيف.

(٢) لايستعمل ماؤها إلا للغسيل فقط أما مياه الشرب فتجلب من مصادر أخرى.

(٣) جمع كندود وصحتها كندوج، وتبنى أرضيته على شكل جداول صغيرة يجمعها مجرى واحد يؤدي إلى الجابية (مجمع الدبس) وتغطى جدرانه وأرضيته بالجداين جمع جدينة وهي عبارة عن بساط منسوج من الجريد والحبال.

(٤) رياح موسمية. انظر القسم الجغرافي من هذا الكتاب. وهي رياح موسمية تهب خلال شهري مايو ويونيو.

(٥) وغالبًا ما تكون لها اسطوانات وأقواس في وسطها.

وكانت جميع مواد البناء من ألفها إلى يائها من صنع محلّي فالجصّ كانت تستخرج مادته من طين البحر بعد تجفيفه وحرقه، ويسمونه (خكرى)[1] ويستعمل للتلييص. كما يوجد إلى جانبه جص آخر يستحضر من الصخور الهشة بعد حرقها ويسمونه (الجص العربي) ويستعمل هذا الأخير لطلاء المنازل والزخرفة ورصف السطوح والحمامات، أما الحجر الذي يبنى به فيقطع من الأراضي البحرية الضحلة ذات الطين المتكلّس.

وكانت الأبواب والشبابيك هي الأخرى تصنع محليًّا وتقطع أخشابها من الأشجار أو تُستورد، وكذلك المسامير تصنع محليًّا أما السقوف والجسور فتستخدم فيها جذوع النخل وتشكل النخلة العمود الفقري في مواد البناء سواء منها البيوت أو الأكواخ[2]، فالجص يحرق بجذوع النخل والسقوف تصنع منها، والأكواخ تبنى من سعف النخل وجذوعه وتغطى بالسميم[3] وهي من نسيج خوص السعف.

أما تأثيث المنزل فهو في غاية من البساطة فلا تفرش فيه إلاّ غرفة النوم والمجلس وتفرش غرفة النوم عادة من الحصر المصنوعة محليًّا من الأسل والحبال وتسمّى (مدَّه)[4]،

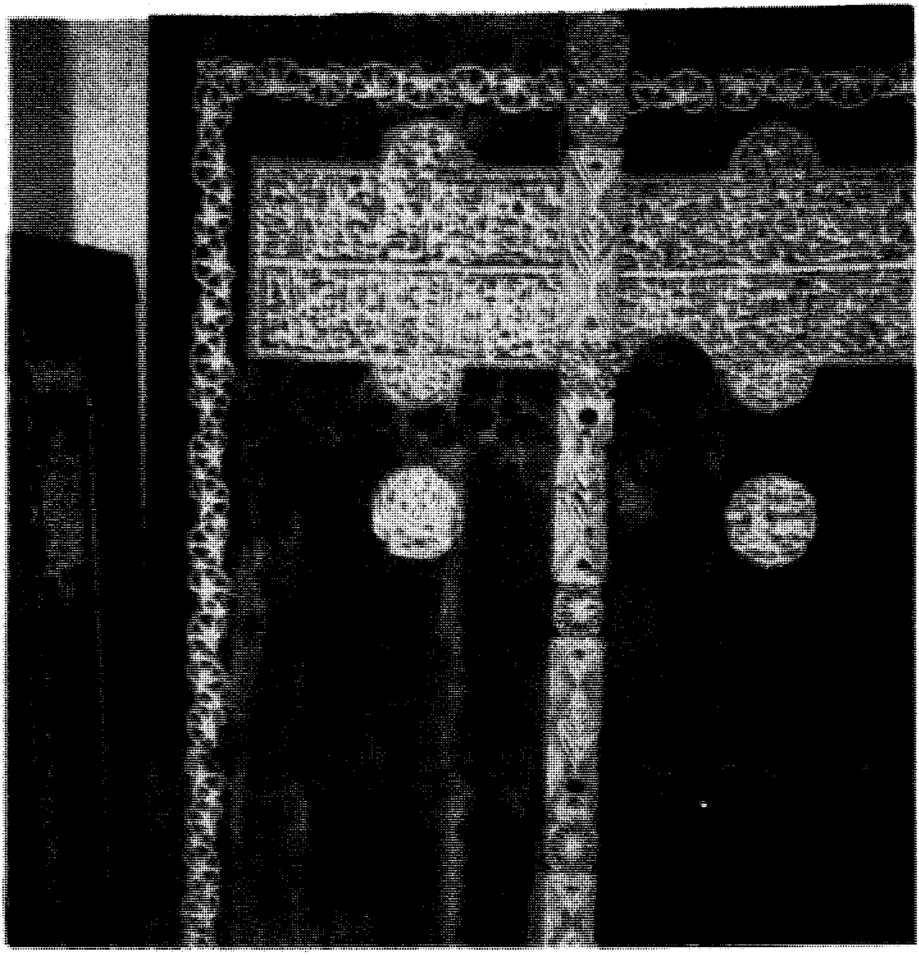
(١) الجص الخكري هي المادة المستعملة للتلييص قبل وجود الأسمنت وطريقة تحضيره أن يستخرج الطين من البحر ويجفف ثم يجمعونه ويكوّمونه على شكل هرمي فوق قطع من جذوع النخل تسمى: جزم، جمع (جزمة) ويسمونه (صار) ثم يشعلون النار من تحته فتبقى مدة ثلاثة أيام ثم يستخرجون لبه ويسمونه (الجص الأحمر) وهو قوي جدًّا في صلابة الأسمنت ويستعمل لبناء المجاري وأشباهها ثم يدقون الطين المحروق حتى يصبح ناعمًا وجاهزًا للاستعمال وكذلك تعمل الطريقة نفسها بالنسبة للجص العربي.

(٢) وتسمى العشيش جمع (عشة) إذا كان البناء من سعف أما إذا كانت جدرانها من الطين فتسمى (مندبية) وكلها تبنى على شكل جمالون.

(٣) السَمة بفتح السين البساط من خوص النخل والجمع سمم أو سمام والعامة تنطقها بكسر السين خطأ وتجمعها على سميم.

(٤) كانت صناعة المديد مزدهرة ولها أفراد متخصصون ومعاملها تشبه أنوال نسيج الأقمشة التقليدية.

وتوضع فوقها الطنافس والزل والمقاعد وتصف حول جوانبها المساند كما تغطى جدرانها، بالمـرايا الكبيرة حتى السقف، ويتكون أثاث غرفة النوم من سرير مجوز مصنوع من السيسم يوضـع في مؤخرتها، حيث تزين بردته المرايا الصغيرة وبيض النعام ويفرش بالطراريح والنهيليات الوثيرة[1]. وفي واجهة الغرفة يوضع صندوقان أو ثلاثة من خشب الساج المحلاة بالمسامير النحاسية لحفظ الملابس ويوضع فوقها عدد من الصندقجات[2]



باب خشبي (من متحف محمـد الفارس) مكتوب عليه آيات قرآنية.

(١) الطراريح جمع طراحة والنهيليات جمع نهيلي وهما ضربان من فرش النوم الوثيرة.
(٢) جمع صندقجة وهو وعاء مسطح مصنوع من الخشب وله حافات مائلة على جوانبه.

تصف عليها التحف والأواني البلورية والصينية والنحاسية وبين كل صندقجة سلَّة[1] توضع فيها الملابس التي تكون قيد الاستعمال.



سلال وأواني وصناديق مبوتة (من متحف السيد/ محمد الفارس).

أما الخَلوة فتفرش بالزلّ والطنافس والمساند، وتحتوي على صندوق صغير يسمى (بشتخته أوسفط) لحفظ الأدوات الكتابية والوثائق وتكون هذه الغرفة بمثابة مجلس أو حجرة مكتب خاصة برب العائلة أو مكتبة إذا كان من أهل العلم والأدب.

وتخصص غرفة من المنزل للتموين تسمى غرفة (الكيل) وهي بمثابة مستودع لمؤونة المنزل أو لحفظ الأواني والأمتعة وتحتل الأواني النحاسية والصينية والزل والمرايا الكبيرة المقام الأول في مقتنيات الشخص ويتوارثها الأبناء خلفًا عن سلف.

(1) وعاء مصنوع من الأسل محليا وله غطاء بحجمه.

وكان النحاس الأحمر يستورد وتصنع منه الأواني على اختلاف أشكالها وأحجامها كالطناجر والصواني والدلال وكانت صناعة الصفّار من أكثر الصناعات ازدهارًا في عصر مضى، فهو الذي يقوم بصنع تلك الأواني وتبييضها بالرصاص، فمن هذه المادة تصنع القدور والصواني والصحون والأقداح والطاسات والطشوت والأباريق والمصاخن ودلال القهوة وغيرها.

وإلى جانب الأواني النحاسية كانت الأواني الفخارية[1] تحتل المرتبة الثانية وكانت صناعتها المحلية مزدهرة فمنها كانت تصنع أواني الشرب وغيرها كالجرار والأباريق والكيزان والأقداح والبرم[2] وتستهلك أكثريتها الطبقة الفقيرة، كما كان يستورد من البصرة وإيران، بعض منها كالحباب والقلل والمشربات[3] لمتانة صنعها ونعومة فخارها.



أباريق متنوعة نحاسية وقدور للطبخ نحاسية.

(١) كانت تصنع باللولب ثم تجفف وتحرق بالفرن الذي يسمى (دوغة).

(٢) جمع برمة القدر من الطين.

(٣) جمع مشربة بكسر الميم وهو إناء الشرب وتسمى عندنا (الشربة) أو (التنج).

تلك لمحة وجيزة عن أوضاع المساكن والأثاث والمفروشات في عصر مضى وقد سجلناها للتاريخ ليعرف الجيل الجديد كيف كان آباؤهم وأجدادهم يعيشون بعد أن انمحت تلك الصورة وتطور كل شيء في أوضاع حياتهم الحاضرة.



عدد من الجحال (جمع جحلة) تستعمل لماء الشرب وللتخزين.
(من متحف السيد/ محمد الفارس).



ميقعة لدق الحبوب من خشب وبجانبها إلى اليسار جحلة طينية عليها مرطبان.

اللهجات المحلية وأصولها

منذ أن سادت لغة العدنانيين في هذه المنطقة متمثلة في القبائل التي قطنتها، انتشرت بين السكـان تلك اللهجـات التي كانت تتكلم بها تلك القبائل وأصبحت راسخة الجذور على ألسنة سكان المنطقة حتى الوقت الحاضر.

فنجـد عنعنة تميم وقيس، واستنطاء سعد وهذيل، وجعجعة قضاعة، وجيم فقيم، وقـاف تميم، وكشكشـة تميم المنحـدرة من اللهجة اليمنية. . . إلى غير تلك اللهجات التي تنطق بإبدال الحروف بغيرها.

فمنها (جيم) فقيم[1] وهي قلب الجيم ياءً، المنتشرة في بعض قرى القطيف كأم الحـمام والجش وسيهات وصفوى وسنابس، فهم عندما ينطقون جبل وجمل وجنوب يقولون يبل ويمل وينوب، وفقًا لما نطق بها شاعر فقيم في (جنى) و(شجرات) في هذا البيت:

إذا لم يكـن فيكـن ظل ولا ينى　　　فأبـعـدكـن الله من شيرات

ونجد كذلك استنطاء سعد وهذيل والأزد، وهي إبدال العين نونًا، فينطقون أعـطى (انطى)، وقد نطق بها النبي ﷺ في أحاديث مروية[2]، وكذلك عنعنة تميم

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعي، ١/١٤١ وما بعدها.
(٢) المفصل، ٨/٥٧٣.

وقيس، وهي إبدال الألف عينًا فيقولون (عجل) أي أجل (بمعنى نعم) وتأتي كشكشة أسد[1] وهي إبدال الكاف في ضمير المخاطبة إلى (شين) بصفة شائعة في مدن القطيف وقراها، فيقولون (زوجش يحبش. وابنش يطيعش) أي زوجك يحبك وابنك يطيعك، ومثلها قاف تميم، وهي عبارة عن إبدالها جيمًا مصرية أو حرف (G) الإنجليزية، وهي منتشرة بصورة عامة في القطيف، فيقولون كَام وكَعد وكَال أي قام وقعد وقال، وفي ذلك يقول شاعر تميم:

ولا أكَول لكَدر الكَوم كَد نضجت ولا أكَـول لبـاب الدار مكَفول

أي:

ولا أقول لقدر القوم قد نضجت ولا أقـول لبـاب الـدار مقفول

ويروي ابن الفوطي في كتابه «تلخيص الآداب» أن الشاعر ابن المقرب المتوفى سنة ٦١٧هـ كان يعقد القاف كَافًا.

وتأتي لهجة كلب (الوكم والوهم)[2] أقل انتشارًا وهي كسر الهاء أو الكاف في ضمير الجمع المتصل، كقولهم منكِم وعنكِم وبيتكِم، ومنهِم وبيتهِم، وهي لهجة القديح والعوامية، وهناك من يفتح ضمير المتكلم المضاف إليه ويلحق بها هاء السكت كأهل سيهات حين يقولون (خاليه وعميه) أي خالي وعمي، وهي عربية فصحى، وقد جاءت في القرآن الكريم ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ ﴾[3]

وهناك بعض الحروف التي ربما جاءت لهم من غير مصدر عربي، كإبدال الكاف في بعض الكلمات جيمًا مخففـة، وأعتقد أنها فارسية، فهي تشبه (CH) الإنجليزية، كقولهم (جيف وسمجـة ورجيه) أي كيف وسمكة وركية، وهي دارجة في لهجة أهل

---

(١) تاج العروس، ١٧/٣٦١.

(٢) المفصل، ٨/٥٧٢.

(٣) سورة الحاقة، الآيتان ٢٨ و٢٩.

القطيف، ومنها إبدال الثاء فاء فيقولون (فوب وفواب وفلافه) أي ثوب وثواب وثلاثة، وكذلك إبدال الظاء ضادا والذال دالاً بصورة مطردة، كما يسود في لهجتهم إلحاق الباء بعد حروف المضارعة، لتعبر عن سين التنفيس كقولهم (اباكتب وبنكتب وبتكتب وبيكتب) وكذلك كسر أحرف المضارعة، وهي لهجة أسد وقيس[1] وهذا إلى غيرها من التبديل والتغيير التي تلحق الحروف، والتي ورد بعضها في كلام العرب، وسجلها علماء اللغة، ومن الملاحظ أن اللهجات في شبه الجزيرة العربية تعتبر أقرب ما تكون إلى اللغة الفصحى في بنيتها وتراكيبها، وإذا وجدت فيها بعض المفردات أو التراكيب الشاذة التي تحتاج إلى إيضاح، فهي قليلة جدًّا.

الأساطير الميثولوجية

تكاد لا تخلو أي بقعة من العالم من الإيمان بالخرافات والشعوذة والأساطير الميثولوجية، كالأشياء الوهمية التي تحكى عن مشاهدة الأطباق الطائرة أو رؤية الجن والعفاريت والسعالى، ومعايشتها للبشر على وجه الأرض، وقد حفل الشعر العربي والمؤلفات العديدة بألوان من هذه القصص التي تحكي عن هذه الكائنات، التي لا يعرف عنها إلا خالقها، وقد توارث الناس تصديق تلك الحكايات والاعتقاد بتلك الأوهام خلفًا عن سلف.

أما موقف العلم تجاه هذه الحكايات والأوهام فيرجعها إلى عامل نفسي مصدره الخوف والتصورات الكامنة في العقل الباطن، فعندما يظل الإنسان في محل موحش، أو مكان مقفر، يستولي عليه الرعب والوجل، وتستحوذ على شعوره المخاوف، وهنا العقل الباطن يلعب دوره، فيفرز تلك الصور المختبئة فيه، فتتجسد أمام عين الإنسان أشباح مرعبة، ويسمع بأذنيه أصواتًا لا وجود لها، ولا ننسى أن الخرافات والأساطير التي تحكى له منذ الصغر تختبىء في العقل الباطن، فلا تظهر إلاَّ في مثل هذه الحالات النفسية.

---

(١) تاريخ آداب العرب، ج١، ص١٤٠.

وهذا التفسير العلمي يتطابق إلى حدٍّ كبير مع ما ذكره المؤرخ الكبير المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ في كتابه (مروج الذهب) في تفسير هذه الظاهرة: أما ما تذكره العرب وتنبىء به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد في القفار والتفرد في الأودية، والسلوك في المروراة[١] الموحشة، لأن الإنسان إذا صار في مثل هذه الأماكن وتوحد تفكر، وإذا هو تفكر وجل وجبن، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة والأوهام المؤذية والسوداوية الفاسدة، فصورت له الأصوات، ومثلت له الأشخاص وأوهمته المحال، بنحو ما يعرض لذي الوسواس، وقطب ذلك وأسّه سوء التفكير، وخروجه على غير نظام قوي، أو طريق مستقيم سليم، لأن المتفرد في القفار والموجود في المروراة مستشعر للمخاوف، متوهم للمتالف متوقع للحتوف، لقوة الظنون الفاسدة على فكره، وانغراسها في نفسه فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به، واعتراض الجان له»[٢].

وقد كان للأساطير الميثولوجية دور بارز في السيطرة على عقلية الأجيال السابقة فقد زعموا أنهم رأوا الجن وسمعوا أصوات العفاريت، ودخلت في أجسادهم وعايشتهم في مساكنهم إلى غير ذلك من الخرافات المتداولة بينهم.

فيحكى مثلاً أن ساباط الظَّلْمَى[٣] كان مسكنًا للجن، وأنهم يظهرون أثناء الليل بصور الزنوج السود، ولهم عيون موازية لأنوفهم[٤]، وشعور منفوشة وخراطيم توحي بالتهام كل شيء وأرجل تشبه أرجل الحيوانات وأحيانًا يتجسدون بصورة غريبة كالحمير والأغنام والقطط السوداء والكلاب لاسيما حين تفاجئهم جماعة من الإنس، وأنهم شاهدوهم في أماكن كثيرة كالعيون والترع والبساتين والبيوت والدهاليز والسوابيط، كما أنهم يتعشقون النساء أحيانًا، فيدخلون في رؤوسهن، فيصبن بالصرع

(١) المروراة: الأرض لا شيء بها، أي الصحراء المقفرة.

(٢) مروج الذهب، ج٢، ص١٣٩ـ١٤٠، طبعة دار الأندلس، بيروت.

(٣) ساباط موجود بالقلعة بمحلة الزريب.

(٤) وهذا الوصف ينطبق على وصف السعلاة الذي ذكرها المسعودي واستشهد بهذا البيت:

وحافر العنز في ساق مدملجة ... وجفن عين خلاف الأنس في الطول

ومنها نشأت عادة الزار[1] من دق الطبول وحرق البخور ليخرجوه من الجسد، وأن الجن يتعرضون للصغار والكبار لاسيما في حالة الغضب زاعمين أنهم يضربونهم، حينما يتخبطون على غير هدى فيدوسون صغارهم، ومنها نشأت عادة (العذرة)[2] وهي عبارة عن أرز مطبوخ بالسكر يفرقونه في الزوايا ومنعطفات الطرق إرضاءً لخواطر الجن حسب اعتقادهم.

ومن الأوهام السائدة أيضًا الاعتقاد بوجود (أم حمار) ويتصورونها على شكل امرأة لها أرجل كأرجل الحمار، ومنها (الطنطل) ويوصف بطول القامة إذا مشى يسمع له صوت، وهو يتمثل أمام السارين في الليل فيرعبهم، ولكن الحيلة في دفعه أن تكون مع الساري (مسلة)[3] فإذا رآه صاح هات المسلة، فيهرب منه. ومنها (الدعيدع) وهو يتمثل للماشي في الظلام كالجمر الملقى على قارعة الطريق، فإذا اقترب منه انتقل إلى محل آخر. ومنها (السعلو) ويتمثل في صورة زنجي عملاق، وله أنياب طويلة يختطف الأولاد الصغار ويأكلهم. ومنها أبو دربارة، عند أهل البحر يتراءى لهم كالغريق الذي يستنجد فإذا حاول أحد انقاذه واقترب منه أكله، وإن تركه اختفى في ثبج الماء، ومنها (أم سعفة) يزعمون أنها تطير على سعفة نخل بعد منتصف الليل في علو شاهق مارة فوق السطوح أثناء الصيف، وتسمع لها خشخشة السعف ويعللون قدرتها على الطيران بسبب طاعتها للشياطين، وانغماسها في الغواية، وأطرف ما يحكى بصفة متواترة عن عفريت من فصيلة الجن التي تسكن البحر يسمع صوته ولا يرى شخصه يسمى (أبو مغوِّي) أي مضلل، يقف في وسط مقطع تاروت[4] ويقول للسائر في الطريق خذ يمينًا

---

(١) فرقة الزار تتألف من امرأة دجالة ومساعدتها وأثناء دق الطبول وحرق البخور يتكلم الجني الذي في رأس المشعوذة مثل صوت الرجل ويتسمى باسم رجل ويخاطب الجني الذي في رأس المصابة ويطلب منه الرأفة بها وعندها تنتهي حفلة الزار.

(٢) العذرة عادة وفدت إلينا من الهند وهي تُقسَّم في حالتين لاسترضاء الجن إما لأجل المصاب بروعة أو حين ذهاب العريس أو العروس لإحدى العيون للاستحمام.

(٣) هي الإبرة الطويلة الضخمة يخاط بها أكياس الأرز وغيره.

(٤) المقطع هو عبارة عن طريق رملي يمشي السائر عليه في أوقات الجزر بين القطيف وتاروت سابقًا فإذا انحرف عن هذا الخط وقع في الطين اللزج وصعب عليه التخلص منه.

أو شمالاً، فإذا أطاعه وانحرف عن الطريق وقع في الطين، فلا يستطيع الخلاص منه فيهلك، وهذا بالإضافة إلى الحجب والتمائم التي كانت تعلق في أعناق الأطفال وصدور النساء وزنود الرجال، لتقيهم من مختلف الأمراض والعلل، مما جعل سوق الشعوذة قائمة على قدم وساق في ذلك العهد.

أما في عصرنا الحاضر، بعد أن ساد الوعي بسبب انتشار التعليم فأصبحت هذه الأوهام والخرافات مثارًا للتندر، وأصبح كثير من هذا الجيل لا يعرف شيئًا من تلك الأمور، بل سقطت من قواميس لغتهم أمثال كلمات الجن والعفاريت والسعالى في حياتهم اليومية، كما أن الحجب والتمائم أصبحت من مهازل الماضي بعد أن آمنوا بحقائق العلم ودور الطب وفساد الشعوذة والدجل.

الأديان والمعتقدات

عرفت هذه المنطقة بحكم موقعها الجغرافي ومركزها الاقتصادي مختلف الطقوس والعبادات، كما كانت ملتقى لكثير من الملل والديانات، فعرفت كغيرها العبادة الوثنية منذ فجر تاريخها، فقد عثر على تماثيل قديمة في أماكن متفرقة تعود إلى عهود مغرقة في القدم، كالتمثال الحجري الذي وجد على مقربة من قلعة تاروت، والذي يشبه التماثيل السومرية[١]، وتمثال ذهبي لعشتاروت والذي عثر عليه في أحد بساتين تاروت[٢] ولا تزال أسماء الأصنام عالقة ببعض المواضع والأعلام من آثار العبادة الوثنية في العهد الجاهلي، كاسم (أوال) الذي هو صنم لبكر بن وائل، و(محرق) الذي هو صنم لبكر وتغلب، وعبدالقيس وعبد ود وتيم اللات إلى غيرها من الأسماء.

كما عرفت الديانة المجوسية، وقد وفدت إليها عن طريق الامبراطورية الساسانية وإن كان انتشارها قليلاً بين السكان، وساعد على انتشارها نفوذ الفرس إبّان سيطرتهم

---

(١) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، ص٤٤.

(٢) ساحل الذهب الأسود، ص٥٣.

عليها، وهجرة أعداد كبيرة منهم، وقد عثر المنقبون على قبور عديدة تعزى إليهم وآثار لمعابدهم في العربية الشرقية[١]، ومما يذكر أن بعضًا من أفراد القبائل اعتنقت المجوسية، ومنهم جماعـة من تميم، من بينهم زرارة بن عدس التميمي وابنـه حاجب بن زرارة والأقرع بن حابس وأبو الأسود جد وكيع بن حسان.

ودخلتهـا اليهودية، ويعتقد أنها جاءتها من اليمن والعراق، فقد ذكر الدكتور جواد علي أن اليهـود جاؤوا إليهـا من العراق، فسكنوا مواضع من ساحل الخليج، وتاجروا مع أهل البلاد، وقد عملوا على تهويد أولئك العرب[٢] وبقيت فيها الديانة اليهودية حتى بعد أن خفّق عليها لواء الإسلام، وقد أوصى النبي ﷺ ألَّا يصد اليهود عن يهوديتهم ويعاملون معاملة حسنة، ولا يؤخذ منهم سوى الجزية، وقد دفعها يهود البحرين وبقوا على دينهم، كما هو حال بقية يهود جزيرة العرب.

وانتشرت الديانة المسيحية، التي يقال إنها دخلتها عن طريق الحيرة أو عن طريق اليمن[٣]، أو عن طريق المبشرين والتجـار القـادمـين من الإمـبراطـورية الـرومـانية والفارسية، وقد ساد بين نصارى العربية الشرقية[٤] المذهب النسطوري[٥] بعد دخول المسيحية إلى البلاد، فقد ذكرت التواريخ الكنيسة وجود أساقفة حوالي عام ٢٢٤م، من بينهم أسقف اسمـه عبـد يسـوع، قام بالتبشـير في المنـطقـة، فبنى ديرًا فيهـا،

(١) المفصل، ج٦، ص٦٩٤.
(٢) المصدر السابق، ج٦، ص٥١٤.
(٣) كلف الإمـبراطور قسطنطين (٣٣٧-٣٦١م) المبشر ثيو فيلوس THEOPHLUS أن يذهب إلى اليمن لمقابلة التبع وإقناعه بإقامة كنائس في بلاده، فذهب إليها، وناظر يهودها فأفحمهم واقتنع التبع، فسمح لهم بإنشاء كنيسة في ظفار العاصمة وكنيسة أخرى في عدن، وكان بها جالية من الروم، وقد سبق لهذا المبشر أن أنشأ كنيسة في هرمز بالخليج العربي.
(٤) المفصل، ج٦، ص٦٢١.
(٥) أتباع نسطوريوس NESTORIUS مـات عام ٤٥م والقائل بأن للمسيح طبيعتان (أقنومان)، أقنوم الإنسان وأقنوم الله، فالمسيح بشر من ناحية الأم وإله من ناحية الأب، وقد اتهم بالهرطقة، فحكم عليه وعلى أتباعه بالضلال والإلحاد في مجمع أفسوس عام ٤٣٩م.

ومـن بين تلك الأمـاكن التي كانت تابعـة لأسقفية العـربية الشرقية (بيت قطرايا BETH KATRAIA) أي قطر، ودرين أي دارين في جزيرة تاروت وسماهج في أوال، كما ذكـرت ثلاثة أساقفة كانوا بين عام ٤١٠م و٧٥٦م في موضع خطا HATTA أي الخط، وفي المجمع الذي انعقد عام ٥٨٥م برئاسة الجاثليق بشوعياب للنظر في الشؤون الخـاصة بنصارى الخليج تقرر وجوب ترك العمل أيام الآحاد، كما انعقد أيضًا عام ٥٧هـ (٦٧٦م) أي في عهـد الإسلام، مما يدل على التسامح الديني الذي اتسم به الدين الإسلامي، وممن حضر تلك المجامع النسطورية أسقفان لهجر، أحدهما يدعى إسحاق والثاني قوسي عام ٦٧٦م، ووردت أسماء أساقفة من النساطرة، الذين تولوا رعاية شئون طائفتهم في مدينة دارين وجزيرة سماهج ومواضع أخرى من الخليج[١].

وقد كانت المسيحية أكثر انتشارًا بين قبائل المنطقة، فاعتنقها جماعة من تغلب وإياد وتنوخ وبكر وتميم وعبدالقيس، وممن عرف باعتناقها من الشخصيات البارزة بحيرا الـراهب والمتلمس جرير بن عبـدالمسيح والجـارود بن بشر بن عمـرو الذي وفد على الرسول ﷺ وكان نصرانيًا فأسلم ومعه جماعة من قومه.

كل هذه الديانات التي التقت على صعيد هذه المنطقة أوجدت يقظة وجدانية وبعثت ألـوانـًا من النشـاط الفكري، فكونت لها شبه استعداد نفسي لاستقبال أمر جديد، وهيأت فيها الشعور لتقبل دين التوحيد، فيحدثنا المسعودي بأن ربابَ الشنيّ وبَحيرا الراهب وهما من بني عبدالقيس كانا ممن عرف التوحيد، وأقرا بالخالق، وصدقا بالبعث والنشـور، قبل مبعث الرسول ﷺ[٢]، وذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في إصابته: أن المنذر بن عائذ الملقب بالأشج كان صديقًا لراهب ينزل دارين[٣] وكان يلقاه كل عام، فلقيه ذات عام بالزارة[٤] فأخبره بأن نبيًا يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل

(١) المفصل، المصدر السابق، ج٦، ص٦٢٩.
(٢) مروج الذهب، ج٢، ص١٠٢.
(٣) بلدة تقع في الطرف الجنوبي من جزيرة تاروت.
(٤) كانت عاصمة لهذه المنطقة في ذلك الوقت وهي تقع بالقرب من بلدة العوامية وقد دمَّرها أبو سعيد الجنابي القرمطي عام ٢٨٣هـ فانطوى ذكرها من التاريخ منذ ذلك الحين.

الصدقة، وبين كتفيه علامة، يظهر على الأديان، ثم مات الراهب فلمّا سمع الأشج بمبعث الرسول ﷺ بعث ابن أخته وزوج ابنته عمرو ابن عبدالقيس، وبعث معه تمرًا وملاحف، وضم إليه دليلاً يقال له الأريقط، فأتى مكة عام الهجرة، فلقي النبي ﷺ ورأى العلامات فأسلم، ثم رجع وأخبر خاله، فأسلم هو الآخر، وكتما إسلامهما حينًا من الزمن.

وقد دخلت هذه المنطقة في حظيرة الإسلام في العام السادس للهجرة، ويجمع المؤرخون بأن أهاليها الذين اعتنقوا الدين الإسلامي كانوا على اقتناع بصحة مبادئه، فلم يكن هناك قتال، وقد اعتنقت الأغلبية الساحقة الدين الجديد، ما عدا أقلية من السكان تمسكت بدياناتها، فقبلت الجزية، وقد اضمحلت هذه الأقلية في العهود المبكرة للتاريخ الإسلامي فلم يبق منها أحد، وانمحت معها تلك الملل والأديان.

وبقيت مبادىء الدين الإسلامي عامرة في نفوس أبناء هذه المنطقة، وقد زالت من البلاد جميع الانحرافات التي أحدثها القرامطة والتي زالت بزوال دولتهم، فلا يوجد أحد في واحة القطيف ومدنها وقراها من أتباعهم أو ممن ينتمي إلى مذاهبهم.

حضارة وتاريخ(*)

الآثار التي اكتشفت في هذه المنطقة دلَّت على أنَّها كانت مهدًا لشعوب عريقة في الحضارة، وأن لها تاريخًا مغرقًا في القدم يمتد إلى العصر الحجري والبرنزي، وتكاد تكون آثار الاستيطان البشري في المنطقة الشرقية أكثر وضوحًا من أي جزء آخر من المملكة العربية السعودية(1)، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل أهمها موقعها الاستراتيجي، لتوسطها بين مراكز الحضارة القديمة كحضارة الهند والسند وفارس شرقًا، وحضارة

(*) حذفنا القسم التاريخي من الكتاب للاختصار، واستعضنا عنه بهذا الفصل.

(1) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، ص٣٦.

اليمن جنوبًا، وحضارة وادي النيل غربًا، وحضارة الهلال الخصيب ووادي الرافدين شمالاً، ثم إشرافها على جزء كبير من سواحل الخليج العربي الذي لعب دورًا خطيرًا في مجال الاتصالات البشرية والتبادل التجاري بين شعوب تلك الحضارات منذ أكثر من خمسة آلاف سنة.

وقد ظلَّت هذه المنطقة في محور تجاري وثقافي عبر القرون السالفة مع جيرانها، وانعكست تلك الإسهامات على شكل مستوطنات ومخلفات اكتشفت حديثًا في هذه المناطق ولتمام الشبه بين هذه الآثار المكتشفة لحضارة إنسان هذه المنطقة وبين تلك الآثار التي اكتشفت في مواقع سابقة كموقع (موهنجودارو) بوادي السند وموقع باكون وتل إيجاب في إيران وموقع العبيد والوركاء وجمدة نصر في جنوب وادي الرافدين وباربار في البحرين وأم النار في أبو ظبي نسبت هوية تلك الآثار بالدراسة المقارنة إلى تلك المواقع التي اكتشفت أولاً.

وقد أثبتت الدراسات الأولية أهمية هذا الجزء من الناحية الأثرية والتاريخية، حتى ذهب بعض الباحثين إلى أن أصول حضارة العبيد تعود في جذورها الأساسية إلى حضارة هذه المنطقة، ومنها امتدَّت إلى جنوب وادي الرافدين ومنها إلى الشمال، ثم انتشرت في المواضع الحضارية الأخرى، وقد ثبت لدى الباحثين الانتروبولوجيين بأن أقدم مراحل الاستقرار في القسم الغربي من الخليج تتمثل في شرق الجزيرة العربية، وذلك استنادًا إلى المخلفات الإنسانية التي عُثر عليها حتى الآن[1].

إن الأراضي الصحراوية الواقعة غربي واحة القطيف وجنوبها حتى الظهران والعقير وشمالها حتى مدينة الجبيل وجزيرة المسلمية وجزيرة تاروت وكذلك المناطق الواقعة جنوب الخبر وبين الدمام والخبر ومنطقة صحراء البيضاء ووادي المياه وثاج وجاوان وواحة الأحساء تكاد تمتلىء كلها بالآثار، وقد عثرت أرامكو أثناء مدّ خطوط أنابيب البترول على آثار مدفونة تحت الرمال، وأحيانًا تكون بارزة على سطح الأرض،

(١) منطقة الخليج خلال الألفين الرابع والثالث ق. م.، ص١٨٨.

كما تشاهد قطع من النقود وبقايا أوان فخارية قديمة مبعثرة هنا وهناك يجدها المتجول دون عناء، كما وجدت عيون كثيرة تربو على مائة وخمسين عينًا كانت تسقي سيحا، نظائر العيون التي تسقي واحتي القطيف والأحساء مما يدل على أن صحراء البياض كانت مأهولة بالسكان والمزروعات وهذا مصداق الأسطورة المتداولة بين السكان والتي تقول بأن ريف القطيف كان متصلاً بريف الأحساء فيما مضى، ويبدو أن تلك الواحات الصغيرة المنتشرة في صحارى البيضاء هي من بقايا ذلك الريف العظيم الممتدّ من الأحساء إلى القطيف[١].

وقد شاهدنا حتى عهد قريب عيونًا برِّية في وسط الصحراء حُولت مياهها عبر صهاريج لري المناطق الغربية من واحة القطيف، ويظهر أن الأهالي قاموا باستغلالها للري بعد أن انعدمت المساحة الزراعية التي كانت تسقيها فاستخرجوا الرمال منها وأحاطوها بأسوار عالية ووجهوا مياهها عبر صهاريج تحت الأرض، وإذا أضفنا هذه المعلومات إلى الأخبار التي يذكرها الجغرافيون الإغريق بأن أنهارًا كانت تجري من أودية شبه الجزيرة العربية، وتصب في الخليج العربي كنهر (أختم) في جنوب الكويت ونهر (أساتن) الذي كان يصب بالقرب من العقير ونهر (سينوس) الذي يصب بالقرب من قطر، ونهر (اللاّر) الذي يتحدر من نجران إلى أراضي الإمارات المتحدة[٢] وبالطبع كل هذه الأنهار كانت لها روافد وفروع تسقي الأراضي الشاسعة، عرفنا أن هذه المساحات الصحراوية لم تكن كما هي عليه الآن، وأن الكثبان المتنقلة والرياح التي تتحول أحيانًا إلى أعاصير مدمرة من النوع الذي يسمى تورنادو TORNADO كان لها اليد الطولى في خلق هذه المساحات الصحراوية وتدمير الزراعة والعمران.

لقد حدثني مالكم كونت[٣] بأن أرامكو عثرت في المناطق الصحراوية أثناء التنقيب عن البترول على آثار مدن وقرى كانت عامرة، فكلما حفروا بقعة في هذه المنطقة

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ط٣، ص٢٧.

(٢) العرب قبل الإسلام، ج٣، ص٢٩٤، د. جواد علي.

(٣) مستشرق أمريكي متخصص في علم الاجتماع أقام في العراق عامين وبعد الثورة العراقية سنة =

وجدوا خرائب مطمورة وأحيانًا بارزة على سطح الأرض. وهذا مصداق الخبر الذي يروى بأن موقع مدينة القطيف السابق كان في قلب الصحراء وأن إعصارًا دمَّرها سنة ٢١٦هـ واكتسحتها الرمال فنزح أهلها الذين أرخوا هجرتهم بكلمة (حجرة) إلى محلة الصيادين وهو الموقع الحالي لمدينة القطيف المتاخم للساحل.

وكانت الظهران حتى في القرن السادس الهجري منطقة عامرة ذات أشجار ونخيل وثمار كثيرة وزروع ومداخيل من البر والبحر وقد أقطعها الحسين بن عبدالله العيوني أخاه أبا المنصور حاكم الأحساء فنزل بقصرها وحرم ألَّا توقد نار للضيافة غير ناره حتى توفي[1]، كما وصفها ياقوت الحموي بأنها بلدة لبني عامر بن عبدالقيس، وتحدث عنها الأصمعي فوصفها بأن فيها عيونًا ونخيلاً كثيرة، وقد اشتهرت بصنع الثياب الظهرانية الممتازة، وتدلنا آلاف القبور التي اكتشفت في جبل (المدرع) بالظهران والتي تشاكل القبور المكتشفة في عوالي بالبحرين على أن لها أهمية كبرى وقد تمَّ العثور فيها على جماجم بشرية تبين من فحصها أنها تعود إلى العصور البرنزية[2]، ولا يمكن تصوّر موقع له هذه الأهمية إلَّا أن يكون زاخرًا بالسكان في عهد مضى ولكن عوامل الجفاف وقسوة الطبيعة أتت كلها على ذلك العمران، حتى أصبح خبراً بعد عين شأنها شأن الكثير من المدن والقرى في هذه المنطقة. وقد بقيت تلك العيون الجارية التي تسقي سيحًا في واحتي القطيف والاحساء معلمًا حضاريًا منذ آلاف السنين، وهي قديمة جدًّا قِدَمَ هذه الواحات نفسها، أو بعبارة أخرى هي سرّ وجودها وسبب الحضارة التي نشأت فيها كنهر النيل بالنسبة لمصر وحضارتها، ونهري دجلة والفرات بالنسبة لحضارة وادي الرافدين، وهذه العيون من الآثار الفريدة الخالدة التي تدلّ في هندستها وبراعة حفرها على قيام حضارة متقدمة في المنطقة، وسواء كان العمالقة أحفاد الكنعانيين الذين حفروها كما هو الشائع على ألسنة السكان أو غيرهم فإنَّ توفّر آلات الحفر في قطع

= ١٩٥٨م قدم إلى المملكة العربية السعودية والتحق بشركة أرامكو وعمل في مكتبة الأبحاث بالظهران.

(١) شرح ديوان ابن المقرب، ص٥٤٥، طبعة مصر.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٥٤٣.

الصخور وتحكمهم في مسارب المياه الجوفية العليا التي من شأنها أن تعيق أعمالهم أثناء الحفر، كل ذلك يدلّ على أنهم كانوا يملكون تقنية رائعة، كما أن لديهم خبرة فائقة في جيولوجية الأرض ومعرفة بمواطن المياه بدليل تقارب بعض العيون من بعضها في بعض المواقع وانعدامها في بعض المناطق الأخرى.

إن تلك الآثار المكتشفة في الظهران وتاروت والدوسرية وثاج وجاوان قد أثبتت عراقة هذه المنطقة في الحضارة وإن جذور تاريخها تمتدّ إلى آلاف السنين، فَمَنْ أوَّلُ من استوطنها ومن هي الأقوام التي وفدت إليها في الأزمنة السحيقة وصنعت هذه الحضارة وخلفت تلك الآثار؟

لقد قرر (الانتروبولوجيون) أن تلك الآثار يعود تاريخها إلى عصور مغرقة في القدم كالعصر الحجري والعصر النحاسي والبرونزي وإلى عصور أحدث ولكنهم لم يتمكنوا من اكتشاف هوية الأقوام الذي خلّفوها، ومعنى ذلك أن جذور سكان هذه المنطقة تمتدّ إلى تلك العصور المغرقة في القدم وتعود إلى العصور الأولى من تاريخ البشرية، حتى ذهب البعض إلى أن منطقة الخليج العربي هي مهد الجنس البشري وأنها منبع الحضارة[1].

لقد تدفقت على هذه المنطقة موجات بشرية من جهاتها الأربع في فترات من تاريخها كالعنصر السامي والحامي والآري والمغولي[2]، غير أن معلوماتنا مازالت قاصرة عن معرفة أوَّل سكانها.

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن الشعوب السامية التي ظهرت في الشمال منذ فجر السلالات الأولى وازدهرت حضارتها، كالسومريين والأكديين والآشوريين والبابليين

(١) المفصل، ج١، ص٢٣٢.
(٢) الخليج العربي، ارنولدولسن (مترجم)، ص ص٦٣-٦٤.

والكلدانيين والفينيقيين قد نزحوا من مناطق الخليج في فترات متعاقبة، ولهذا الفريق شواهد تاريخية وعرقية ولغوية يدعم بها حجته ويثبت آراءه، وقد ذكر الأستاذ برستيد في كتابه (التاريخ القديم) تاريخ تلك الهجرات التي تدفقت إلى الشمال، فكان أولها هجرة الكلدانيين إلى ما بين النهرين حوالي سنة ٣٦٠٠ق.م، ثم هجرة الفينيقيين إلى سواحل سوريا سنة ٢٦٠٠ق.م. ثم هجرة قوم حمورابي إلى العراق سنة ١٦٠٠ق.م.[١]. ويقول رولنسون إن البابليين الذين أعطوا الكثير للحضارة يقرون بأنهم أخذوا أغلب معارفهم من سكان جزر عجيبة تقع في خليج فارس وتتحدث حكايات الأقدمين عن أوانس OANNES إله السمك الذي جاء من وراء البحر الأريثري، وهو الذي علم أهالي ما بين النهرين دجلة والفرات الحروف والعلوم والفنون من كل نوع، وقد كان ذلك في فجر الحضارة[٢].

ويضيف رولنسون أن أولئك البدائيين (سكان البحرين قديمًا) هم آباء المعرفة الذين كانوا أول من أتى بالحضارة ونقلها إلى المقيمين عند ضفاف دجلة والفرات وحسب تقديراتي (والكلام لرونسون) أستطيع أن أقرر بأن أولئك كانوا هم الجنس الأسود أي أجداد (أصحاب الرؤوس السوداء) THE BLACK HEADS التي تنتمي لغتهم إلى الأكاديين في بابل، وإن سبقهم قبل غيرهم إلى الرقي والحضارة يعود الفضل فيه إلى مركز بلادهم الممتاز لتوسطه ووقوعه على الطريق الكبير بين الشرق والغرب، وفي هذا نلاحظ أن التجارة كانت دائمًا تصقل الذكاء وتمهد الطريق الرائدة إلى تحقيق وبلوغ الحضارة، ولعلَّ هذه هي العوامل نفسها التي جعلت الفينيقيين يغزون الأوروبيين بتقدمهم في عصر فجر التاريخ، وذلك عن طريق نشاطهم في حوض الخليج الفارسي (العربي)[٣]، لذلك كانت ديلمون التي تعني منطقة البحرين بما فيها جزيرة أوال والأحساء والقطيف على رأي أكثر الباحثين تتمتع بقدسية بالغة عند السومريين حتى أن التماثيل كانت لاتنحت إلَّا من أحجارها، وهي مقر الإلهين

(١) ساحل الذهب الأسود، ص٦٠.

(٢) البحرين عبر التاريخ (ملحق ج)، ص١٥٤.

(٣) البحرين عبر التاريخ (ملحق ج)، ص١٥٥.

الســومــريين أنكى ونيوخرســاك، وورد في نصٍّ بابـلي اسم أرض دعيت برديســو PARDISU أي الفردوس في اللغة العربية، وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في أن ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة إنما أريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج[1]، وهذا يفسِّر سِرَّ وجود آلاف القبور في جبل المدْرع بالظهران وعوالي بالبحرين باعتبار أرضها مدفنًا مقدسًا للمناطق المجاورة.

وقد اقترن اسم ديلمون باسم ملوخا ومجان واشتهرت أوقير وجرا (الجرعاء) وبلبانا BILBANA كمراكز حضارية عفا عليها الزمن، وقد ظلَّ اسم ديلمون حيًّا حتى القرن السادس قبل الميلاد، وقد اشتهرت ديلمون بتمرها وأخشابها ومعادنها كالنحاس والبرونز، وكانت مملكة يحكمها ملوك، تتمتع في بعض الفترات بسيادتها واستقلالها وأحيانًا تكون خاضعة للنفوذ الأجنبي أو السيطرة المباشرة، أما ملوخا ومجان فيذهب موسل إلى أن هذين الموضعين يقعان في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب على ساحل الخليج، وقد ورد في أخبار الملك نرام سين الأكدي أنه أخضع مجان وضمها إلى منطقة نفوذه، أما أوقير فهو الموضع المسمى حاليًّا بالعقير وكانت تسكنه قبيلة تسمى بهذا الاسم، كما لمع اسم بلبانا إحدى مدن الجرهائيين، وكذلك اسم مدينة جرا كأشهر مدينة جرهائية يتمتع أهلها بالغنى والثروة وبمستوى رفيع في حياتهم الاقتصادية، ويذكر استرابون أن أهلها يعتبرون من أغنى العرب، يقتنون الرياش الفاخر ويتمتعون بأسباب الرخاء والترف، ويكثرون من آنية الذهب والفضة والفرش الثمين ويزينون منازلهم بالعاج والفضة ويجعلون سقوف أبنيتهم وأبواب غرفهم بالذهب والأحجار النفيسة الغالية[2] وهذه المدينة وإن اختلف الباحثون في تعيين موضعها وسواء كانت في الاحساء أو القطيف أو قرب ميناء العقير، فإن من المؤكد أن حضارة الجرهائيين نشأت في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

---

(١) المفصل، ج١، ص٥٦٣.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٥٦٣.

وربما كان أعظم ما تفخر به هذه المنطقة هو اختراع الحروف، الذي يُعزَى إلى الفينيقيين سكانها الأوائل إذا صحَّت الكتابات الأثرية التي عثر عليها في وادي الرافدين، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هؤلاء القوم هم الذين اخترعوا الأبجدية ومن أبجديتهم تولدت الأبجديات الأخرى[1] وتحدرت منها جملة الخطوط، كخط المسند الذي اشتق منه الخط الثمودي والأنباري والصفوي، وكذلك الخط الآرامي الذي اشتق منه الخط السرياني والنبطي والحيري والسطرنجيلي والكوفي والجزم، والخط اليوناني الذي اشتقت منه الأبجدية الأوروبية.

وميلاد الحرف على صعيد هذه المنطقة تؤيده الكتابات والنقوش الأثرية التي تحدثت عن حكايات الأقدمين عن أوانس OANNES إله السمك الذي جاء من وراء البحر الأريثري المجاور لحدود بابل والذي علَّم أهالي ما بين النهرين دجلة والفرات الحروف والعلوم والفنون من كل نوع[2]، وحتى بعد أن تطور الخط المسماري الآشوري والخط الفينيقي وجدوا ثمانية أسماء من أسماء حروف الألفباء من أصل اثني عشر اسمًا مرتبة ترتيبًا واحدًا في الكتابتين الآشورية والفينيقية، كما حافظت الأبجدية الأوروبية حتى في وقتنا الحاضر على ترتيب بعض الحروف الفينيقية كما في مستهلها (الألف والباء) AB وترتيب حروف كلمة (كلمن) KLMN بحذافيرها[3].

هذه ملامح من حضارة هذه المنطقة في الزمن الغابر، أما تاريخها السياسي القديم فكان يعتريه الغموض لولا الكتابات التي عثر عليها في وادي الرافدين والتي تتحدث عن قيام مملكة باسم ديلمون قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وهي مملكة عظيمة كان لها جلالها وخطرها، حيث أضفت عليها الأساطير السومرية صبغة دينية مقدسة، فذهبت إلى أنها أرض الخلود ومواطن الإلهين السومريين (انكى) و(نيو خرساك) وأن الإله فرض عليهم بأن يجعلوها دارًا للندوة للتداول في شئونهم والبت في قضاياهم،

---

(١) المفصل، ج٨، ص١٤٧.
(٢) البحرين عبر التاريخ، ص ١٥٤.
(٣) الكتابة العربية والسامية، ص٢٩.

وكانت مملكة يحكمها ملوك وهي أقدم حكومة عرفت في هذه المنطقة، وظلت معروفة بهذا الاسم حتى في عهد متأخر كما جاء في النصوص الآشورية التي تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد[1] ولكن وضعها السياسي القديم لم يكن سارًا خلال تلك الفترات التي نشأت بجوارها دول قوية كالدولة الأكدية والآشورية فقد منيت من جيرانها بالاحتلال والسيطرة المباشرة كما حدث في عهد الملك الأكدي لوكال ـ زكه سي (٢٤٠٠ ـ ٢٣٧١ق.م) الذي امتدت فتوحاته من البحر الأسفل إلى البحر الأعلى وشمل حكمه الخليج العربي، كذلك في عهد سرجون الأكدي الأول (٢٣٧١ ـ ٢٣٠٦ق.م) المعروف بشروكين الذي بلغت فتوحاته البحر الجنوبي أي الخليج العربي، كما قام خلفه مانسميستوسو (٢٣٠٦ ـ ٢٢٩١ق.م) بتجريد حملة بحرية عسكرية، فزحف على الخليج، ولما وصلت سفنه الشاطىء الشرقي لجزيرة العرب تجمع لمقاومته اثنان وثلاثون أميرًا من حكام المدن وقرروا محاربته ولكنه انتصر عليهم واضطرهم إلى الخضوع والاستسلام، كما قام خلفه نرام سين الملك الأكدي (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ق.م) بغزو مجان التي تقع في الأحساء على رأي أوليري[2] واحتلها وقبض على ملكها مانودانو وأخذه أسيرًا إلى بلاده.

وفي العهد الآشوري لم تكن أحوالها السياسية بأفضل من العهد الأكدي، فقد خضعت للنفوذ المباشر كما في عهد تكولتي نينورتا الذي وصف نفسه بأنه ملك كردنيش وملك سومر واكاد وملك سيباروبابل وملك تلمون وملوخا[3] والأمر كذلك في عهد شلمنصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ق.م) وسرجون الثاني (٧٢٤ ـ ٧٠٥ق.م) الذي خضع له أبيري ملك ديلمون وأرسل له جملة من الهدايا حين بلغته الأخبار عن عظمة آشور وفي عهد ابنه الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ق.م) أسرع ملكها إلى الاعتراف بسيادته حين سمع باجتيازه نهر الفرات ودخوله أرض الخليج فلم يقبل إلاَّ

---

(١) ساحل الذهب الأسود، ص١٠٥.

(٢) المفصل، ج١، ص٥٩١.

(٣) العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٢٨٩.

باحتلالها عنوة، ففرَّ ملكها إلى أرض عيلام(1) وقد ظلَّت هذه المنطقة خاضعة لحكم الآشوريين حيث انتهى بها الأمر في عهد آشوربانيبال (٦٦٩ ـ ٦٣٠ق.م) إلى الاحتلال المباشر وتعيين حاكم بابلي عليها حتى سنة ٦٠٠ق.م.

وحتى بعد قيام الدولة الكلدانية الثانية (٦٠٥ ـ ٥٦٢ق.م) بقيادة نبوخذ نصر كانت هذه المنطقة إحدى مقاطعاتها، وفي عهد الدولة الاخمينية الفارسية (٥٦٢ ـ ٣٣١ق.م) التي أسسها قورش وورث مستعمراتها قام بمنع الملاحة الأجنبية من دخول الخليج وحوَّله إلى بحيرة داخلية وقضى فيه على النشاط التجاري، وبعد أن قضى الإسكندر المقدوني على هذه الدولة حاول بدوره أن يضمَّها إلى دائرة نفوذه بعد أن قام بإرسال بعثات استكشافية، وبينما كان يعدّ العدة لاحتلالها وافاه أجله في بابل سنة ٣٢٤ق.م فتبخَّر المشروع وانشغل قوَّاده باقتسام التركة الضخمة من إمبراطوريته الواسعة التي خلفها بدون وصاية.

خلال هذه الفترة التي انحسر فيها ظل السيطرة الأجنبية بقيام ملوك الطوائف بفارس تمتعت هذه المنطقة بالأمن والاستقرار فازدهرت تجارتها وانتعش اقتصادها، وكانت مدينة الجرهاء في مقدمة بلدان الخليج في النشاط التجاري حتى أصبحت مضرب المثل في الغنى والثروة، الأمر الذي دفع الملك السلوقي انطيوخس إلى القيام بغزوها، فقاد أسطوله عام ٢٠٥ق.م لاحتلالها، ولكن الجرهائيين المسالمين انتدبوا له بعثة تفاوضه، وتحمل معها رجاءهم بألَّا يحرمهم من نعمتين أنعمتهما عليهم الآلهة وهما نعمة السلام ونعمة الحرية فصالحهم على أن يدفعوا له جزية سنوية وعاد أدراجه إلى بلاده.

ويبدو أن ازدهار حضارة الجرهائيين استمر إلى عهد توغل الرومان في جنوب شبه الجزيرة العربية وسيطرتهم على موانيها، حيث قاموا بتحويل طرق التجارة إلى مياه البحر الأحمر فانتهى الدور الذي كانت تلعبه كوسيط للتجارة العالمية، ولاننسى أن لقطّاع

---

(١) المفصل، ج١، ص٥٩١.

الطرق من البداة الذين تفاقم وجودهم في هذه المنطقة أخيرًا دورًا خطيرًا في زعزعة الأمن وشل حركة التنقل لقوافل التجارة، وهذا كلُّه أدَّى إلى فقدانها مركزها التجاري والقضاء على أهميتها الاقتصادية، ومنذ ذلك الحين لم نسمع لها ذكرًا في كتب التاريخ.

خلال الفترة التي امتدت من عام ٥٤٦ق.م وحتى عام ٢٤٦م والتي اشتدَّ فيها الصراع بين الدولة البرثية (الارشكانية) (٢٥٦ق.م - ٢٢٦م) وبين الرومان وانشغال كل دولة منهما بحروبها مع الأخرى حدث انفراج في الوضع الاجتماعي والسياسي في المنطقة نتيجة الفراغ الذي كانت تملؤه الهيمنة الأجنبية، فتقاطرت عليها القبائل العربية وبسطت سيادتها عليها، فيحدثنا الطبري وابن الأثير[1] أن بني معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب حين كثروا، وضاقت بلادهم (تهامة) عن استيعابهم وفرقتهم الحروب قدمت قبائل منهم ونزلوا البحرين أيام ملوك الطوائف وكان بالبحرين جماعة من الأزد استوطنت البلاد قبلهم، ومن بين تلك القبائل قبيلة قضاعة وقبيلة إياد وانضم إليهما جماعة من قبائل العرب فكوَّنوا فيما بينهم حلفًا، وتعاقدوا على التناصر والتآزر فيما بينهم، وتحالفوا على التنوخ (أي المقام) وكأنهم قبيلة واحدة، فتمَّت لهم السيادة على بلاد البحرين.

وحين قدمت قبائل بني عبدالقيس من تهامة تصدَّوا لطردها من أراضي المنطقة، وجرت بينهم حروب صمد فيها بنو عبدالقيس فألحقوا بحلف تنوخ هزيمة منكرة، أسفرت عن جلاء تلك القبائل عن البلاد، فتمَّت لهم السيادة على بلاد البحرين حيث توزعوها فيما بينهم، فنزلت بنو حفص صفوى، وبنو نكرة بن لكيز القطيف وما حولها والشفار والظهران إلى الرمال وما بين قطر وبينونة، وبنو جذيمة بن عوف منطقة الخط وأفناءها، ونزلت شن بن أفصى طرفها وأدناها إلى العراق، وبنو عامر بن الحارث أنمار بن وديعة والعمور وبنو محارب بن عمرو بن عجل بن عمرو منطقة الجوف والعيون والأحساء[2]، وقد انتشروا في المدن، والقرى وخالطوا السكان القدماء وزاولوا الزراعة

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري، ج١، ص٤٣٧. الكامل لابن الأثير، ج١، ص٣٤٠.
(٢) العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٣٠١.

والصناعة، فاشتهر منهم شخصيات معروفة، كهزيز بن شن أول من ثقف القنا بالخط ومنهم الحطمة بن محارب الذي تنسب إليه الدروع الحطمية[1].

وحين قامت الدولة الساسانية الفارسية القوية بقيادة مؤسسها اردشير بن بابك عام ٢٢٦م وأصبحت منافسة للإمبراطورية الرومانية تقاسمت الدولتان النفوذ على الأرض العربية، حيث استولت الدولة الرومانية على سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، كما استولت الدولة الساسانية على وادي الرافدين وبلاد الخليج، فكانتا تشكلان معسكرين شرقيًا وغربيًا، كما هو الشأن في عالم اليوم وكان للصراع بينهما تأثير كبير على الأوضاع السياسية في المنطقة العربية، فحينما تستفحل الاضطرابات الداخلية في أحدهما وتنشغل بالحروب مع غريمتها تنفرج الضغوط عن هذه المنطقة وهذا ما حدث بالفعل حينما سادت الاضطرابات بلاد فارس، على إثر وفاة هرمز الثاني (٣٠٢ ـ ٣١٠م) الذي ترك وصاية العرش لجنين في رحم أمه، وأدّى ذلك إلى البلبلة والفوضى والتناحر بين الرؤساء ورجال الجيش، وقد استطاعت الدولة اللّخمية خلال تلك الفترة بقيادة أمرىء القيس بن عمرو بن عدي الملقب بالبدء الذي حكم بين (٢٨٨ ـ ٣٢٨م) أن توسع رقعتها، حتى شمل نفوذها معظم شبه الجزيرة العربية حتى حدود نجران الأمر الذي دفع شَمِر يُهَرْعِش (٢٧٠ ـ ٣٠٠) أحد ملوك اليمن الملقب بملك سبأ وذي رَيدان وحضرموت ويمنت إلى أن يزحف بقواته إلى الشمال لرد اللخميين على أعقابهم، كما قامت مفرزة من قواته بالزحف على هذه المنطقة التي كانت خاضعة لنفوذ الفرس، ويحدثنا النص المعروف بـ (شرف الدين) أن الملك شمر يهرعش أمر قواته بغزو أرض (ملك) مالك ملك (أسد) فتقدمت نحوها، واتجهت نحو أرض قطوف (أي القطيف) حتى بلغت موضع كوكبن (كوكبان) ثم ملك فارس وأرض تنخ أي الأرض التابعة للفرس وأرض تنوخ، وقد دوَّن هذا النص قائدان من قواده وذلك بعد عودتهما سالمين غانمين من ذلك الغزو[2].

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ص٢٩٧-٢٩٩.

(٢) المفصل، ج٢، ص٥٥١.

كما أدَّت ضعضعة هيبة الدولة الساسانية إلى أن تتجرأ عليها قبائل العرب فتغزوها في عقر دارها، فعبرت الخليج جموع من عبدالقيس وتميم وإياد واستولوا على سواحل إيران، وغلبوا أهلها على مواشيهم حينًا من الزمن، الأمر الذي دفع سابور الثاني (٣١٠ ـ ٣٧٩م) الملقب بذي الأكتاف حين بلغ أشده إلى القيام بحملته الانتقامية الشهيرة، فعبر الخليج وداهم مدينة الخط فقتل كثيرًا من أهلها كما أفشى القتل في سكان هجر، وتتبع بني عبدالقيس فقتل منهم مقتلة عظيمة إلَّا من لحق بالرمال، وتتبع بني تميم فأمعن في قتلهم وتوغَّل في جزيرة العرب، وعمد إلى طم المياه وردم الآبار وقتل كل من وجده من العرب فكان ينزع أكتافهم ويمثل بهم، فمن ثم لقَّبوه بذي الأكتاف.

ثم قام بعمليات تهجير لتلك القبائل تأديبًا لها وضمانًا لعدم قيامها بغارات على الحدود، كنوع من فرض الإقامة الجبرية والمراقبة، فأسكن بني تغلب دارين والخط وسماهيج، وبني عبدالقيس وتميم بلاد هجر، وبكر بن وائل كرمان، وإياد وبني حنظلة منطقة الأهواز، وقد خضعت هذه المنطقة للنفوذ الفارسي المباشر حيث كان يحكمها ولاة من الفرس وكانت مقسمة إداريًا إلى قسمين ففي هجر مرزبان خاص مقره المشقر وللقطيف مرزبان مقره الزارة.

واشتهر بعض هؤلاء الولاة العتاة بالفظاظة والوحشية، وعلى رأسهم مرزبان هجر (ازاد فيروز بن جشيش) الملقب بالمُكعبر الفارسي، حتى أنه كان يقطع أيدي العرب وأرجلهم من خلاف، وكاد يفني قبيلة تميم عن بكرة أبيها في حادثة حصن المشقر بهجر المشهورة، ولم ينقذ هذه المنطقة من براثق السيطرة الفارسية إلا الانتفاضة الكبرى التي انبعثت بقيادة نبي الإسلام ﷺ فتحرَّرت من السيطرة الأجنبية، بعد أن كانت تعاني الأمرَّين من عنت الولاة وطمع الطامعين.

ففي السنة السادسة للهجرة حفلت هذه المنطقة بأهم حدث في تاريخها، وهو انتشار ظلّ الإسلام في أراضيها، فقد بعث الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب

إلى المنذر بن ساوى العبدي فاستجاب للدعوة وأسلمت معه الأغلبية الساحقة ودخلت هذه المنطقة في الإسلام بدون قتال، كما يجمع عليه المؤرخون، وقد كان لها شرف أعظم معلمٍ أثري وهو مسجد جواثا بالأحساء وهو ثاني مسجد جُمعت فيه أول جمعة بعد جمعة المسجد النبوي بالمدينة المنورة كما رواه البخاري.

وقد استظلّت هذه المنطقة بلواء الإسلام تابعة لمراكز الخلافة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وفي العهد الأموي والعهد العباسي دخلت في عهد جديد من الاضطرابات التي عمت أرجاء الدولة الإسلامية، فاستولى عليها الخوارج سنة ٦٧هـ، ثم أصبحت معقلاً للثورات والطامعين في الحكم، فكانت ثورة مسعود بن زينب العبدي سنة ٨٦هـ أعقبتها ثورة سليمان بن حكيم العبدي سنة ١٥١هـ ثم ثورة صاحب الزنج سنة ٢٤٩هـ ثم ما لبثت هذه المنطقة أن استولى عليها القرامطة سنة ٢٨٦هـ وانتهى أمرهم سنة ٣٩٨هـ حيث استولى على ملكهم تلك القبائل الموالية لهم كبني ثعلب وبني عقيل وبني سليم بزعامة الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي، ثم ما لبثت الخلافات أن دبَّت بين صفوفهم فانهارت دولتهم سنة ٤٥٠هـ، فاستولى يحيى بن العياش على القطيف، وأبو البهلول العوام بن يوسف الزجاج على جزيرة أوال، واستطاع عبدالله بن علي العيوني بمعونة الدولة السلجوقية أن يسيطر على الأحساء سنة ٤٦٦هـ ويحتل القطيف وجزيرة أوال ويوحِّد بلاد البحرين، وقد استمرت دولة العيونيين حتى سنة ٦٣٦هـ حيث استولت عليها قبائل البادية مرة ثانية والتي كانت تساند حكمهم كما هو الشأن بالنسبة لدولة القرامطة، فورثها بنو عامر بن عوف بن عقيل وعلى رأسهم بنو عصفور إلى أن تغلب عليهم سعيد بن مغامس أمير البصرة فاحتل الأحساء سنة ٧٠٠هـ ثم استعادها جروان أحد بني مالك بن عامر سنة ٧٠٥هـ وخلفه ابنه إبراهيم ثم تغلب عليه سيف بن زامل العقيلي الجبري سنة ٨٢٠هـ وأسَّس الدولة الجبرية وتوارثها أعقابه حتى سنة ٩٣١هـ ففي هذه السنة استفحل الخلاف بين أمرائها فاستعانوا بأمير البصرة راشد بن مغامس فاحتلَّها وضمَّها إلى مملكته، فلم يتمتع بحكمها طويلاً فاحتلَّها الأتراك سنة ٩٥١هـ.

في هذه الفترة اشتدَّ الصراع بين البرتغاليين والأتراك على النفوذ في الخليج العربي وظلَّت الحرب سجالاً بين الدولتين، وقد استطاع الترك أخيراً أن يكسبوا الجولة فبقيت هذه المنطقة تحت حكمهم حتى سنة ١٠٨٠هـ ففي هذه السنة ضعفت شوكة الأتراك بعد هزيمتهم أمام جحافل الروس حيث سادت الفوضى والاضطراب أرجاء إمبراطوريتهم فاغتنم بنو خالد الذين أتوا بهم الأتراك إلى هذه المنطقة من بوادي الشام لتعزيز نفوذهم[1] تلك الفرصة الذهبية، فأخرجوا الحامية التركية وأسسوا دولة بقيادة براك بن غرير واكتفت بالسيادة على الساحل الغربي من الخليج وبلاد نجد، وتركت الحبل على الغارب للدول الغربية في حوض الخليج ولكن هذه الدولة ما لبثت أن اصطدمت بالدعوة السلفية فلفظت أنفاسها الأخيرة سنة ١٢١١هـ.

من هذا العرض الموجز لتاريخ هذه المنطقة نلاحظ أنها لم تنعم بالأمان ولم تذق طعم الاستقرار إلاَّ في هذا العهد، فكانت منذ بداية تاريخها نهبًا للطامعين ابتداءً من الأكديين والآشوريين والبابليين والإغريق والفرس وانتهاءً بالبرتغاليين والأتراك كما كانت مسرحًا للثوار والانتهازيين الذين كانوا يستعينون بقبائل البادية في بسط نفوذهم عليها كالخوارج وصاحب الزنج والقرامطة والعيونيين، وما أن يضعف سلطان تلك القبائل حتى تنقض على تركتهم تلك القبائل الموالية لهم كبني ثعلب وبني عقيل و بني سليم وبني عامر والجبريين وبني خالد، كما يلاحظ أن نظام الإقطاع في الحكم كان هو النظام المعمول به في أغلب أدوار تاريخها، بمعنى أن الحاكم يكتفي بالجزية السنوية ويترك لرؤسائها المحليين حرية الجباية من الأهالي وهذا النظام معمول به حتى في عهد الأتراك أيام سليمان القانوني إذ كانت تؤخذ ضريبة سنوية على سنجق القطيف بما فيها الأحساء مقدارها ١٧٠ ألف أقجة وعلى سنجق البادية عشرون ألف أقجة[2]، وقد عانت هذه المنطقة الكثير من عنت الحكام وعبث البادية ولم تنعم بالأمان والاستقرار إلاَّ في العهد السعودي الزاهر.

---

(١) قبيلة بني خالد دخلتها عناصر كثيرة لاتنتمي إليها.

(٢) دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٥، ص ص١١٩-١٢٦.

وتعتبر الحقب الثلاث التي تبوأت فيها الدولة السعودية العتيدة حكم هذه المنطقة بعد انهيار دولة بني خالد ذات امتداد تاريخي واحد منذ عام ١٢١١هـ، وإن تخلَّلتها بعض الفترات الزمنية القليلة كالفترة من سنة ١٢٣٤هـ إلى سنة ١٢٤٥هـ وهي التي أعقبت احتلال الأتراك للدرعية، ثم ما بين عام ١٢٥٢هـ و١٢٥٧هـ وهي الفترة التي تغلب فيها خورشيد باشا على هذه المنطقة بعد نفي الإمام فيصل بن تركي إلى مصر وكذلك فترة احتلال الأتراك للبلاد ما بين عام ١٢٨٨هـ و١٣٣١هـ نتيجة الشقاق الذي حدث في الأسرة السعـودية والذي انطوت صفحته باستعادة جلالة الملك المغفور له عبدالعزيز بن عبدالرحمن عرش آبائه وأجداده سنة ١٣٣١هـ.

وحين دخلت هذه البلاد في الحكم السعودي الزاهر نعمت بالأمن والاستقرار بعد أن كانت تعـاني من ضعف الحكم وعبث البداة واختلال الأمن في أغلب أدوار تاريخها فاستقبلت عهدًا جديدًا، اتَّسم بهيبة الحكم وقطع دابر المفسدين واستتباب الأمن، ومن جانب آخر تمَّ فيه تحديث الدوائر الحكومية وتأسيس البلديات وافتتاح المستشفيات ونشر التعليم للذكور والإناث وقيام الجامعات وتشجيع الصناعة والزراعة وقد خطت الدولة خطوات واسعة في الإصلاح وتحقيق برامج التنمية شملت النواحي العمرانية والصناعية والزراعية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية.

الفصل الثالث

شئون اقتصادية:

أهميتها الاقتصادية

التجارة

الزراعة

الغوص

الثروة السمكية

الصناعة

الثروة الحيوانية

البترول

أهميتها الاقتصادية

الموقع الجغرافي لواحة القطيف بوّأها مركزًا استراتيجيًّا في الأيام الغابرة، وجعل لها أهمية اقتصادية كبرى منذ أقدم العصور، فهي تقع على مشارف الصحراء، حيث ترتبط بالمواصلات البرية، عبر طرق تجارية معروفة، كما تستقر على ساحل الخليج مباشرة، حيث تفد إليها السفن التجارية عبر موانيها من جميع أنحاء العالم محملة بمختلف البضائع، فكانت بمثابة همزة وصل بين تجارة الشرق والغرب.

هذا بالإضافة إلى إنتاجها الزراعي، كالتمر والسلوق، الذي كانت تصدر منه كميات كبيرة إلى الخليج وشرق أفريقيا والهند، كما كانت القوافل تمتار من محاصيلها الزراعية، وتنقله عبر الصحراء إلى نجد وغرب الجزيرة، وتذكرنا قصة نجدة بن عامر الحنفي زعيم الخوارج باعتماد الحجاز عليها في تموينها الغذائي، فقد حدثنا ابن الأثير في تاريخه[1]، بأن نجدة حينما استولى على هذه المنطقة، وتأزم الموقف بينه وبين أهل الحجاز في عهد ابن الزبير عمد إلى مقاطعتهم اقتصاديًّا، فكتب إليه ابن عباس يستعطفه، ويذكره بقصة ثُمامة ابن أثال، حين قطع المِيرة عن المشركين من أهل مكة، لمناوءتهم للمسلمين، فأمره الرسول ﷺ أن يجريها لهم، فكان أن استجاب له وعدل عن مقاطعته الاقتصادية.

ومصادر ثروتها البحرية لا تقل سابقًا عن إنتاجها الزراعي ونشاطها التجاري، فمصايد اللؤلؤ المتاخمة لشواطئها كانت تدر على العاملين في الغوص أرباحًا طائلة، كما

(١) ج، ٤، ص ٢٠٤.

أن تجار اللؤلؤ الذين يشكلون الطبقة الرأسمالية في القطيف كانوا يصدرون بضاعتهم من اللؤلؤ إلى الهند، ويعودون بالأرباح الوفيرة، حيث تنعكس آثارها على الحياة الاقتصادية في البلاد.

وإلى جانب ذلك كانت بعض الصناعات مزدهرة فيها، وإن كنَّا لا نعرف عنها إلَّا القليل، فقد اشتهرت بصناعة الرماح الخطية، والثياب الظهرانية[1] في الأيام الغابرة، وكانت حتى عهد قريب توجد فيها أنوال النسيج التي تنتج الأقمشة الصوفية والعباءات والبسط والسجاد وأنوال الحصر (المداد)[2] وصناعة الأدوات النحاسية والفخارية والجص وغيرها من الصناعات التي توفر لها الاكتفاء الذاتي.

والخلاصة أنها كانت تتمتع برخاء اقتصادي ممتاز، حتى ذهب بعض الباحثين إلى أنها هي مدينة الجرهاء، التي أطنب في وصفها المؤرخون الإغريق استنادًا إلى كونها مدينة ساحلية، صالحة للاستيطان البشري، وميناء تجاريًّا[3]، ومن ثم كانت مطمعًا لكل فاتح بسبب رخائها الاقتصادي بدءًا من الأكديين والآشوريين والكلدانيين والبابليين وانتهاءً بالفرس والإغريق والسلوقيين والبرتغاليين والأتراك، وحتى أيام دخولها في الإسلام كانت تتمتع بمركز اقتصادي ممتاز، فقد حدثنا التاريخ الإسلامي بأن ما جمعه العلاء بن الحضرمي من الجزيه لم ير النبي ما لا قبله ولا بعده[4]، وكان الغربيون يطلقون على هذه المنطقة اسم (الدجاجة الذهبية) التي تبيض درًّا، بالنسبة لمن يستولي عليها، وحتى في و قتنا الحاضر بفضل الزيت المتدفق في أراضيها لاتزال الشريان الحيوي الذي يمدّ حياتنا الاقتصادية بالخير والعطاء.

---

(١) نسبة إلى الظهران وكان ضمن حدودها من الناحية الجنوبية، وكانت بجانبه قرية تسمى الفوارة تنتج تلك الثياب المشهورة بجودتها.

(٢) جمع مَدّة وهي البساط وهي كلمة اصطلاحية عامية مأخوذة من مدَّ الشيء أي بسطه.

(٣) المفصل، ج٢، ص١٨.

(٤) تحفة المستفيد، ص٦٥؛ ساحل الذهب الأسود، ص٢٠٣.

وقد عرفت فيها أسواق تجارية يرتادها الناس من مختلف الأصقاع كسوق دارين وسوق الزارة بعضها موسمي، أي يتم انعقادها مرة في العام، وبعضها أسبوعي، كسوق الخميس[1] التي لاتزال تعقد كل أسبوع في مدينة القطيف، ويرتادها الناس من جميع أنحاء المملكة وبلدان الخليج.

التجـــــارة

١ ـ النشاط التجاري:

تعتبر مدينة القطيف فيما مضى مركز استيراد وتصدير، فهي مدينة تجارية، كانت تستورد البضائع من مختلف أنحاء العالم، فتستهلك بعضها، وتصدر الفائض منها إلى البلدان الأخرى، فتستورد الأرز والدقيق والحنطة والشعير والبن والهيل والسكر والتبغ والأقمشة والنسيج والعطور والتوابل والعقاقير والورق والأواني المنزلية والأثاث والكماليات والمواد الخام كالنحاس والحديد والأخشاب وغيرها، وكان تجارها يستوردون هذه البضائع من الهند وفارس والصين وشرق أفريقيا.

وحين تبوأت جزيرة البحرين مركزًا تجاريًّا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تركزت فيها حركة الاستيراد، وصارت القطيف هي الميناء التجاري في المنطقة حتى بعد اكتشاف البترول، وصارت هي بدورها تمد المدن المستجدة كالدمام والخبر والظهران ورأس تنورة بمختلف البضائع، حتى أنشىء ميناء الخبر ثم ميناء الملك عبدالعزيز التجاري بالدمام، فتقلصت حركة الاستيراد من مينائها، ومن ثم أخذت دورًا ثانويًّا، أدَّى إلى تقليص دائرة الجمرك فيها، ثم إغلاقه نهائيًّا، حيث أصبح الاستيراد ـ لاسيما بعد افتتاح المصارف ـ يتم بواسطة فتح الاعتمادات عن طريق ميناء الدمام، من جميع أنحاء العالم.

---

(١) سوق قديمة، كانت قبل أن توجد المواصلات السريعة مقتصرة على الأهالي والبداة فكان أهل القرى يفدون إليها كل أسبوع، ليبيعوا منتجاتهم ومصنوعاتهم ويشترون حاجاتهم وكذلك الأمر في البداة.

أما حركة التصدير فكانت نشيطة في القطيف أيضًا، فكانت تصدر منتجاتها إما عن طريق القوافل إلى داخل شبه الجزيرة العربية، وإما عن طريق البحر إلى بلاد الخليج وفارس والهند وشرق أفريقيا، فكانت تَؤُمُّها القوافل فتمتار من أسواقها وإلى ذلك يشير الأعشى الهمداني.

يمرون بالدهناء خفافًا عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب

كما تَؤُمُّها السفن فترسو في موانيها، وتعود مشحونة بالبضائع من منتوجاتها، وكانت أهم صادراتها اللؤلؤ والتمر والسلوق والدبس والفواكه والخضار والسعف والجريد والحبال والأغنام والجلود والسمن.

وكان محصول اللؤلؤ والسلوق بصفة خاصة يصدر إلى الهند، وتتنافس على شرائه الوكالات التجارية، التي افتتحت لها مراكز في القطيف، ويذكر ج. ج لوريمر أن أول وكالة تجارية للهنود هي وكالة كالونجا، افتتحت عام ١٨٦٤م وتبعتها وكالتان أخريان سنة ١٨٦٦م وفي المواسم التي تزدحم بالعمل يبلغون نحو ٦٠ تاجرًا هنديًا، وقد افتتح هانجام رام تيكام داس وشركاه سنة ١٨٨٠م وكالة قوية في القطيف، عهد إليها بتحسين أحوال الجالية الهندية، وهي مسئولة بدورها عن تجارة الهنود في القطيف، ولكن هذه الوكالات ما لبثت أن تقلصت في عهد الأتراك، بسبب المضايقات التي يلقاها الهنود بإيعاز من التجار المحليين(١) وكانت خاتمتها الهجوم الذي شُنَّ سنة ١٨٩٥م على بيت أحد أصحاب وكالة جانجار تيكام وشركاه، فكان سببًا في انسحاب الهنود تدريجيًّا من القطيف(٢).

وكانت الأسعار تتأثر بقاعدة العرض والطلب، إلَّا أنَّ الخط البياني لحركة التصدير دائمًا يميل إلى الصعود، وهذا يفسِّر مدى الرخاء الذي كان يتمتع به سكانها، والذي كان سببًا في ازدهار أحوالهم الاقتصادية في الأيام الغابرة، ثم انعكس فأصبح

---

(١) يعتقد أن لآل جمعة الذين استحوذوا على التجارة الخارجية دور في تلك المضايقات.

(٢) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، ص ص١٤٤٩-١٤٩٤.

الاستيراد يفوق التصدير أضعافًا مضاعفة، ولولا تصدير البترول الذي انعكست آثاره على مختلف الأصعدة لاختل الميزان التجاري وتدهورت أحوال البلاد الاقتصادية.

٢ - المكوس والجمارك:

كانت الجمارك تعطى بالضمان، وفق لائحة رسوم محددة، وباعتبار موانىء القطيف هي المركز الرئيسي للاستيراد والتصدير في المنطقة[١] كانت جماركها ترسو على أحد أبناء القطيف منذ القدم، فتعطى له بالضمان لقاء مبلغ معين يدفعه للدولة كل عام، وأول ضامن لهذه المكوس أشار إليه التاريخ حسب علمنا هو الحسن بن بهرام المكنى بأبي سعيد الجنابي، الذي كان ضامنًا لمكوس فرضة القطيف، والذي جمع ثروةً طائلة من عمله، استخدمها في سبيل الوصول إلى السلطة في أواخر القرن الثالث الهجري، وآخر ضامن لمكوس المنطقة هو المرحوم علي بن حسن الفارس، وقد استمرَّ هذا النظام حتى سنة ١٣٤١هـ حين انتدب المرحوم جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود لجنة برئاسة هاشم الرفاعي لتنظيم الشئون المالية وتحديث دوائر الدولة، فأُلغي هذا النظام.

أمَّا لائحة الرسوم التي تؤخذ على البضائع فلا نعرف عن مقدارها شيئًا فيما مضى، إلَّا أنَّنا عرفنا عنها شيئًا في أيَّام دولة بني خالد فكانت تقتصر على البضائع المستوردة، فتؤخذ على بالة[٢] القهوة وروبين[٣] الفلفل الأسود زر محبوب[٤]، وباقي البضائع واحد بالمائة[٥] وفي عهد الأتراك خلال القرن التاسع عشر الميلادي كانت تُؤخذ النسبة نفسها أي واحد في المائة كما يذكر لوريمر[٦].

---

(١) محاضرات باحاكمه، ص٨٥.

(٢) كيس معبأ وزنه يساوي ستة أمنان، أي ما يعادل ٩٦ كيلوجراما.

(٣) الروبين ROBIN مكيال هندي.

(٤) عملة ذهبية تساوي ١٩ محموديًا و٧٥ فلسًا (المصدر السابق).

(٥) المصدر نفسه، ص٨٥.

(٦) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٣، ص٢٣٩٤.



ساحة السوق في القطيف وهي سوق الجبلة محل بيع التمور.

أما البضائع المصدرة وأهمها التمر والسلوق والدبس فما كان يُؤخذ عليها شيء، باعتبار أن الضريبة أخذت مسبقًا باسم زكوات، إذ كانت النخيل تصنف إلى فئات أعلا وأوسط وأدني، ويفرض على كل فئة ضريبة معينة[١] يلزم بدفعها مالك النخل، ولكن هذا النظام ألغي في أوائل العهد السعودي، وتقريبًا في أوائل الستينات الهجرية، واستبدل بخرص الثمار وهي على عروشها، حيث يُؤخذ منها العشر وهو الفريضة الإسلامية في الزكاة.

وقد بلغت الضرائب في عهد المصريين أيام خورشيد باشا أقصى حدود الإجحاف، فكان العشر يؤخذ حتى على البرسيم، كما كانت الضرائب تؤخذ على الحيوانات إذا بيعت كالإبل والحمير والبقر والغنم وتجبى من الباعة والدكاكين والحوانيت وأصحاب المهن كالنجارين والحدادين والحلاقين والحياكين[٢].

وعرفت ضريبة في العهود الماضية باسم (طراز) وهي خاصة بسفن الغوص بحجة حماية الأمن البحري، ومقدارها نصيب غواص واحد عن كل سفينة وبعد أن استتب الأمن البحري بسيطرة الإنجليز على مياه الخليج، جعل غرضها حراسة منازل العاملين في الغوص أثناء مدة غيابهم، وهذه الضريبة كانت تعتبر ضمن موارد الدولة، ففي معاهدة الفضل بن محمد العيوني (٦٠٦ - ٦١٦هـ) مع ملوك جزيرة قيس وتنازله عن الكثير من الأملاك والامتيازات، كان من جملتها نصف طراز الغاصة، وقد ظلَّ هذا النظام معمولاً به في بعض دول الخليج حتى أواخر القرن التاسع عشر[٣]. أما في عهد الأتراك فكانت تستوفى نصف ليرة عن كل سفينة[٤]، هذا عدا الضرائب التي تؤخذ على محصول اللؤلؤ والتي تتفاوت بين بلد وآخر.

---

(١) كانت تؤخذ في أوائل العهد السعودي على الأعلى ثلاثة أرباع الروبية والأوسط نصف روبية والأدنى ربع روبية، وهو نظام عرفته البلاد منذ عهد الأتراك.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص٨٦.

(٣) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٦، ص٣٢٢٥.

(٤) المصدر السابق، ج٦، ص٣٢٨٦.

٣ ـ النقود والعملات:

عرفت القطيف أنواعًا من العملات النقدية بحكم ارتباطاتها التجارية مع أنحاء العالم، فقد عثر على نقود قديمة في أراضيها بعضها كان معروفًا، والبعض الآخر لم تفك طلاسمه بعد، ومن بينها نقود هيلينية ورومانية وصينية قديمة، مما يدلُّ على ارتباطها تجاريًّا مع تلك الشعوب القديمة، بالإضافة إلى المسكوكات الإسلامية، التي جرى التعامل بها سابقًا، وتعود إلى عصور مختلفة، كالنقود الأموية والعباسية والفاطمية والمملوكية وغيرها [١].

وأحدث عملة عرفت في القطيف جرى التعامل بها حتى عهد متأخر هي (زر محبوب) وهي عملة ذهبية عثمانية متداولة، تعود إلى العهد التركي الأول، أي في القرن العاشر الهجري، وهي تساوي ١٩ محموديًّا و٧٥ فلسًا، وكان الناس يتعاملون بها حتى في عهد دولة بني خالد[٢] وبقيت حتى عهد الدولة السعودية الأولى وكان يسمى (أحمر) أيضًا [٣].

أما العملات التي كانت سائدة في القطيف خلال القرن التاسع عشر الميلادي قبل الاحتلال التركي الأخير، فكان منها (القران) بفتح أوله وثانيه، وهو عملة فارسية فضية، تساوي ٤٠٪ من قيمة الروبية الهندية، وفئاته الحدج والمرضوف والهشتى والآردي الذي يساوي ربع حدج، والمرضوف والحدج[٤] عملتان نحاسيتان، ومنها التومان الفارسي ويساوي ١٠٠ محمي. وإلى جانب هذه العملات الفارسية هناك عملات خليجية ومن بينها بيسة مسقط التي ضربت باسم فيصل بن تركي سلطان مسقط، وبيسة برغش أحد سلاطنة عمان وهناك عملة أجنبية أوروبية يتعامل بها

---

(١) يحتفظ الصديق السيد/ محمد الفارس بمجموعة من النقود الأثرية القديمة في متحفه الخاص بالقطيف، مع ملاحظة أن المعلومات المتعلقة بالعملات استقيناها من المذكور.

(٢) محاضرات باحاكمة، ص٨٥.

(٣) ابن غنام وابن بشر، ج١، ص٨٨.

(٤) المرضوف تحريف عن المردوف أي يساوي ضعف قيمة الحدج.

الناس، وهي ريال تريزا الفضي النمساوي، ويساوي ٣ روبيات وقد كان متداولاً بين البداة حتى وقت متأخر[١].

وجميع تلك العملات اضمحل التعامل بها بعد سيطرة الأتراك على البلاد، حيث حلَّت العملة التركية محلَّها، ومن بينها الليرة العثمانية الذهبية التي تساوى ١٢ روبية، والمجيدي[٢] وهو عملة فضية تساوي ٣ روبيات، وينقسم إلى فئات، منها (الجرخي) بالجيم المخففة، ويساوي ١/١٦ من المجيدي والمتليك والقمري والمحمدي وهي أسماء لعملة تساوي ١/٤ من الجرخى وهي بدورها تساوي ١٠٠ بارة، والبارة أصغر عملة تركية.

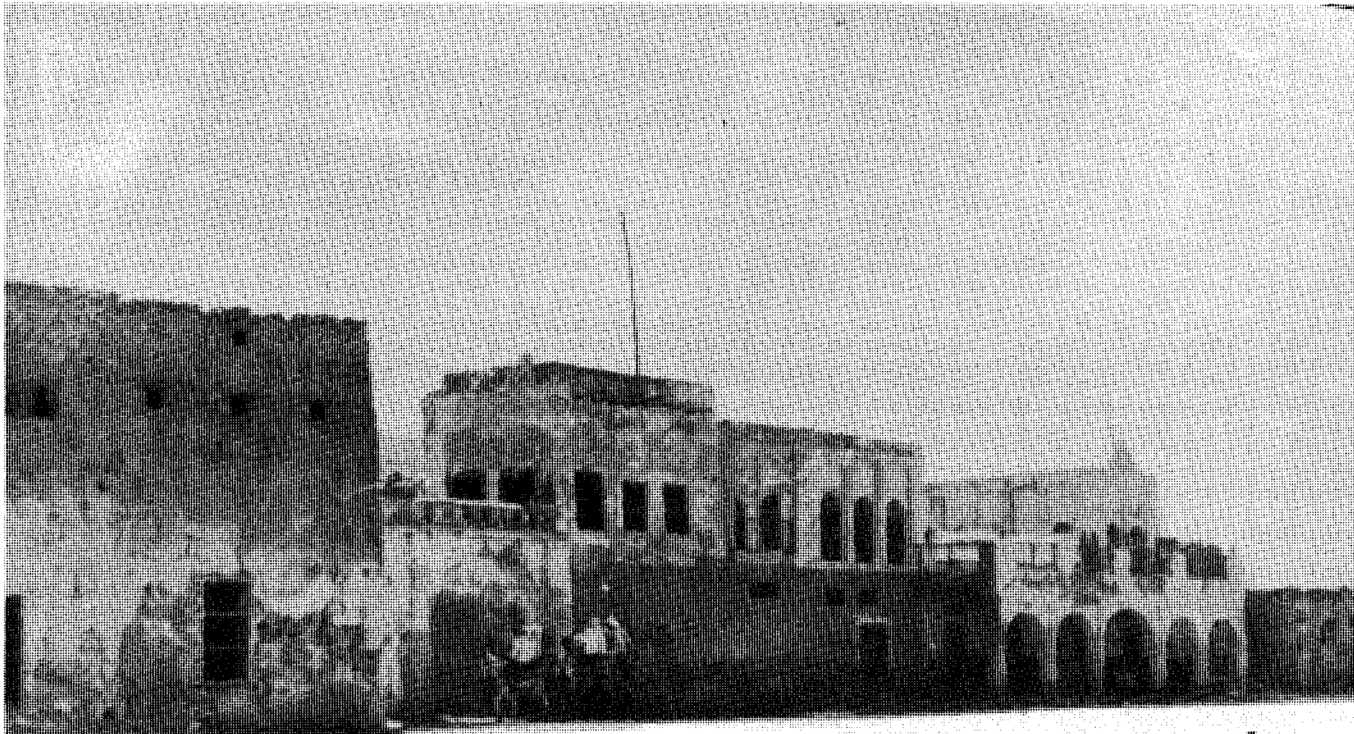
وكان الناس يتعاملون بالعملة التركية جنبًا إلى جنب مع العملة الهندية، بحكم علاقـاتهم التجـارية مع البحـرين، وحـين زال حكم الأتراك من البلاد حل الجنيه الإنجليزي محل الليرة التركية، وكان يساوي ١٣ روبية كما أن العملات الهندية الفضية بجميع فئاتها، النصف والربع وهما من الفضة، ثم الآنة وتساوي ١/١٦ من الروبية والآنيتين والأربع آنات، وهي جميعها من النيكل، ثم البيسة النحاسية وهي تساوي ١/٦٤ من الروبية، وهي أصغر وحدة نقدية.

وقد استمر التعامل بالعملة الهندية حتى بعد انضواء هذه المنطقة تحت الحكم السعودي وظهور المسكوكات السعودية حيث ظلَّ التعامل بها جنبًا إلى جنب مع العملة السعودية، وفي عام ١٩٦٥م سحبت العملة الهندية من التداول في البحرين واستبدلت بالـدينـار البحرانـي، فاختفت الروبية الهندية من الأسواق، وظلَّ الريال السعودي بجميع فئاته هو العملة الرسمية الوحيدة المتداولة، وأصبحت جميع العملات الأجنبية تخضع لسعر القطع حيث تباع في مكاتب الصرافين.

---

(١) كانوا يطلقون عليه الفرنساوي.

(٢) نسبة إلى السلطان عبدالمجيد العثماني.



مبنى أول مستوصف بالقطيف

مدخل مبني الجمرك والمالية

٤ ـ الأوزان والمقاييس والمكاييل:

قبل توحيد الأوزان والمقاييس في المملكة العربية السعودية بوحدتي الجرام والمتر، كانت في القطيف أوزان ومقاييس اصطلح عليها، حيث يتم التعامل على أساسها، فكانت هناك في الأوزان وحدة (المنّ)، وهي مصطلح قديم في الوزن، فقد وردت في النصوص البابلية .MANA. MANEH. MNA. MINA ويساوي عندهم ١٥ أو ٢٠ شاقلاً SAQEL أو SHOKEL ويتكـون الشوكل من ٢٠ جيرة GERAH ، وكانت للأوزان البابلية شهرة، وعليها كان اعتماد العبرانيين[1]، أما في القطيف فكان (المنّ) يعادل ١٦ كيلوجرامًا أو ١٢ حقة (أقة) والحقة تعادل كيلوجرام وثلثًا تقريبًا، ثم نصف الحقة وربع الحقة الذي يسمى وقية (أوقية)، ثم نصف الوقية وربع الوقية، ويختص التعامل بالحقة وأجزائها في بيع اللحوم والأسماك والربيان (الأربيان) والدهن (السمن) والتمر والرطب.

وإلى جانب الحقة صنجة تسمى (الألف)[2] التي تساوي ألف جرام (كيلو)، ثم أجزاؤها وهي (قياس) و(نصف قياس) و(ربع قياس) و(المية) التي هي ثمن (الألف) ويختص التعامل بهذه الأوزان في بيع مختلف البضائع، كالأرز والحنطة والشعير والبن والهيل والسكر والدقيق والحليب والتوابل. أما الأشياء الثمينة كالذهب والفضة وخيوط الحـرير والعقاقير فتباع بالمثقال والتولة، والمثقال يعادل أربعة جرامات وربع، والتولة تعادل مثقالين ونصف.

أما الخضار والفواكه كالطماطم والبامية والباذنجان واليقطين (القرع) والبطيخ بنوعيه الأحمر والأصفر والليمون والأترج والرمان واللوز والتين وغيرها، فكانت جميعها لاتوزن، وإنما تباع بالعد أو بالواحدة، وجميع تلك الأوزان التي ذكرناها كانت تصنع صنجاتها من الحديد أو النحاس تحت مراقبة السلطات.

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص٤٢٠.

(٢) لم يفهم معناها سابقًا بأنها تعني (ألف جرام) إلاّ مؤخرًا وأعتقد أنّها وفدت إلينا من البرتغاليين.

أمـا المقاييس فكانت هي نفسها المعروفة منذ القدم، والتي كانت متخذة من مقاسات جسم الإنسان والتي عرفها المصريون القدماء وشاعت في العالم القديم، حيث اتخذوا البوصة من أصبع الإبهام، والفوت من القدم، والذراع من اليد، فكان استعمال الذراع في القطيف هو السائد في بيع الأقمشة والمنسوجات والحصر (المديد)[1]، وفي قياس المساحات، وهو يساوي ٧٠سم، طبقًا لما تعرفه كتب اللغة من طرف المرفق حتى طرف الأصبع الوسطى، وإلى جانبه الباع وهو يساوي مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما كما جاء في (اللسان)، ويستعمل في بيع الحبال وقياس أعماق العيون والبحار.

أما المكاييل فهي المعروفة عند العرب قديمًا، (كالصاع) ويساوي خمسة أرطال وثلث الرطل، و(المد) يساوي رطلاً وثلثًا، وإن اختلف في تقديره، ويستعمل في إخراج بعض الزكوات كالفطرة، وإن لم ينتشر استعماله بصفة شعبية.

وبسبب علاقـة القـطيف بالبحـرين تجاريًّا سادت فيهـا المقـاييس والأوزان الإنجليزية كالرطل والياردة، وقد تلاشى مؤخرًا استعمالها حين وحدت الأوزان بوحدة الكيلو، والمقاسات بوحدة المتر[2].

الـــزراعـــة

١ - واحـة القطيـف

تقـدر مسـاحـة واحة القطيف في الوقت الحاضر بعشرة آلاف فدَّان، بما فيها الأوجام وأم الساهك وجزيرة تاروت وغيرها، وكانت المساحة الزراعية أكبر بكثير مما كانت عليه الآن، حتى يقـال بأن صحـراء البياض كانت تغطيها المزروعات، وأن السائبة كانت تنتقل من قرية إلى أخرى حتى تصل إلى مشارف الأحساء.

---

(١) جمع مدة وهي الحصير المصنوع من الأسل والحبال.

(٢) المتر حديث العهد يرجع استعماله إلى سنة ١٧٩٥م بعد الثورة الفرنسية وكان أوَّل من استعمله الفرنسيون.

وليست صحة هذه المعلومات ببعيدة، والتي يرويها الأهالي خلفًا عن سلف، فالعيون الجارية التي طمرتها الرمال مازالت آثارها موجودة حتى الآن، وقد حدثني مالكم كونت[1] بأن أرامكو عثرت على نحو من مائة وخمسين عينًا في قلب الصحراء، أثناء التنقيب عن البترول، ومدِّ خطوط الأنابيب، وكلها مدفونة تحت الرمال، كما وجدت هناك بالقرب منها آثار مدن وقرى كانت عامرة، فكلَّما حفروا بقعة في هذه المنطقة، وجدوا خرائب مطمورة، وأحيانًا بارزة على سطح الأرض، كما تشاهد عندها قطع نقود وأوان فخارية قديمة متناثرة. وهذا مصداق الخبر الذي يروى بأن موقع مدينة القطيف السابق كان في قلب الصحراء، وأن إعصارًا[2] دمَّرها سنة ٢١٦هـ، واكتسحتها الرمال فنزح أهلها، الذين أرخوا هجرتهم بكلمة حجرة[3]، إلى محلة الصيادين وهو الموقع الحالي لحاضرة القطيف.

وقد شاهدنا حتى عهد قريب عيونًا بريَّة في وسط الصحراء، حولت مياهها عبر صهاريج، لري المناطق الغربية من الواحة، ويظهر أن الأهالي قاموا باستغلالها للري، بعد أن انعدمت المساحة الزراعية التي كانت تسقيها، فاستخرجوا الرمال منها، وأحاطوها بأسوار عالية ووجهوا مياهها عبر صهاريج تحت الأرض.

وإذا أضفنا هذه المعلومات إلى الأخبار التي يذكرها الجغرافيون الإغريق بأن أنهارًا كانت تجري من أودية شبه الجزيرة العربية، وتصب في الخليج العربي، كنهر

(١) مستشرق أمريكي أخصائي في العلوم الاجتماعية، أقام في العراق مدة عامين، وبعد الثورة العراقية سنة ١٩٥٨م التحق بشركة أرامكو، وقد اجتمعت به في مكتبة الأبحاث بالظهران حيث كان أمينًا لها، فأمدَّني بكثير من المعلومات والخرائط.

(٢) هناك نوعان من الأعاصير، نوع يسمى هروكين HURRICANE وهو الذي يحدث قرب ـ السواحل مصحوبًا بالمطر والبرق، ونوع يسمى تورنادو TORNADO وهو الذي يقع في الصحراء حيث يرتفع بالتراب كأنه عمود، وهذا النوع هو الذي ضرب مدينة القطيف القديمة فدمَّرها.

(٣) هي بحساب الأبجدية ح ٨ + ج ٣ + ر ٢٠٠ + هـ ٥ = ٢١٦ وهذا الخبر سمعته من عدة مصادر، وقد نقله لي الصديق السيد/ محمد الفارس عن الشيخ ناصر أبو السعود.

(اخنم)، ونهر (أساتن) ونهر (سينوس) ونهر اللَّار[1] وبالطبع كانت لها روافد وفروع، تسقي بعض الأراضي الشاسعة، عرفنا أن هذه المساحات الصحراوية لم تكن كما هي عليه الآن، وأن الرياح التي تتحول أحيانًا إلى أعاصير مدمرة، كان لها اليد الطولى في خلق هذه المساحات الصحراوية، وتدمير الزراعة والعمران، ومازلنا في وقتنا الحاضر نرى كثبان الرمال العالية، تجتاح الجهة الغربية من الواحة وتغزو البساتين وتحتلها عنوة، حتى لا يرى منها سوى كرانيف النخل الطوال، وتسرق مساحات منها، ثم تواصل مسيرتها بحرية متنقلة في اتجاهها نحو الجنوب.

وعلى الرغم من أن الواحة تشكل غابة من النخيل، تقع في قلبها أكثر القرى، إلَّا أنَّها مقسمة تقسيمًا وهميًّا إلى سيحات، فكل قرية تتبعها مجموعة من البساتين تقل أو تكثر، وتسمى سيحة[2]، ولها حدود متعارف عليها، وهذا التقسيم قديم، ومتبع حتى على الصعيد الرسمي في سجلات الدولة، ويستثنى من ذلك الواحات الصغيرة المنفصلة، التي تشكل كل واحدة منها سيحة مستقلة كسيحة صفوى والأوجام وتاروت وغيرها.

وأراضي الواحة تتكون من مواد طينية ورملية، لايزيد سمكها على بضعة أمتار، وتليها الطبقة الجبلية، وعلى الرغم من قربها من ساحل البحر إلَّا أنَّها خصبة صالحة

---

(١) هذه الأنهار ذكرها الدكتور جواد علي في كتابه (العرب قبل الإسلام)، ج٣، ص٢٩٤ ـ ٢٩٨، نقلًا عن بلينوس وبطليموس، ومن المحتمل أن المنطقة حينما كانت وفيرة المياه كانت تتدفق منها روافد، وتكون أنهارًا تصب في الخليج العربي كنهر اخنم في جنوب الكويت، الذي ربما كان يأخذ مياهه من وادي المياه أو من متفرعات وادي الباطن، وكذلك نهر أساتن الذي يصب بالقرب من العقير ربَّما كان يأخذ مياهه من بحيرة الأصفر بالأحساء، وهنا نجد التقارب بين لفظتي (أساتن والأحساء). وكذلك نهر سينوس (نهر الكلب) الذي يصب بالقرب من قطر، حيث يأخذ مياهه من منطقة الجواء والخن والأمر كذلك بالنسبة لنهر اللار أو النار، الذي قيل إنه يتحدر من نجران ويصب في الخليج والأقرب أنه يأخذ مياهه من واحة البريمي.

(٢) سميت سيحة لأنها تسقى سيحا وتضاف إلى القرية فيقال سيحة القديح وسيحة العوامية

للزراعة، وقد أثبتت التجارب التي قامت بها محطة التجارب الزراعية[1] نجاح الكثير من الزراعات المستجدة، سواء منها تلك التي تنمو في المناطق الباردة أو الحارة، وكذلك أنواع شتلات الزهور وأشجار الزينة وغيرها من النباتات والأشجار التي لم تعرفها البلاد من قبل.

٢ ـ الانتاج الزراعي:

تشكل أشجار النخيل الزراعة الأساسية في الواحة، لذلك كان إنتاجها سابقًا يعتبر القاعدة العريضة التي تقوم عليها موارد البلاد الزراعية، فمن ثمَّ كانت البساتين تؤجَّر على أساس المحصول من التمر والسلوق الذي يعتمد عليه الملاَّك والفلاَّح على السواء في حياتهما الاقتصادية.

فبالإضافة إلى كون هذا المحصول جزءًا لايتجزَّأ من الغذاء اليومي فيؤكل منه رطبًا في الصيف وتمرًا في الشتاء، كان يصدر الفائض منه إلى الخارج بكميات كبيرة تبلغ

(١) في نوفمبر سنة ١٩٦٢م وقعت الحكومة السعودية مع منظمة الأغذية والزراعة الدولية اتفاقية إنشاء محطة تجارب زراعية في القطيف، وكان الهدف منها رفع مستوى الإنتاج الزراعي عن طريق تحسين مختلف أنواع المحاصيل الزراعية وتنمية الثروة الحيوانية، وذلك بإجراء تجارب عديدة بحثًا عن الأصناف الأكثر جودة والأوفر إنتاجًا بالإضافة إلى دراسة التربة ومعالجتها ومعرفة الطفيليات وفعاليات المبيدات الحشرية وتحسين وسائل الري والصرف ودراسة المشكلات الزراعية وإدخال الخبرة الحديثة والتركيز على المحاصيل ذات الأهمية كالخضار والفاكهة وتدريب المزارعين، وفي ديسمبر من العام نفسه بدىء بتنفيذ المشروع بواسطة الشركة الهولندية ومدته خمس سنوات، على أن تقوم المنظمة بالمساعدة الفنية وتقديم الخبراء، بينما تقوم الدولة بالمصاريف الأخرى وقد اختير موقع المحطة بين سيهات والقطيف إلى الغرب من عنك، فأقيمت على مساحة ١٥٠ هكتارًا، وهي ترتفع عن سطح البحر من ٣,٧٥م إلى ٤,٧٥م، حيث حفرت فيها ثلاثة آبار ارتوازية، تعطي جميعها ما يزيد على ٢٠٠ لتر في الثانية، ضمن شبكة منتظمة، وتحتوي على ورشة كاملة بالمعدات الزراعية ومساكن ومكاتب مكيفة صيفًا وشتاءً حيث كان يعمل فيها ثمانية من المهندسين والخبراء و١٣٤ من الموظفين والعمال وقد تسلَّمت الدولة إدارتها عام ١٩٦٩م وظلَّت تحت إشرافها، وقد أجريت تجارب عدة على أصناف من الملفوف والكرنب والزهرة والشمام والبطيخ والبامية والطماطم والباذنجان وغيرها، فعرفت البلاد كثيرًا من أنواع المزروعات لم تعرفها فيما مضى.

كما يذكر ج. ج. لوريمر ٢٤ ألف طن، أي ما يعادل ٧٥٠ ألف قلة[١]، أغلبها يصدر إلى إيران وعمان والخليج والهند[٢]. وكانت النخلة في الوقت نفسه تشكل العمود الفقري في مرافق الحياة بصورة عامة، فمن أصنافها كالخنيزي والغرّى تصنع الجذوع لتسقيف المباني، وأحيانًا تتخذ جسورًا ويصنع منها الأبواب، كنخلة الخلاص والحجوب لصلابتها ومن أنواعها الأخرى تعمل الجزم[٣] للوقود ولتحضير الجص[٤] ومن خوصها تنسج الحصر والقفف والمراوح والسفرات[٥] والأوعية والأطباق، ومن أليافها تصنع الحبال بأنوعها، ومن سعفها يتخذ كوقود للطبخ أو يسمط فيتخذ منه الجريد لبناء الأكواخ والدجاين[٦] ومصايد الأسماك (الحضور)[٧]، ويصدّر الفائض منه إلى الخارج.

وأصناف النخيل في واحة القطيف كثيرة جدًّا، أشهرها الخلاص والخنيزي (التعضوض)[٨] والبكيرة والماجي والطيار والغرى والحلاو الأحمر والأبيض وبنت البقوص والصباوة وخصاب العصفور (الحجوب) والشيشي وخصبة الرزيز والمكتوم (المجتوم) والخواجي والهلالي وغيرها.

ويبدأ نضج الرطب في أول يونيو (حزيران) بصنف الطيار والماجي والبكيرة، ثم تتوالى تباعًا باقي الأصناف كالغرى والخلاص والخنيزي والحلّاو، وآخرها صنف الحجوب (خصاب العصفور)، وينتهي في أواخر نوفمبر (تشرين الثاني). أما التمور

---

(١) القلة تعادل ٣٢ كيلوجرامًا.

(٢) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٦، ص٣٢٩٨.

(٣) الجزم جمع جزمة، وهي القطعة من الجذع تساوي مترًا ونصف المتر تقريبًا.

(٤) سيأتي شرح عملية الجص في فصل لاحق خاص بالصناعات المحلية.

(٥) جمع سفرة وهي عبارة عن حصير مستدير يفرش وتصف عليه المائدة.

(٦) جمع دجينة وهي عبارة عن حصير منسوج لحمته الجريد وسداه الحبال.

(٧) جمع حضرة وهي بيت يبنى بالجريد لصيد الأسماك فإذا كان الجزر دخلت فيه وانحصرت فيأتي الصيادون ويجمعونها.

(٨) هو كما جاء وصفه في تاج العروس تمر أسود حلو، وقد أهدى وفد بني عبدالقيس للنبي ﷺ قربًا منه.

فكانت تصنف إلى ثلاثة أصناف، نظرًا لكثرتها، وهي البكيرة، والخنيزي، والأبيض الذي يدرج فيه أغلب الأصناف الرديئة، وعلى أساس هذا التقسيم كانت تؤخذ الزكاة الشرعية، وتؤجر النخيل على الفلاحين، فالبكيرة وتسمى (البشرة) هي أول دفعة من الضمان يتسلّمها الملاَّك، ثم بعدها صنف الخنيزي الأغلى ثمنًا، حيث يتّخذ منه السلوق أيضًا بعد أن يغلى البسر ويجفف، ثم تدرج جميع الأصناف تحت اسم الأبيض وهو الأقل ثمنًا، ويستثنى منها تمر الخلاص والغرى والشيشي والحلّاو الأحمر، فهو أغلى الأنواع وأجودها على الإطلاق، وتصنف باسم الميرة، حيث تعبأ بعناية فائقة، وقد يضاف إليها السمسم والفوطن (النعنع) وتكون بمثابة مؤونة للملاَّك.

وجميع التمور تعبَّأ في ظروف بعد أن تجفف، كل ظرف[1] يحتوي على منين (٣٢ كيلوجرامًا). أما السلوق فيعبَّأ في أكياس، كل كيس يحتوي على أربعة أمنان (٦٤ كيلوجرامًا)، وجميع محصوله يصدر إلى الخارج، وكذلك الدبس عصير التمر الطبيعي[2]، والذي لايستهلك منه إلَّا القليل.

وتأتي بعد هذه الزراعة الأساسية سائر أنواع الحبوب والفواكه والخضار، فكانت تنتج الأرز الأحمر، ويسمى الهندية، وإنتاجه لا يكفي الاستهلاك المحلي، ثم اللوبيا

---

(١) الظرف عبارة عن قفة كبيرة مصنوعة من الخوص، وتسمى محليًا (قلة) تحريفًا عن جلة وقد وردت في شعر ابن المقرب:

بجلة التمر والشاة الرعوم غدت   أملاكنا واحتمت أملاك راعينا

(٢) لاستخراج الدبس من التمر طريقتان: الأولى أن يكوَّم التمر بعد تجفيفه في بيت من الجريد ويعمل فيه جداول تصب في حفرة، والطريقة الثانية تكون بعد تعبئة التمر في ظروفه ونقله إلى التخزين في الكندوج (الكندود) الذي هو عبارة عن غرفة في الطابق الأرضي معمولة فيها قنوات حيث يجري الدبس فيها ويصب في الجابية، فتفرش أولًا حيطانها وأرضيتها بالدجاين (جمع دجينة وهي عبارة عن حصير مصنوع من الحبال والجريد، لعزل التمر عن رطوبة الأرض)، ثم تصف قلات التمر بعضها فوق بعض في صفوف منتظمة، ويقوم بهذا العمل اختصاصي يسمى (السدَّاك).

والفول (الباقلا) والسمسم. أما الفواكه فكان منها اللوز[1] والموز والبوبي والبامبر والأترج والرمان بأنواعه والمشمش والخوخ والتوت (التوف) والنبق (الكنار)[2] والسفرجل والعنب والتين[3] والليمون والجرموز والبطيخ بنوعيه الأحمر والأصفر والقثاء (الطروح). أما الخضار والبقول فكان منها الباميا والباذنجان والطماطم (الطماطا) واليقطين (القرع) والهندال والبصل والثوم والفجل (الرويد) والكراث (البقل) والهندباء (الحندبان) والكرفس والنعنع، وينجح فيها أيضًا البرسيم (القت) وهو لإطعام الحيوانات.

ومن الفواكه والخضراوات والبقول التي استحدثت زراعتها في القطيف، ونجحت فيها نجاحًا باهرًا البرتقال واليوسفي (يوسف أفندي) والجوافة والكريب والكوسة والكرنب والملفوف والزهرة والخس والكزبرة والبقدونس والملوخية والخيار والفاصوليا والبازلاء والبطاطس، حتى أصبح الإنتاج يزيد على الاستهلاك المحلي، فيصدَّر إلى البلدان المجاورة.

ويمكن أن نعد من المحاصيل الزراعية زراعة الزهور وكان منها سابقًا الفل (الرازقي) والورد المحمدي والمشموم (الريحان) والياسمين العطر وأشجار الزينة كالدفلى (الجورى)[4]. أما في الوقت الحاضر، فقد كثر الاعتناء بها، فوجدت مشاتل متخصصة لزراعتها تزيد على **٢٥** مشتلاً في الواحة، حيث أصبحت تمدُّ مدن المنطقة بأشجار الشوارع والحدائق وكذلك المنازل بجميع أصناف الأزهار والنباتات، وتتمشى معها جنبًا إلى جنب مشروعات تربية الدواجن كالأبقار والأغنام والدجاج، حيث يصل إنتاج البيض إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي.

---

(١) هو غير اللوز المعروف في سوريا ولبنان، واسمه الأصلي جلفوز بالفارسية ثم حذفت أولا الفاء فصار جلوز، ثم حذفت الجيم فصار (لوز)، وهو ينبت بكثرة في البساتين دون عناية.

(٢) يسمَّى محليًّا (الكنار) ويقولون إذا نضج الكنار انتصف الليل والنهار.

(٣) من أنواعه الوزيري والبحراني والجبلي.

(٤) نسبة إلى جورة قرية بفارس، وهو شجر يزهر بصفة مستمرة في جميع الفصول واسمه العربي (الدفلى) بالياء المقصورة، وقد ورد ذكره في شعر ابن المقرب:

قوم كأنهم الدفلى يبين له — نور يروقك مرآه ولا خبرُ

ومن المؤسف أن زراعة النخيل، التي كانت تعتبر الزراعة الأساسية في الواحة قد فقدت الاهتمام بها في الوقت الحاضر، ويعود ذلك إلى قلّة الأيدي العاملة التي امتصّتها الشركات والمؤسسات، ثم ارتفاع أجورها، حتى أصبحت قيمة التمور لا تساوي تكلفة الإنتاج، ومن جهة أخرى هبوط حركة التصدير التي انتهت إلى الصفر، فقد أدّى منع دخول السلوق إلى الهند[1] إلى التوقف عن إنتاجه، وكذلك نتج عن عزوف تلك الأقطار المستهلكة سابقًا للتمور، كدول الخليج بسبب تطور حياتهم المعيشية عن شرائه، وقد أدّت هذه النتائج آخر الأمر إلى إهمال النخيل، حتى أصبح أكثرها بدون تأجير.

٣ ـ مصادر المياه ونظام الري والصرف:

العيون الجارية التي تسقي سيحا كانت هي مصدر الري الوحيد الذي قامت عليه زراعة الواحة، وهي قديمة جدًّا قِدم الواحة نفسها، وهي من الآثار الفريدة، التي تدلُّ في هندستها وبراعة حفرها على قيام حضارة متقدمة في هذه المنطقة، نشأت قبل آلاف السنين، وسواء كان العمالقة أحفاد الكنعانيين الذين حفروها ـ كما هو الشائع على ألسنة السكان[2] ـ أو غيرهم فإن توافر آلات الحفر في قطع الصخور وتحكمهم في تسرب المياه الجوفية العليا التي من شأنها أن تُعيق أعمالهم أثناء الحفر، يدلُّ على أنهم يملكون تقنية رائعة، كما أن لديهم خبرة فائقة بمواطن المياه، بدليل تقارب بعض العيون من بعضها إذ يصادف أن تتركز عيون كثيرة في بقعة لاتتعدّى مساحتها كيلومتر مربع كحمام أبو لوزة وعين الحباكة وعين البشرى وعين القصارى وعين الجنيز وعين الحليلة وعين الرواسية، في حين لاتوجد عين في منطقة بأكملها كسيحة الشويكة أو تكون متباعدة كثيرًا، كل ذلك يدلُّ على أن لهم خبرة جيولوجية متقدمة وأنهم قطعوا شوطًا بعيدًا في مضمار الحضارة، لم تبلغ شأوها كثير من الأمم في عصور ما قبل التاريخ.

---

(١) كان الهنود يوزعونه في أفراحهم كما توزَّع في أفراحنا الملبس والمكسرات.

(٢) سألت والدي المرحوم الحاج موسى المسلم من حفر هذه العيون فأجابني على الفور العمالقة.

ويبلغ عدد العيون في الـواحة نحو ١٧٠ عينًا، تختلف قوة وضعفًا، فمنها ما يتوزع ماؤها في سبعة أنهر، كعين داروش في صفوى أو ما يصب في نهرين كعين أم عمار بحلة محيش، والقشورية في الجارودية، ومنها ما يجري في ساقية واحدة، وهو الغالب، إلَّا أنَّ أكثر هذه العيون في الوقت الحاضر قد توقَّفت عن الجريان، وأصبحت كعين خسيف[1]، ويرجع السبب إلى الإسراف في حفر الآبار الإرتوازية، التي يصل عمقها إلى أربعمائة قدم أو أكثر، والتي سحبت ضغط المياه الجوفية عنها، لاسيما حين استعملت آلات الضـخ في منـاطق الـزيت لاستخـراج المياه الجوفية ثم ضخه في آبار البترول للاحتفاظ بمنسوب تدفقه، وقد عجَّلت هذه العملية في استنفاد المياه المختزنة المحدودة في الطبقات الجيولوجية التي تعود إلى العصر الأيوسيني[2] والتي كانت تتناقص على مدى آلاف السنين.

وهذه العيون كانت تسقي بشكل مباشر الجانب الغربي من الواحة.أما الجانب الشرقي منها فيسقى من فضلات المياه التي تتجمع من مبازل الصرف، وتشكل أنهارًا تسمى (سيبان)[3] وأشهرها ساب أبو خمسة بالشويكة وساب الدوبج بالتوبى وساب الصوبية بالقديح، وكانت مياه العيون والسيبان يجمعها نظام موحد في توزيعها على البساتين خلال أيَّام الأسبوع ولياليه، حيث تقسم إلى أربعة عشر وضحًا بين الليل والنهـار فالليل وضح، والنهار وضح، والوضح بدوره ينقسم إلى أجزاء منه النصف والربع والثمن وأجزاء الثمن، حسب ما يستحقه كل بستان من حيث كبره وصغره، ويعتبر الماء جزءًا لايتجزَّأ من الأرض، وكان الفلاَّحون يستمدُّون معرفتهم بالوقت من امتداد الظل أثناء النهار، ومن مطالع النجوم أثناء الليل.

وكانت المياه قبل ربع قرن في واحة القطيف متوافرة، بل زائدة عن الحاجة، حتى أصبحت تزخـر بالمستنقعـات، التي تفـاقمت من جرَّائهـا حمًّى الملاريا واشتهرت به

(١) عـين الخسيف هي المتوقفة عن الجريان حيث تصبح مياهها آسنة، وكان في القطيف عدد منها.
(٢) EOCENE من العصور الجيولوجية ويعود إلى نحو ٦٠ مليون سنة.
(٣) جمع ساب كما ينطقونها والصحيح سيب بكسر السين من ساب الماء يسيب سيبًا إذا جرى.

قديمًا[١]، على الرغم من وجود المصارف التقليدية، التي ترمي إلى استغلال الثروة المائية بأقصى حدٍّ ممكن، قبل أن يذهب هدرًا في البحر فكانت مبازل البساتين التي تسقى من العيون، والتي تسمَّى مرامي[٢] تدفع فضلات المياه إلى السيبان، حيث يسقى بها الجانب الشرقي من الواحة، وبالطريقة نفسها تتجمع فضلاتها في مبازل الصرف، وتندفع في ترع وتصب في البحر.

وإزاء تناقص المياه واستصلاح الأراضي البور في السنوات الأخيرة، عمد النَّاس إلى حفر الآبار الإرتوازية بإسراف، فانتشرت الفوضى في نظام الري إذ أصبح كثير من البساتين يشكو من الجفاف، في الوقت نفسه تحوَّلت تلك التي تسقى من الآبار الإرتوازية إلى مستنقعات، فعمدت وزارة الزراعة إلى تبنِّي مشروع الصرف فشقَّت الترع العميقة الكبيرة في أرجاء الواحة، ودفعت بمياهها نحو البحر، وقضت على المستنقعات، التي كانت تشكل خطرًا على الصحة العامة، وضررًا على الزراعة، ولكنَّها في عملها هذا وقعت في خطأ لم تحسب له حسابًا، إذ حرمت البساتين التي كانت تسقى من السيبان من مصدر ريِّها الوحيد، دون أن تقدم لها العوض، فأرادت أخيرًا أن تتدارك خطأها، فتبنَّت مشروع الري على مراحل، وبدأت بالمرحلة الأولى، وهي التي نفذت، وتبدأ في الجانب الغربي من بلدة أم الحمام حتى بلدة الجارودية، بأن حفرت آبارًا إرتوازية وضختها في خزانات، ومدَّت أنابيب للبساتين التي تقع ضمن تلك المنطقة، غير أنَّها توقَّفت عن تنفيذ المراحل الباقية، وجمَّدت المشروع، فأصبحت أكثر البساتين تشكو من الظمأ، ومهدَّدة بالفناء إلَّا أن تتداركها عناية الله ومبادرة المسئولين.

---

(١) اشتهرت بلاد البحرين ومنها القطيف بحمى الملاريا التي ينتج منها كبر الطحال كما جاء وصفها قديمًا في الشعر العربي:

ومن يسكن البحرين يكبر طحاله ويحسد بما في بطنه وهو جائع

أو قول الراجز:

هم إذا لم يعده هم فتك كأنه إذ عاد فينا وزحك
حمى قطيف الخط أو حمى فدك

(٢) جمع مرمى وهو الذي ترمي البساتين فضلات المياه فيه.

كشف بأسماء العيون القديمة ومواقعها من الواحة[1]

مسلسل	اسم العين	الموقع	مسلسل	اسم العين	الموقع
١	القبلية	سيهات	٢٦	الموسى	أم الحمام
٢	الشمالية	= =	٢٧	الثلث	= =
٣	العويّد	= =	٢٨	السلاحف الشمالية	= =
٤	مريقيب	= =	٢٩	السلاحف الجنوبية	= =
٥	الكعبة	= =	٣٠	أم زمزوم	= =
٦	الحناة الكبيرة	= =	٣١	الفتية	= =
٧	الحناة الصغيرة	= =	٣٢	الحمام	= =
٨	الخضرية	= =	٣٣	أم دمنة	= =
٩	أبو جديول	= =	٣٤	البدحة	= =
١٠	أم الزبابيل	= =	٣٥	أم عمار	حلة محيش
١١	السنية	الجش	٣٦	المروانية	= =
١٢	الهليلية	= =	٣٧	الحليّل	= =
١٣	البقيلة	= =	٣٨	القلف	= =
١٤	أم الظبي	= =	٣٩	الجزيرة	= =
١٥	الدالوه	= =	٤٠	القشورية	الجاروية
١٦	المليجات	= =	٤١	صدين	= =
١٧	الشمالية	= =	٤٢	الخنيفسية	= =
١٨	الشرقية	= =	٤٣	أم نخيلة	= =
١٩	الوسطى	= =	٤٤	الحصمية	= =
٢٠	المعلا	الملاحة	٤٥	السديري	= =
٢١	الصائغية	= =	٤٦	السبيت	= =
٢٢	المليحيات	= =	٤٧	أم السبيان	= =
٢٣	أم كردوس	= =	٤٨	أم العبي	= =
٢٤	الشطيبات	= =	٤٩	الصدرية	= =
٢٥	الصبيخة	= =	٥٠	السريعات	الخويلدية

(١) في اعتقادنا أن هناك عيونًا كثيرة فاتنا ذكرها. وأكثر تلك العيون التي ذكرناها قد توقَّف عن الجريان في الوقت الحاضر للأسباب التي شرحناها آنفًا.

تابع كشف بأسماء العيون القديمة ومواقعها من الواحة

مسلسل	اسم العين	الموقع	مسلسل	اسم العين	الموقع
٥١	الفوارات	الخويلدية	٧٧	الشيباني	القديح
٥٢	المجيليس	= =	٧٨	البديعة	= =
٥٣	المنتفخة	= =	٧٩	الجميحة	= =
٥٤	الحشيفية	= =	٨٠	الوسائع	= =
٥٥	الحرازية	= =	٨١	الرحاة	= =
٥٦	الديرة	= =	٨٢	ساداس	= =
٥٧	حساوي	= =	٨٣	المضرية	= =
٥٨	الطوقية	= =	٨٤	الرواسية	= =
٥٩	السبب	= =	٨٥	أم الحمير	= =
٦٠	الطويلة	= =	٨٦	الغمامية	= =
٦١	القصير	التوبى	٨٧	الصدرية	= =
٦٢	المربعة	= =	٨٨	أم الدفوف	= =
٦٣	العوينة	= =	٨٩	القطجية	= =
٦٤	الدواسين	= =	٩٠	عين القديح	= =
٦٥	عجة	= =	٩١	عين الغربي	= =
٦٦	النقيلات	= =	٩٢	عين مهنا	= =
٦٧	القطينية	= =	٩٣	الجوهرية	= =
٦٨	الحليلة	البحارى	٩٤	المجالس	= =
٦٩	البشري	= =	٩٥	الصغيرة	= =
٧٠	الجنيز	= =	٩٦	العمارة	= =
٧١	حمام أبو لوزة	= =	٩٧	الجبيس	= =
٧٢	الحباكة	= =	٩٨	الديمسية	= =
٧٣	القصارى	= =	٩٩	أم الهلالي	= =
٧٤	المحارق	القديح	١٠٠	القويع	= =
٧٥	الغرّى	= =	١٠١	الخداشي	= =
٧٦	الشرابية	= =	١٠٢	الطيبة	العوامية

تابع كشف بأسماء العيون القديمة ومواقعها من الواحة

مسلسل	اسم العين	الموقع	مسلسل	اسم العين	الموقع
١٠٣	الربيانة	العوامية	١٢٩	أم جمل	أم الساهك
١٠٤	أم جدير	= =	١٣٠	أم رحى	= =
١٠٥	الخضيرة	= =	١٣١	أم كلاب	= =
١٠٦	المنصورة	= =	١٣٢	شريعة	= =
١٠٧	اللبّانية	= =	١٣٣	عقعق	الآجام
١٠٨	أم سباع	= =	١٣٤	بدي الغربية	= =
١٠٩	المليح	= =	١٣٥	بدي الشرقية	= =
١١٠	الجوهرية الصغيرة	= =	١٣٦	ضوريب	= =
١١١	الجوهرية الكبيرة	= =	١٣٧	سبيتة	= =
١١٢	الحسين	= =	١٣٨	الناصرية	= =
١١٣	المصونة	= =	١٣٩	أم الطرفة	= =
١١٤	الفتية	= =	١٤٠	مشعان	= =
١١٥	الزارة	= =	١٤١	الجديدة	= =
١١٦	مشيش	= =	١٤٢	البشرية	= =
١١٧	فلوان	= =	١٤٣	الشعيبة	= =
١١٨	الصباحية	= =	١٤٤	الصغيرة	= =
١١٩	الصالحية	= =	١٤٥	الوطارية الشمالية	= =
١٢٠	داروش	صفوى	١٤٦	الوطارية الجنوبية	= =
١٢١	الوسطى	= =	١٤٧	توريت	= =
١٢٢	الجنوبية	= =	١٤٨	العبيد	= =
١٢٣	المسيبة	= =	١٤٩	أم الشبا	= =
١٢٤	دويليب	= =	١٥٠	الحسين	= =
١٢٥	خويلد	= =	١٥١	الخريفية	= =
١٢٦	جاوان	= =	١٥٢	أم قرن	= =
١٢٧	المطين	أم الساهك	١٥٣	عضيبة	= =
١٢٨	الخريض	أم الساهك	١٥٤	الغريرية	= =

تابع كشف بأسماء العيون القديمة ومواقعها من الواحة

مسلسل	اســـــم العـــين	المـوقـع	مسلسل	اســـــم العـــين	المـوقـع
١٥٥	الطوينات	الأجـــام	١٦١	المصرانية	الأجـــام
١٥٦	الهميلية	= =	١٦٢	الكواكب	= =
١٥٧	الحداديـة	= =	١٦٣	الحمام أو العين العودة	تـاروت
١٥٨	المعدان الجنوبي	= =	١٦٤	الفرســان	= =
١٥٩	المعدان الشمالي	= =	١٦٥	العوينـة	= =
١٦٠	قـــوه	= =			

٤ ـ الوضع الزراعي في الواحة:

يقـوم الفلَّاح بأعمال الزراعة من ألفها إلى يائها، فيتقدَّم لاستئجار البساتين من الملَّاك، وفق عقود مبرمة بينهما، تختلف مددها من سنتين فأكثر وفق شروط متَّفق عليهـا[1]، كالسقـاية وكسـاح المشـاريب وتنـظيف الـترع والسـواقي وحـراثـة

(١) كانت صيغة العقود على النحو التالي:
(وجه البيان هو أنني قد أجَّرت الرجل (فلان بنْ فلان الفلاني) من أهالي قرية (الاسم) النخل المعلوم المسمى بـ (الاسم) الكائن بسيحة (الاسم) مدة سنتين متواليتين (أو أكثر) على أن يقوم بأعـمال النخـل في المدة المذكورة من نبات وتنبيت ولفاف وتكفيك وتحدير وصرام وغيرها من الأعمال المتعارف عليها، وعلى أن يؤدي للمالك في كل سنة (العدد) قلة وزن المنين جديدة عامها سالمة من الأجزاء الفاسدة. منها (العدد) قلة بكيرة بشرة و(عدد) قلة خنيزي و(عدد) من سلوق و(عدد) قلة أبيض و(عدد) قلة ميرة وعلى أن يدفع مبلغ (عدد) ريال عوضًا عن البزار و(عدد) كيلو حليب يمشيها خلال شهر رمضان و(عدد) كيلو دهن يمشيها في كل يوم خميس و(عدد) فروج أي فرخ (والفرخان يعادلان دجاجة واحدة) و(عدد) كيلو رطب يمشيها كل يوم خلال فصل الصيف و(عدد) من اللومي أو الأترج أو الرمان أو التين (إذا وجد في النخل) و(عدد) ألف من السعف و(عدد) ألف من الكرب وعلى أن يدخل في النخل (عدد) وقر سماد بقر حولي عتيق مفرقة و(عدد) وقر حشوش (فضلات الإنسان) وعليه (عدد) عامل في عمار الجوابير إذا عمر المالك، وعليه قلاع الفسيل وغرسه وتقضيب الشجر وعمرة الشروب مرتين كل عام وتوقيف ربعات الحضار وكساح المشاريب وطلاع المرامي والسقاية بالماء في كل دور).

الضواحي[1] وتسميد النخيل وإصلاح سياجه وتنظيفه وتأبيره وصرامه وتعبئته، مضافًا إلى تعهده بدفع كمية من التمر والسلوق ومبلغ من النقود وكمية من الرطب يؤدِّيها خلال فصل الصيف، وكمية من سمن البقر والحليب، وكمية من السعف والكرب، وعدد من العمال في حراثة الجوابير[2] وكانت هذه الشروط المجحفة مقبولة عن طيب خاطر، بسبب المنافسة الشديدة القائمة بين الفلاَّحين أنفسهم لصالح الملاَّكين، والتي أدَّت إلى تردِّي أوضاعهم الاقتصادية وإلى معاناتهم أسوأ حالة من البؤس والفاقة[3].

والملاَّكون أنفسهم أحيانًا يقع عليهم الغرم، حين تفوق الرسوم حاصلات النخل، فيضطرون إلى بيع أثاثهم ومصوغات نسائهم، وقد أتى عليهم حين من الدهر يرفضون الزواج من البنت التي تملك النخيل، ويسمونها (أم السِلّة) أي الشوك، حين كانت الزكوات والضرائب تفوق الحاصلات ويلزم بدفعها الملاَّكون دون غيرهم، ولو أدَّى الأمر إلى سجنهم والتنكيل بهم.

ويبدأ تأجير النخيل في شهر سبتمبر حين تنتهي العقود السابقة، فيتقدم الفلاَّحون إلى خطوبة البساتين، ويدفعون مبلغًا من النقود لكتابة ورقة العقد وبعد أن يتسلَّم الفلاَّح الورقة يباشر العمل، فيقوم بحراثة المشاريب وكساح الترع وتنظيف المرامي وإصلاح الحضار (السياج)، ويوضع فيه السماد، حسب الكمية المتفق عليها، وإذا أراد المالك حرث النخيل كله يؤدي حصته من العمال، وإذا ظهر طلع النخل يقوم بتأبيره وتنظيف أصل النخلة من الشوك وقص السعف اليابس والكرب، وحين ينمو العذق يقوم بلفافه ثم تفكيكه وحين يستكمل نموه يقوم بتحديره، وحين ينضج التمر يعمد إلى صرامه ونقله إلى الفدى[4] حتى يجف، فيعبؤه في ظروف، أما إذا رغب المالك

(١) جمع ضاحية وهي الحوض الكبير الذي يزرع فيه الخضار وتكون على جانبه الأشجار.

(٢) جمع جابور وهو مستوى الأرض الذي تشق فيه الضواحي والسواقي.

(٣) كانوا يلجأون إلى الدين للوفاء بالتزاماتهم للملاَّك وتذهب أتعابهم للدائنين وهم لا يملكون شروى نقير.

(٤) الفدى: متسع من الأرض يستخدمه الفلاَّحون لتجفيف التمور.

في السلوق وتوفر صنف الخنيزي في البستان فيقوم بصرامه بسرًا ثم يقوم بغليه ونشره حتى ييبس، ويسلم للملاك ما يخصه، وهذه الأعمال كانت تملأ فراغ حياة الفلَّاح كلّها على مدار العام.

أما محصول أشجار الفواكه والخضار فيشترط الملاّك على الفلَّاح أن يؤدِّي منه كمية معلومة سنويًّا، كالليمون والأترج والرمَّان والتين، أما محصول الأشجار الأخرى فهو معفي من الشروط، وكذلك زراعة الأرض من الخضراوات والبقول والبرسيم هي الأخرى معفاة من الشروط ويعود محصولها للفلَّاح، ويتوقَّف استغلال الأرض على نشاطه ومدى ما يملكه من خبرة زراعية.

هكذا كان حال الفلَّاح في الماضي، أما اليوم فقد تبدَّلت الحال وتحسَّنت أحواله بعد استخدام الوسائل الحديثة في الزراعة بفضل المساعدات والإعانات التي تقدِّمها الدولة للمزارعين بطرق مباشرة وغير مباشرة.

الغــوص

تعتبر مهنة الغوص من الأعمال الرئيسية التي يمارسها أبناء الخليج سواء كانوا حضرًا أو بدوًا، وهي قديمة جدًّا، فقد عثر على أصداف متحجرة في شواطىء المنطقة ترجع إلى عهود سحيقة، ولم يتمكن الدكتور كورنال من الناحية الأركولوجية من تحديد زمنها، كما عثر أيضًا على لوح حجري في منطقة أور الكلدانية يتحدث عن كيس يحتوي على عيون السمك (اللؤلؤ) جلب من دلمون.

وكان أبناء الخليج يمارسون هذه المهنة منذ القدم واشتهروا بها، وحتى أنهم كانوا إلى عهد متأخر ينتجون نصف محصول العالم من اللؤلؤ، وتدرُّ عليهم أرباحًا تقارب تسعين مليون روبية، ومما يذكر أن عائدات الغوص في القطيف كانت تقدر بأربعة ملايين وستمائة ألف روبية هندية[1] وهو مبلغ طائل بالنسبة لذلك الوقت، وهذه الثروة

(١) التحفة النبهانية، ج٦، ص ص١٣-١٤.

التي يحصـل عليها السكان أسالت لعاب الأوروبيين، فحاولوا في فترات عديدة أن يحصلوا على امتياز صيد اللؤلؤ في الخليج باستخـدام الـوسائل الحديثة في الغوص، فباءت محاولاتهم بالفشل، حيث لقيت معارضة من الأهالي ومن السلطات المهيمنة على مياه الخليج [١].

مغاصات اللؤلؤ:

ويبلغ عدد مغاصات اللؤلؤ في الجانب العربي من الخليج وبالتحديد من دُبَيّ حتى الكويت **٢٣٩** مغاصًا[٢]، وهي مباحة لجميع صيادي اللؤلؤ[٣]، ويتراوح عمقها من ١٨ قدمًا إلى ١٣٨ قدمًا وأكبر المغاصات وأكثرها إنتاجًا هي الواقعة على الساحل العربي وأحسنها ما كان قاع البحر مستويًا والماء صافيًا، والرمل مائل إلى البياض فوق شعاب المرجان.

مواسم الغوص:

وأيام ازدهار الغوص كان له ثلاثة مواسم: أولها يسمى غوص البرد ويبدأ من منتصف إبـريل، ويستمـر أربعـين يومًـا، وكان العمل فيه مقصورًا على المغاصات الضحلة، فإذا غاب الغواصون يومين، سموه (عزاب) وإذا غابوا نحو أسبوعين، سموه (خانجية)، وثانيها الغوص الكبير ويبدأ من منتصف مايو، ويستمر إلى منتصف شهر سبتمبر، وأول هذا الموسم يسمى (الركبة)، ونهايته تسمى (القفال)[٤]، وثالثها يسمى (الردة)، ومدته ثلاثة أسابيع من ٢٠ سبتمبر إلى ١٤ أكتوبر وهناك موسم رابع في الشتاء أو الـربيع، يسمى (المجنًى)، حيث يلفظ البحر عددًا من القواقع قرب الساحل، فيذهب الناس ويلتقطونه أثناء الجزر.

---

(١) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٦، ص ص٣٢٢٩-٣٢٣٨.

(٢) المصدر السابق، ج٦، ص ص٣٢٦٠-٣٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص ٣٢٢٤.

(٤) الركبة أي ركوب السفينة ومغادرة البلد، والقفال أي العودة من قفل أي رجع من السفر.

وتستخدم جميع أنواع السفن في أعمال الغوص، وأغلبها من نوع السنبوك والبتيل والبقارة والبغلة[1] ويتراوح عدد البحارة في كل سفينة من عشرة إلى ستين، وقد بلغ عدد السفن التابعة للقطيف في وقت مَّا ٤٠٠ سفينة، وتموّل السفن العاملة في الغوص في الغالب من المسقّمين (الممولين) أو تجار اللؤلؤ، ليحصلوا على حق الامتياز في شراء المحصول بنسبة خصم تساوي ٢٠٪ عن القيمة السوقية، وفي الوقت نفسه يستوفون ديونهم.

وطاقم السفينة يرأسه النوخذة (الربان) فهو المسئول عن جميع الأعمال ويأتي بعده في الأهمية الغواص وهو الذي يقوم بالبحث عن الأصداف في أعماق البحر، ثم السيب الذي يتولَّى الإشراف على خدمة الغواص أثناء نزوله في البحر، ثم الرضيف وهو الذي يتولَّى خدمة البحَّارة من إعداد الطعام وصيد السمك، ويوجد في طاقم السفينة (التبَّاب) وهو الذي يرافقهم للتمرن على أعمال الغوص، والنهام (المغنِّي) وقد يكون أحدهم، وهو الذي يرفِّه عنهم بأغانيه ومواويله التقليدية، لينسيهم متاعب العمل الشاق والبعد عن الأهل والديار.

وعملية الغوص في البحر عملية صعبة محفوفة بالمخاطر، وتقع كلها على عاتق الغواص، لا سيما إذا زاد عمق البحر على نحو من ٢٠ مترًا وأخطر ما يواجه من الحيوانات البحرية حيوان يسمى (الدّول) يبلغ حجمه قدر الكف، وهو هلامي الشكل، له خيوط طوال، وكأنه كتلة من حرير أبيض، فإذا لامس جسم الإنسان سبَّب له التهابًا وحرقة شديدة، ومثله حيوان (اللّويبي) بالتصغير إلَّا أنَّه أحمر وخطره أقل، كما يوجد أحيانًا سمك القرش ويسمى (الجرجور) أو كلب البحر فيهاجم الغواص ويقضي عليه، أو يلحق به أضرارًا بالغة.

وتبدأ أعمال الغوص من أول الصباح حتى نهاية النهار، وبعد أن يخلع الغواص ثيابه يضع في أنفه الفطام، وهو أشبه شيء بالملقط يضغط على أنفه فيمنعه من التنفس

---

(١) من أنواع السفن المشهورة في الخليج الجالبوت والبوم والقلص والهورى والشوعي والبلم.

ويحشو أذنيه بقطعة من الصوف المندوف أو شمع العسل، ويستعين على النزول إلى القاع بقطعة من الرصاص أو الحجر، يتراوح ثقلها ما بين ١٠ إلى ١٤ رطلاً وتسمى (زيبل) يثبت في حبل له عروة يضع فيها رجله، ليسرع به إلى القعر، ويأخذ معه زنبيلاً يسمى (ديِّين) مصنـوع من حبل القنب له فتحات وعروة كبيرة، ليجمع فيه المحار ويعلقه في عنقه، ويضع في يديه قفازات، تسمى (خبط)، وحبلاً في وسطه، يسمى (أيّد) متصلاً بالسفينة، وحين ينزل إلى البحر يضع كفيه على وجهه، فيصل إلى القعر بسرعة، ثم يفتح عينيه، حيث تبقى رجلاه معلقة إلى أعلا ويداه إلى أسفل، وهو يجمع المحار ويضعه في الزنبيل فإذا انتهى أرسل إشارة بهزّ الحبل، فيقوم السيب بسحبه فورًا إلى سطح المـاء، وتـتراوح مدة كل غطسـة، وتسمى (تبَّـة) بين ٤٠ ثانية إلى دقيقـة واحدة[1]، يجمع فيها عددًا من القواقع من ٣ إلى ٢٠، ويبلغ عدد غطسات الغواص في اليوم الـواحـد نحو الخمسين، أمّا إذا كان الطقس باردًا فتتراوح ما بين عشر إلى عشرين غطسة.

وحـين يجمعـون حصيلة اليوم، يقـومـون بفتـح المحار تحت إشراف النوخذة شخصيًّا، وهو المسئول عن حفظ اللؤلؤ، وهو الذي يتولّى بيعه بنفسه، فيسدِّد للمموِّل دينه، ويعطي مالك السفينة ٢٠٪ من المحصول، ويختص لنفسه بنسبة ٢٠٪ ويقسم الباقي، فيعطي الغوّاص ٦٠٪ والسيب ٣٠٪ والرضيف ١٠٪، أما التبات فلا يعطى أي شيء وليس له فائدة سوى نفقات أكله والتمرن على أعمال الغوص.

وهنـاك من الغـواصين من يعمل لحسابه، ويسمَّى (عزّال) فيبيع محصوله من اللؤلؤ، فيدفع للنوخذة الخمس وتكاليف نفقته وهو بخلاف الطريقة الاشتراكية، التي تسمَّى (الجـزوى) المتبعـة في الغـالب، أي تقسيم المحصـول على المجموع بالنسبة المذكورة آنفًا.

(١) لا صحة لما ذكره ابن بطوطة في رحلته بأن بعض الغواصين يصبر في الماء الساعة والساعتين.

وبيع اللؤلؤ يتم في الأغلب على الطوّاش[1]، ويراعى فيه الحجم فاللؤلؤة الكبيرة تسمى (جوهرة) والوسطى تسمى (دانة) والصغيرة تسمى (قماشة) وتخضع أيضًا إلى عملية الفرز، حيث تبوب إلى (رأس) و(بطن) و(ذيل)[2] وأجمل اللآلىء تسمَّى (لَقْوة)، ويعمد الطوّاش أحيانًا إلى شراء اللؤلؤ من السفن أثناء الغوص، فيدفع الثمن أو يقايضهم بمواد التموين كالأرز والتمر والقهوة والسكر وغيرها، ثم تنتقل اللآلىء بين تجار اللؤلؤ ويتبايعونه فيما بينهم، إلى أن ينحصر في فئة من كبار التجار، فيصدرونه إلى البحرين أو الهند، حيث يتخذ طريقه إلى الأسواق العالمية.

وكانت أعمال الغوص نشيطة وتجارتها مزدهرة منذ أقدم العصور إلى حين ظهر اللؤلؤ الصناعي الياباني[3]، الذي لا يختلف عن اللؤلؤ الطبيعي[4] في الشكل أو اللون، ولايمكن التمييز بينهما إلاَّ بالأشعة السينية أو بعض الأجهزة الدقيقة كالاندوسكوب[5] حتى أصبح ينافس اللؤلؤ الطبيعي في الأسواق، وأدَّت كثرة إنتاجه إلى انخفاض قيمته كأي سلعة تجارية تخضع لقاعدة العرض والطلب، هذا بالإضافة إلى أن كثيرًا من البلدان التي تستورده والتي استقلَّت حديثًا بعد الحرب العالمية الثانية، كالهند التي كانت السوق الرئيسية للخليج، والتي قضت على بذخ المهراجات[6]، منعت استيراد اللؤلؤ،

---

(١) الطوّاش أحد صغار تجّار اللؤلؤ.

(٢) تتم عملية الفرز في طوس مخرّمة بنسبة الكسر العشري من البوصة فالرأس ١٨,٠ والبطن ١٥,٠ والذيل ١١,٠.

(٣) قام باختراع إنتاجه كوكيشى موتو بائع الأرز المسلوق، وعلى الرغم من كونه أميًّا وفشله في محاولات عديدة إلاَّ أنَّه نجح أخيرًا فأسَّس مزارعه التي تقوم في جزيرة (توبا) حيث تنتج سنويًّا عشرين مليون لؤلؤة، وقد استطاع أن يتحكم في حجمه وفي إنتاج القوقعة (المحارة) حيث جعلها تنتج ثلاث لؤلؤات كحدٍّ أعلى وقد مات عام ١٩٥٤م عن عمر بلغ ٩٦ عامًا.

(٤) يتكون اللؤلؤ الطبيعي في الأصل من حشرة متناهية في الصغر من فصيلة (التترار هنكس) حيث تدخل في قلب الصدفة، فيقوم حيوان الصدف بقتلها بدافع غريزة الدفاع عن النفس، فيفرز مادة براقة يغلف بها الحشرة التي طولها عندما تدخل القوقعة يتراوح ما بين ٠,٠٧ و٠,٥٣ من المليمتر، وتتحجر المادة البراقة وتتكون اللؤلؤة.

(٥) الموسوعة العربية، ص١٥٨٠؛ وحول العالم، أنيس منصور، ٥٧٠.

(٦) بلغ الأمر من بذخ المهراجات أن يصنعوا من اللآلىء قلائد لكلابهم.

وأخذت بمبدأ الاقتصاد الموجه، ففرضت قيودًا على التحويل الخارجي، وقد أدَّت هذه الأسباب إلى تدهور أسعاره، حتَّى مني أغلب التجار بخسائر فادحة وأدَّى فقدان رؤوس الأموال المموّلة لأعمال الغوص إلى شلٍّ نشاطه، هذا بالإضافة إلى قيام صناعة الزيت في دول الخليج، التي امتصَّت الأيدي العاملة، وأصبحت المخاطرة في أعمال الغوص غير مرغوب فيها بعد أن توفَّر للعاملين الرزق المضمون والعمل المريح.

الثروة السمكية

تعزى كثرة الأسماك في الخليج العربي، والتي تتجاوز أربعمائة نوع إلى روافد المياه العذبة، كالفرات ودجلة وقارون، التي تتجمع مياهها كلها في شط العرب وتصب في الخليج، بالإضافة إلى الينابيع البحرية العذبة، التي تقدر بنحو مائتي عين، حيث يستقي الغواصون منها، مما جعل نسبة الملوحة فيه تقل عنها في البحر الأحمر، وتلك المياه التي تقذفها الأنهار وما تحمله من مواد عضوية توفر للأسماك غذاءها، وهذا ما جعلها تتكاثر وتتنوع، حتى بلغ عدد أنواع الأسماك الصالحة للأكل ٢٥٨ نوعًا، وقد قدرت منظمة الأغذية التابعة للأمم المتحدة الثروة السمكية الاحتياطية في الخليج بمليون طن.

وخليج القطيف المتفرع من الخليج العربي تصب فيه روافد فضلات مياه الواحة الغنية بالمواد العضوية، مما جعل مياهه تزخر بثروة سمكية هائلة، وهذا هو السر في جودة سمك خليج القطيف بالنسبة لسمك غيره، فكان السكان يعتمدون عليه في غذائهم اليومي أكثر من اللحوم في الأيام الماضية.

ويوجد في مياه خليج القطيف مختلف أنواع الأسماك، فمنها السمك الكبير ويسمى (القصيب)، ومن أنواعه التي تؤكل:

١ - الكنعَد	٢ - الهامور	٣ - السُوَّد	٤ - السِكِن
٥ - القدّ	٦ - أحمر	٧ - الفرد	٨ - الحاقول
٩ - الجبّ	١٠ - كُفدار	١١ - بنت الطير	١٢ - ثور

١٣ - بقــــرة	١٤ - أوذنــي	١٥ - سمـــان	١٦ - ضلــع
١٧ - سبيطــي	١٨ - شِخِـــل	١٩ - قــرش	٢٠ - قَــين
٢١ - عِمـــاد	٢٢ - حمام عربي	٢٣ - خــزرم	٢٤ - شعــري
٢٥ - بيــاض.			

ومنها الصغير ويسمى (حت)، ومن أنواعه التي تؤكل:

١ - الصــافـي	٢ - كُرقفـان	٣ - مُجوّى	٤ - بطـــان
٥ - فَسكَـر	٦ - حـامـر	٧ - صُنَيفي	٨ - حَيسـون
٩ - راعــي	١٠ - جـنًّم	١١ - باشْخِـين	١٢ - شَحـدود
١٣ - سلـــس	١٤ - وَحَـــر	١٥ - مَـيْـد	١٦ - جِـوَاف
١٧ - زَمـــرور	١٨ - نعَـيمي	١٩ - خُـوفَع	٢٠ - رَبيـب
٢١ - حَمــام	٢٢ - بَيـسر	٢٣ - حلوايُـوه	٢٤ - جــراد
٢٥ - نيــتر	٢٦ - عَنفــود	٢٧ - قَظّـــام	٢٨ - سنــور
٢٩ - جنّـيس	٣٠ - تيـــتي	٣١ - بُــني	٣٢ - عراضـي
٣٣ - سيَّـــد	٣٤ - لــزّاق	٣٥ - دوَيلمــي	٣٦ - عُـــوم
٣٧ - كاسُـــور	٣٨ - بَـــدْح	٣٩ - خاخــون	٤٠ - زرّاق
٤١ - إغـلـي	٤٢ - بُزَيمي	٤٣ - بيَــاح	٤٤ - شعِــم

بالإضافة إلى الربيان (الجمبري)، الذي يوجد بكثرة في شواطئها الطينية

طرق الصيد التقليدية

وهناك عدة طرق تقليدية للصيد، مازال أكثرها مستعملاً حتى وقتنا الحاضر، فمنها:

١ - الحضـرة:

والجمـع حضـور، وهي عبـارة عن بيت من جريد النخـل يبنى في الأراضي البحرية، مفتوح من جهة الساحل، فإذا صار المد جلب معه الأسماك، وإذا حدث

الجـزر اتجهت الأسماك إلى المياه العميقة، فإذا اصطدمت بحاجز الحضرة انحصرت فيها، وتبقى حتى يأتي مالك الحضرة أو مستأجرها فيلتقطها، وهذه الأراضي البحرية مملوكة كالأراضي الزراعية لها ملاك ومستأجرون.

٢ ـ الشقـة:

(الشبكة): وهي قطعة كبيرة تنسج من القطن، ولها فتحات صغيرة، وتثبت في أطرافها قطع فخار صغيرة أو أحجار، وتستعمل في الصيد على طريقتين، إما أن تنشر على الماء بشكل أفقي، فترسب في القاع، ثم يسحبها الصياد من وسطها، فتجرف ما تصادفه من ربيان أو سراطين وينحصر في الشبكة، وهي عادة تستعمل لصيد الربيان. أما الطريقة الثانية فتسمَّى (السكار)، وهي أن تنشر الشبكة بشكل عمودي بحيث تكون كالحاجز مثل سياج الحضرة تمامًا، وعندما يعود السمك إلى المياه العميقة ينحصر فيها، فيُلمُّ أطرافها الصياد والسمك محصور فيها.

٣ ـ القرقور:

وهو عبارة عن شبكة مصنوعة من الأسلاك أو القنب مستديرة، تشبه أقفاص الـطيور، يوضع بداخلها الطعم، ولها فتحة تسمح بدخول الأسماك في جوفها. فلا تستطيع الخروج منها.

٤ ـ الحـدوق:

وهو المعروف بالسنارة يضع الصياد طُعمًا في المجذار المثبت في طرف الخيط، ثم يرمي به في البحر، فإذا التقمته السمكة نشبت في فمها، فيجذبها الصياد ويخرجها من الماء.

وكان محصول الأسماك على الرغم من استهلاكه الكثير يفيض في كثير من الأحيان ـ لاسيما في الصيف ـ عن الاستهلاك المحلي، فكان يُجفَّف في الأيام السالفة، ويسمَّى (الحِلي)، ويُدَّخر لأيام الشتاء حين يقل الصيد، أما الآن فيصدر إلى كثير من بلدان المملكة، بعد أن توافرت الثلاجات، التي تؤمن حفظه وبيعه طازجًا للمستهلكين.

الصنـــاعـة

عرفت البلاد أنواعًا من الصناعات، واشتهرت به في الأيام الغابرة، كالرماح الخطية، نسبة إلى مدينة الخط (القطيف) وسواء كانت قناة الرمح تستورد من شرقي أفريقيا أو الصين أو الهند حيث يكثر شجر البامبو، وكان يزرع في جزيرة تاروت، في الأراضي التي تسقيها عين أم الفرسان كما يذهب إليه صاحب كتاب أنوار البدرين فمما لاشكَّ فيه أنَّ مدينة الخط اشتهرت بإنتاج الرماح الموصوفة بجودتها.

وإلى جانب صناعة الرماح اشتهرت أيضًا بالدروع الحطمية، نسبة إلى الحطم بن محارب من قبيلة بني عبدالقيس[1].

واشتهرت القطيف أيضًا بصنع الثياب (المرزوى)، وهو الثوب الرقيق، و(اللالس)، وهو الثوب الناعم الموشّى بالخيوط الحريرية، وقد جاء ذكرهما في شعر ابن المقرب[2].

ومن مرزوى بالقطيف ولالس عباء بوادي طيّء ونطوعها

والصناعة من مظاهر الحياة الحضرية، ولا يخلو منها أي قطر متحضر، ومن المؤسف أن تسجيل الكثير من هذا النشاط قد أهمل، شأنه شأن النشاطات الأخرى، فمعروف أن القرامطة كانوا في غزواتهم لايحتفظون من الأسرى إلّا بالصنّاع، فيجلبونهم إلى بلدانهم[3] وهذا التشجيع للصناعة ومظاهرها مما أهمله التاريخ، حتى عفت آثاره واندرست بحكم الأوضاع السياسية، التي أعقبت حكمهم من تسلط قبائل البادية وانعدام الأمن والاستقرار.

(١) المفصل، ج٤، ص٤٨٤.
(٢) ديوان ابن المقرب، ص٢٥٥، ط مصر.
(٣) أنوار البدرين، ص٢٧٨. ساحل الذهب الأسود، ص٨٦.

ومع هذا فإن بعض الصناعات التي تؤمِّن للبلاد الاكتفاء الذاتي كانت حية إلى عهد متأخر، أي قبل أن تغزو بلادنا حضارة البترول، فمن تلك الصناعات العريقة :

١ ـ صناعة النسيج:

وكانت صناعة مزدهرة، وهي عبارة عن أنوال يدوية لصنع العباءات الصوفية والبسط، وتتركز أكثرها بقرية الشويكة.

٢ ـ صناعة المداد:

وهو السجاد الذي تفرش به المنازل وغيرها، وهي عبارة عن أنوال يدوية طبقًا للطريقة السابقة في الحياكة، غير أن سداها يتخذ من الحبال المصنوعة محليًّا من الليف، ولُحمتها من الأسل الذي ينبت في أغلب المستنقعات.

٣ ـ صناعة الخزف:

وهي صناعة قديمة من أعرق الصناعات، وقد وجدت قطع من الفخار في أراضيها تعود إلى العصر العبيدي، أي إلى قبل أربعة آلاف سنة، وتتخذ من الطين الناعم، حيث يوجد في القطيف منجمان، أحدهما في سيحة القديح، والآخر بسيحة الخويلدية، وهو الأفضل، فتصنع منه الأواني عن طريق رحى خشبية مستديرة، تُدار بالرجل وتُسوى باليدين، حيث يتم صنع أشكالها المطلوبة، كالجرار والمشربيات، والبرم والأكواز وغيرها، ثم تترك فترة من الوقت حتى تجف، وبعد ذلك توضع جميعها في الفرن (الدوغة)، ثم تشعل النار تحتها حتى تكتسب صلابة، وتصبح جاهزة للبيع.

٤ ـ صناعة الخوص:

تختص بهذه الصناعة نساء الفلاحين، فتنسج من الخوص كثير من الأدوات، كسفرات الطعام والحصر والقفف والزنابيل والمراحل والمراوح اليدوية وظروف التمر والمخارف والمرافع وغيرها.

٥ - صناعة السلال:

يتخذ سداها من أعواد القصب ولُحمتها من الأسل، وتصنع منها سلال الرطب وسلال الملابس، ومثلها صناعة السراريد (جمع سَرُّود) إلاَّ أنَّ لُحمتها من الخوص.

٦ - صناعة الأقفاص:

تصنع من جريد النخل بعد نقعه في الماء ثم يقص حسب الأشكال التي يريدها القفّاص، كأسرَّة النوم للمفرد والمجوز وأسرَّة الأطفال وأقفاص الدجاج والطيور، وكانت هذه الصناعة مزدهرة ولها سوق خاصة بها في مدينة القطيف وصنَّاع مهرة.

٧ - صناعة الجص:

كانت مواد البناء تُصنَّع محليًّا، ومنها الجص (الخكرى) وهو الطين المستخرج من البحر بعد أن يجفف، ثم يكوم بشكل هرمي على قطع من جذوع النخل ويسمًّى (صار)، وبعد أن يحرق يدق ويكون جاهزًا للاستعمال، أما لبُّ (الصار) فيسمَّى (الجص الأحمر) وهو مقاوم للرطوبة كالأسمنت، ويستخدم في بناء العيون وتبليط الحمامات والمجاري وهناك جص يسمى (الجص العربي) يستحضر من الأحجار الهشة بعد أن يحرق ويدق بالطريقة السابقة نفسها.

٨ - صناعة التسجين:

وهي صناعة عمل الجذوع وقطع الجسور وقص الجزم ويقوم بهذا العمل المسجّن، الذي يعمد إلى جذوع النخل فيقسمها إلى قطع كبيرة، ثم يفصلها إلى شرائح، وهي الجذوع التي تستخدم لتسقيف المنازل، وعادة تتخذ من جذوع النخلة الصلبة، كنخلة الخنيزي والغرى والحجوب وغيرها، أما إذا كانت من فئة الخلاص فتُقسم النخلة إلى قطع كبيرة وتنجر وتستعمل للجسور لقوتها. أما النخلة الهشة أو الميِّتة فتقطع إلى قطع صغيرة لاتزيد على مترين، وتستعمل لحرق الصيران، أو تقطع إلى شرائح صغيرة وتستعمل للوقود.



صيران الجص حيث يحضر خلف سور القلعة بالقطيف.

٩ ـ صناعة النجارة:

كانت النجـارة من الصناعات المهمة، التي تتطلب دقة ومهارة، وكانت مادة الخشب إما أن يتم إنتاجها محليًا من الأشجار الصلبة كالتوت والسدر، أو تستورد من الخـارج، كخشب السـاج والأبنـوس، فتصنـع منهـا الأبواب والشبابيك والصناديق والأسرة، وقد برع بعض النجارين في التفنّن بنقشها والكتابات الجميلة عليها[1].

١٠ ـ الحـــدادة:

كان الحداد يقوم بصنع كثير من الأشياء كالمسامير والسكاكين والقفول والمزالج وأدوات الفلاحة كالمنجل والصخّين والمحش والعمدان والفؤوس وغيرها.

١١ ـ صناعة النحاس:

والصفّار أيضًا يقوم بصنع كثير من الأدوات النحاسية كالقدور والدلال والمقالي والصـواني على اختـلاف أحجـامهـا، وإن كان الكثير منها يستورد من الخارج كمادة النحاس نفسها، ويزدحم موسم العمل عنده في شهر شعبان، إذ يقوم الناس بإخراج قدورهم النحاسية لتجديد طلائها بالرصاص استعدادًا للمطبوخات المتنوعة التي تبدأ بحلول شهر الصوم.

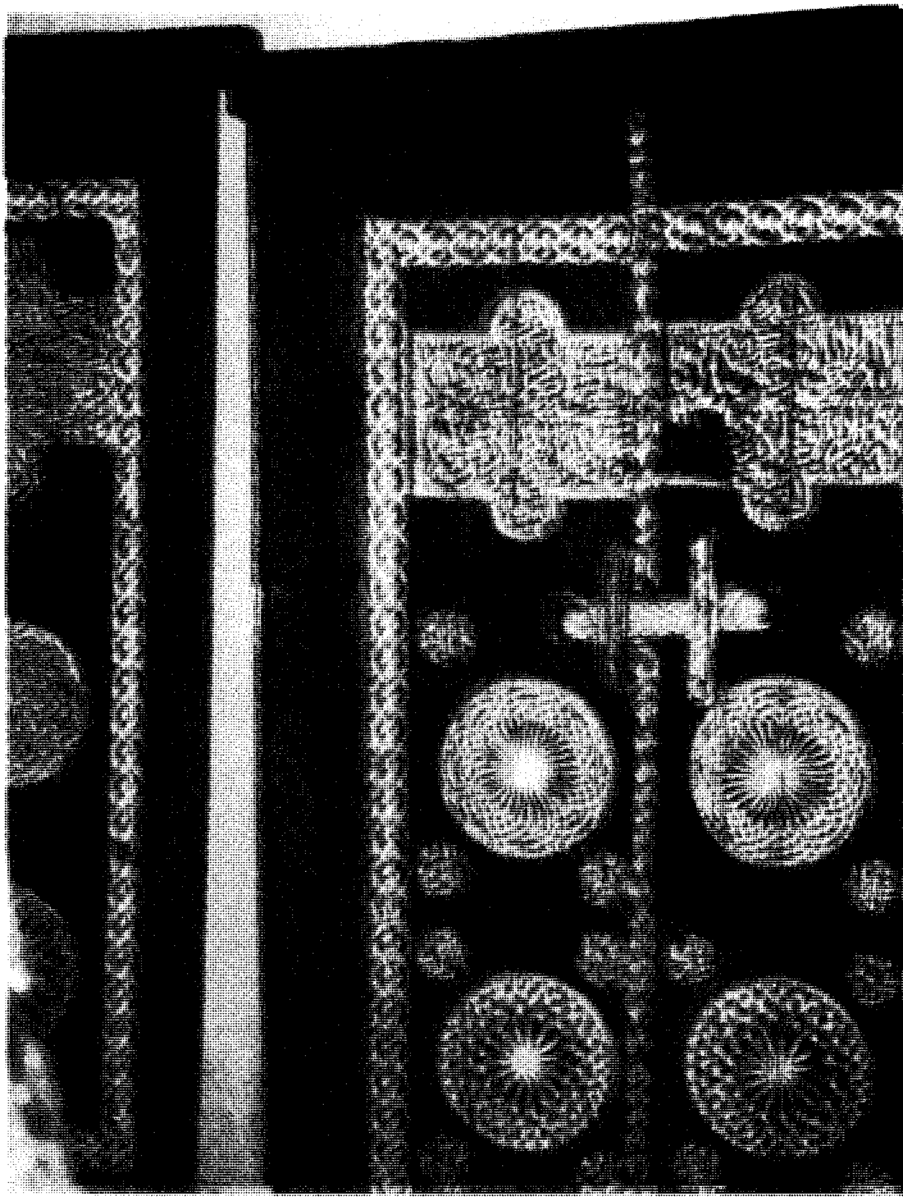
١٢ ـ صياغة الذهب:

تزدهر هذه الصناعة وقت الرخاء، حيث يتفنن الصائغ في صناعته، فيجذب المرأة بريق الذهب، فتتزيّن به من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الذي خصص لزينة المرأة.

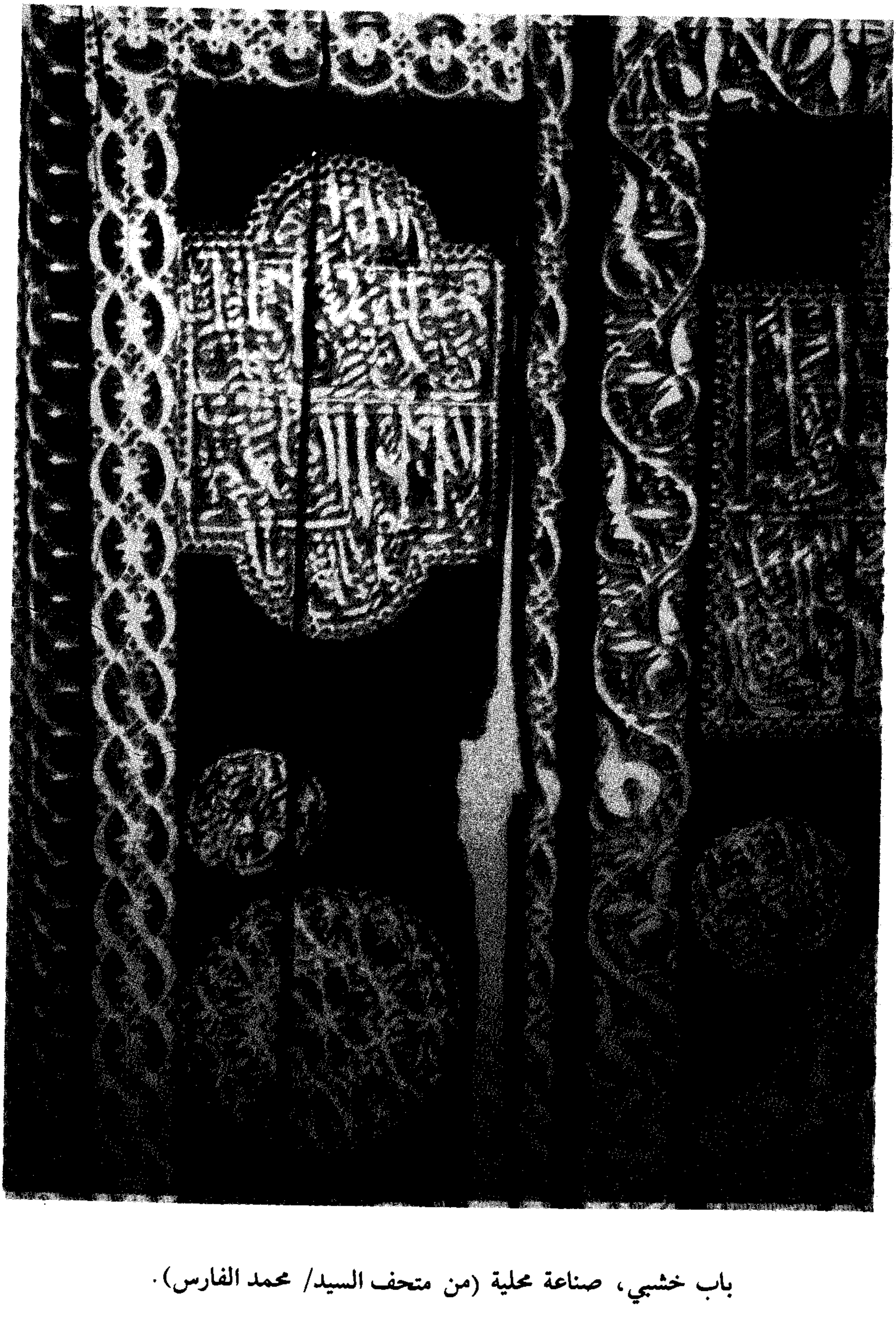
هذه أهم الصناعات التقليدية، التي كانت مزدهرة في القطيف قبل نصف قرن. أمّا الآن فقد اندرس أكثرها، بعد أن تطوّرت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فقد

---

(١) يوجد عدد من الأبواب الأثرية محفوظة بمتحف الصديق/ محمد الفارس بالقطيف التي تحتوي على نقوش وكتابات جميلة.



أبواب خشبية مصنوعة محليًا (من متحف السيد/ محمد الفارس).



باب خشبي، صناعة محلية (من متحف السيد/ محمد الفارس).

كان لحضارة البترول مفعول السحر، فقد أدّى تدفقه إلى ارتفاع مستوى المعيشة وتفتحها على العالم الخارجي، وإلى انقلاب هائل في أوضاع البلاد الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، وإلى نشوء صناعات جديدة متنوعة، وفقًا لمتطلبات التطور ومقتضيات العمران فاندرست صناعة الجص والجذوع وحلّت محلّها صناعة الأسمنت والطابوق والبلاط، كما أن صناعة النسيج والمداد عفى عليها الزمن بعد أن غمرت مصانع الغرب واليابان جميع الأسواق بالأقمشة والزل والبسط وكذلك باقي الصناعات كصناعة الخزف والنحاس والأقفاص والسلال قد قضت عليها هي الأخرى مصانع البلاستيك والألومنيوم والفافون وأثاث الموبيليا، ولم يبق منها سوى القليل كالنجارة والحدادة اللذين سايرا التطور ودخلت في أعمالهما أساليب التقنية الحديثة.

الثروة الحيوانية

توجد في القطيف في الأيام السالفة ثروة حيوانية كبيرة، ولكنها اضمحلت في الوقت الحاضر، بسبب تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ويبرز على رأس القائمة نوعان هما الحمير والبقر، ويشكلان دعامتين أساسيتين في بناء الهيكل الاقتصادي، وعنصرين مهمين في تلبية الإنتاج الزراعي، فالحمير كانت حاجة ملحة لايستغنى عنها، إذ هي الواسطة الوحيدة للنقل والمواصلات، لقدرتها على السير في الطرق الضيقة الزلقة، لذلك لا تخلو منها اصطبلات الملاك والفلاح على السواء، فالملاّك يستعملها للركوب[1]، والفلاّح يستخدمها لنقل محصوله الزراعي، وفي المواسم تتألف فرق عديدة من الحمير لنقل التمور والسلوق والسعف والكرب والسماد تسمى كل واحدة منها (عاملة)، وكانت هناك أيضًا فرقة تعمل بصورة مستمرة على مدار العام، لنقل البضائع من الميناء إلى الأسواق، تسمّى (عاملة السيف) وتتميّز بحميرها القوية التي تستطيع حمل الأثقال الكبيرة.

(١) جرت العادة في ركوب الحمير أن يضع كلتا رجليه على الجانب الأيمن بعد أن يشد عليها العدة، وهي تتألف من ولية وبديدة وكَتَب وبطان، فالولية عبارة عن قطعة من الصوف سميكة ومبطّنة، =

وكذلك تربية البقر التي لاتقل شأنا وأهمية عن الحمير، فهي التي تنتج الحليب والسمن واللبن، حيث يتغذى الفلاح منها ويدفع للملاَّك ما عليه من شروط[1]، ومن روثها الذي يتجمع على مدار العام ويصبح ذا قيمة عينية.. يستخدم في تسميد البساتين، فيدفع الفلاَّح ما عليه من كمية كشرط أساسي من شروط العقد[2]، ويبيع الباقي، حيث يستفيد بثمنه، فمن ثمَّ كان اقتناء البقر يشكل ضرورة ملحة لوضع الفلاَّح.

أما استعمال الخيل فقليل ويقتصر اقتناؤها على الطبقة الارستقراطية، لذلك كان عددها قليلا جدًّا في القطيف، فهذا النوع من المواشي يستخدم دائمًا لقطع المسافات أو للسباق أو للكر والفرّ في الحروب، وأغراضها لاتتوافر في البيئة المحلية، وللسبب نفسه لم تستخدم الإبل في النقل لعدم قدرتها على السير في الطرق الضيقة الزلقة، فهي تلائم البيئة الصحراوية حيث يكثر استخدام هذين النوعين من المواشي عند البدو.

وتربية الأغنام لم تحظ بالاهتمام الكافي لعدم توافر المراعي في الواحة، وحتى تربية الماعز التي تحظى بشيء من الاهتمام للاستفادة من لبنها لم يكن اقتناؤها مرغوبًا فيه، لأنها العدوّ الألد للزراعة، لاسيما إذا تُركت حرة طليقة في النخل، إذ تقضي على الأخضر

= تثنى على ظهرها، ثم تليها البديدة وهي عبارة عن شدتين من ليف مكسوتين بالكتان وموصولتين بحبال لكي يستقر عليها الكَتَب الذي هو عبارة عن قوسين من الخشب مشدودين بقاعدة ثم يشد الجميع بالبطان وهو سير من الجلد أو الصوف أو الكتان أو الليف، عرضه أربع بوصات باستدارة بطنها، حيث يشد شدًّا قويًا. أما ركوب المرأة فيختلف إذ تضع كلتا رجليها على الجانبين وتضعهما في فردتي مرحلة لستر ساقيها ويقود الحمار أحد الخدم، ويوصلها للجهة التي يريدها.

(١) جرت العادة أن تتضمن شروط العقد كمية من الدهن وكمية من الحليب يؤديها الفلاَّح إلى الملاَّك كل عام.

(٢) يشترط الملاَّك على الفلاَّح وضع عدد معين من أوقار السماد والوقر ملء زنبيل كبير من السماد. وبعض القرى كالقديح لها وقر كبير ووقر صغير والوقر الكبير يعادل وقرًا ونصفًا.

واليابس، فمن ثم كان اعتماد البلاد في استهلاكها للحوم على قطعان أغنام البادية، وفي السنوات الأخيرة، حين تطوَّرت الأوضاع المعيشية لم تعد كافية لمتطلبات الاستهلاك، فاعتمدت على الاستيراد من الخارج، ثم أنشئت حظائر خاصة بتربية الأغنام، لتلبية حاجة البلاد من اللحوم.

أما الطيور التي يعتنى بتربيتها، فتوجد منها أنواع كالدجاج والبط والحمام والبلابل والسمّن[1]، وكانت العناية بتربية الدجاج تحظى باهتمام بالغ، حيث يستفاد من لحمها وبيضها، لذلك لا تخلو أغلب البيوت منها، والفلَّاح يجد نفسه مطالبا بتربيتها ليؤدي ما عليه للملاَّك من شروط[2] أما تربية البط فكانت لمجرد الهواية، لعدم استساغة الأهالي أكل لحمها أو بيضها، وتأتي تربية الحمام في قمة الهوايات، وهي أنواع كثيرة، منها الغلياء والمكاوى والياهو. وتأتي بعدها تربية البلابل والسمّن، حيث تخضعان للتدريب على مختلف الألعاب.

أما الحيوانات والطيور التي لا يعتنى بتربيتها، والتي ليست لها أهمية فكثيرة، كالكلاب والقطط وابن آوى وابن عرس والعصفور وحمامة (فابتة) والعقعق والحبارى وغيرها، مما يتوافر وجوده في المناطق شبه الاستوائية أو المعتدلة.

وقد تقلَّصت في الوقت الحاضر تلك الثروة الحيوانية، تبعًا لتطور الأحوال الاقتصادية والعمرانية، فحين شقَّت الطرق وزفتت الشوارع حلَّت السيارات[3] محلَّ الحمير، حتَّى عمَّ استخدامها في النقل والمواصلات، وأصبحت أغلب البيوت لا تخلو

---

(١) السمّن بتشديد الميم واحدته سمّنة وهو من الطيور المهاجرة التي توجد بكثرة في فصل الخريف.

(٢) كان الملاَّكون يشترطون على الفلاَّح عند تأجير النخل بأن يدفع لهم سنويًا عددًا من الفراريج والفروجان يعادلان دجاجة واحدة.

(٣) أوَّل سيَّارة درجت على أرض القطيف سنة ١٣٤٧هـ وقد استوردها من البحرين رجل أمريكي وفي أوائل الستينات الهجرية بدأ استعمال السيارات على نطاق ضيِّق وفي أواسط التسعينات حين ارتفع مستوى المعيشة إبَّان الطفرة الاقتصادية انتشر استعمال السيارات على نطاق واسع.

من سيارة أو أكثـر سواء في المدن والأرياف فتضاءل وجود الحمير، حتى اختفت من الـطرقات وكذلك الأمر في البقر التي أهمل الفلاحون تربيتها، حين اتَّسعت أسباب الـرزق، فآثـروا سكنى البيوت في المـدن والقـرى، وهجروا سكنى النخيل وأعمال الفلاحة. وحتى الكلاب والقطط قلَّت بسبب اصطيادها خلسة حيث يستسيغ أكلها بعض الأجانب من سكَّان الشرق الأقصى، ولولا حظائر الدجاج والغنم والبقر التي أنشئت حديثًا لأصبحت البلاد فقيرة من الثروة الحيوانية.

البتــرول

يعتبر اكتشاف البترول[1] في منطقة القطيف أعظم حدث في تاريخها، فقد نقلها فجأة إلى حضارة القرن العشرين، بعد أن كانت تعيش على هامش الحياة في القرون الوسطى، كما كان له الأثر الكبير على تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية وتحسن الصحة العامة وانتشار التعليم، وقد شاءت العناية الإلهية أن تتداركها بعد أن تهاوت الأعمدة التي يرتكز عليها بناء حياتها الاقتصادية واحدًا تلو الآخر.

لقـد كان بناء هيكلها الاقتصادي سابقًا يقوم على ثلاث دعائم رئيسية هي: التجارة والغوص والزراعة، فانهارت الدعامة الأولى وهي التجارة، منذ أن بدأت تفقد مركـزها الاستراتيجي، كهمزة وصل بين تجارة الشرق والغرب، وذلك بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح[2] ثم فتح قناة السويس[3] حيث تحوَّلت طرق التجارة العالمية عنها إلى غيرها، واقتصرت موانيها على التجارة المحلية للمنطقة، ثم تقلَّصت أخيرًا بعد أن نشأت مدينة الدمَّام، وتمَّ بناء ميناء الملك عبدالعزيز الذي استقطب النشاط التجاري وحركة الاستيراد والتصدير.

---

(١) من الملاحظ أن الذهب الأخضر يغطي سطحها والذهب الأسود يكمن في أعماق أراضيها، كما يتَّضح من الخارطة الجيولوجية لحقول الزيت في المنطقة الشرقية فهي تستقر على بحر من الزيت يمتد من جنوب سيهات حتى شمال صفوى وهو المسمَّى بحقل القطيف.

(٢) يقع في أقاصي أفريقيا الجنوبية، اكتشفه فاسكودي جاما عام ١٤٩٧م.

(٣) تصل البحر الأحمر بالبحر المتوسط، افتتحت سنة ١٨٦٩م.

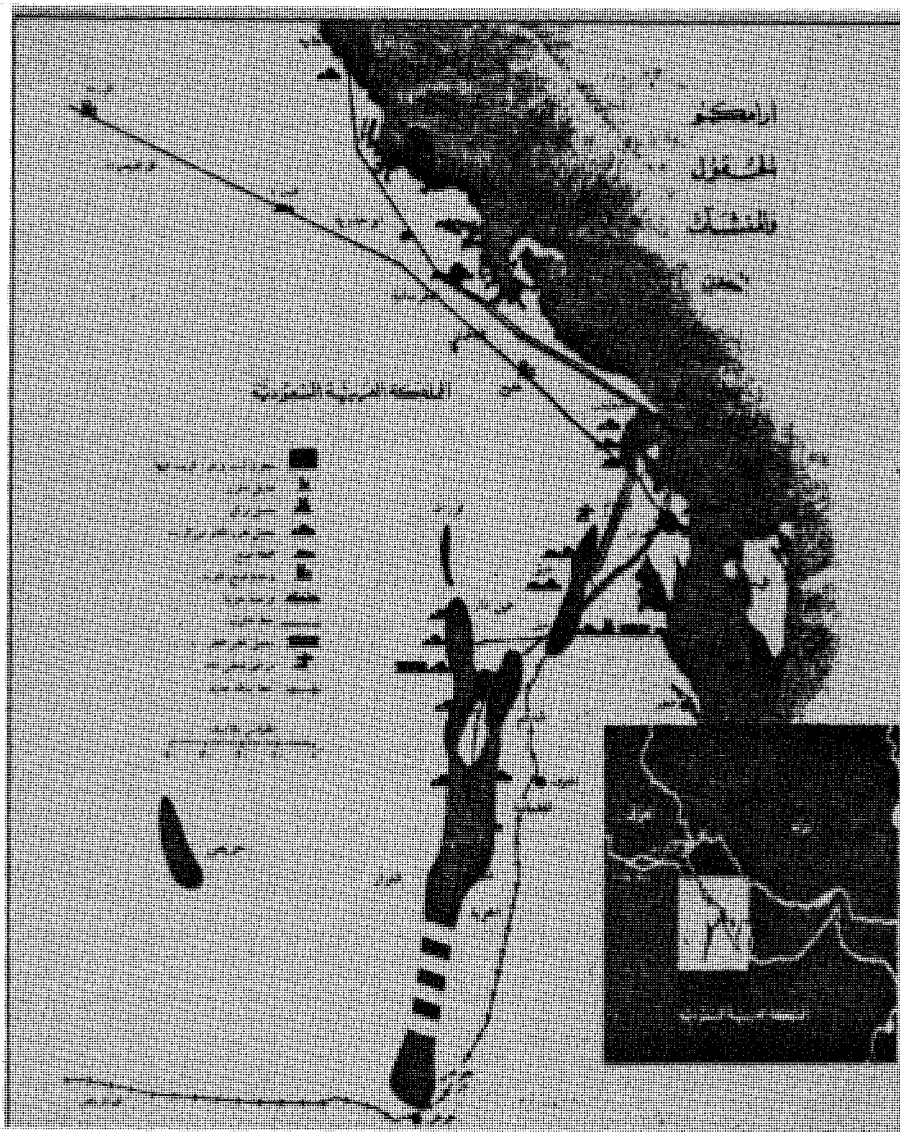
وبعد الحرب العالمية الأولى[1] بدأت الدعامة الثانية، وهي مهنة الغوص تنهار هي الأخرى، منذ أن نجحت زراعة اللؤلؤ الصناعي في اليابان[2]، فأدَّت كثرة إنتاجه إلى هبوط أقيام اللؤلؤ الطبيعي وكساده في الأسواق العالمية، فتضاءلت موارد الغوص التي كانت تدرُّ الملايين على تجّار اللؤلؤ والعاملين في هذه المهنة، حتى أدَّت النتيجة إلى خسائر فادحة للتجار والمولين، وإلى تفشي البطالة في صفوف اليد العاملة فيه وانتهى الأمر إلى العزوف عن هذه المهنة والتحاق أكثريتهم بأعمال صناعة البترول.

وصمدت الزراعة، وهي المورد الثالث بعض الوقت، حتى بعد الحرب العالمية الثانية[3] وكان إنتاج التمور يشكّل أهم مورد اقتصادي للبلاد، حيث كان يصدر منها إلى الهند وبلاد الخليج كميات كبيرة، إلاَّ أنَّها بعد اكتشاف البترول وتحسن مستوى المعيشة عند سكان الخليج بصورة عامة. . تضاءلت أهميتها حتى انتهى بها الأمر إلى العزوف عن استيرادها واستهلاكها، وزاد الطين بلَّة أن تنامي أعمال صناعة البترول أدَّى إلى امتصاص اليد العاملة في الفلاحة، فارتفعت الأجور في الوقت الذي تدهورت فيه أقيام التمـور[4] وأصبحت لا تغطّي تكلفة الإنتاج، بالإضافة إلى نضوب أكثرية العيون القديمة، وأدَّت النتيجة إلى إهمال النخيل ودمار تلك الثروة الزراعية العريقة التي لا تعوَّض.

وإذا كان لاكتشاف البترول إيجابياته، كتوافر فرص العمل ورفع مستوى المعيشة وتطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والصحية والتعليمية فإن له سلبياته، كتدهور الصناعة المحلية والمهن التقليدية وهجر الزراعة وكساد التمور واستنزاف المياه

(١) استمرت من عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨م.
(٢) تجد معلومات عنه في الفصل الخاص بالغوص من هذا الكتاب.
(٣) استمرَّت من عام ١٩٣٩م إلى ١٩٤٥م.
(٤) السعر المتداول في هذه الأيَّام للقلَّة (٣٢ كيلو تمر) خمسة ريالات وهو مستوى السعر بعد الحرب العالمية الثانية بينما أجرة العامل ارتفعت من نصف ريال إلى أن بلغت مائة وخمسين ريالاً هذه الأيَّام.

الجوفية وإنهاء دور المدن القديمة كحواضر رئيسية، ثم ماذا يكون في المستقبل بعد نفاد هذا الكنز؟ هل تعود عجلة التاريخ إلى الوراء ويعود السكّان إلى أعمالهم التقليدية: إلى تجارة بائرة وغوص كاسد وزراعة مصحرة؟ هذا ما يخبّؤه المستقبل إلاّ أن تتداركهم عناية الله.



الفصل الرابع

إسهام ثقافي:

ثقافتها عبر العصور
الكتاتيب
تحصيل العلوم الدينية
التعليم الحديث
التراث الأدبي
الأدب المعاصر
المأثورات الشعبية

ثقافتها عبر العصور

الإسهام الثقافي على توالي العصور في القطيف لم ينشأ من فراغ، ولم يولد في بيئة جاهلة، وإنما قام على دعامة وطيدة من الإلمام بمختلف العلوم والفنون، والتفاعل مع ثقافات كل عصر، ومن ثمَّ نرى هذا الإسهام يتجلى واضحًا في التراث الذي خلَّفه عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء على تعاقب الأجيال والأحقاب.

فالموقع الجغرافي للقطيف، والاتصال بالأمم والشعوب أدَّى إلى تلاقح الثقافات على صعيدها، وإنجاب عدد كبير من العلماء والمفكّرين، كما أن للبيئة الشعرية أعظم الأثر في حشد هذا الزَّخم من الطاقات المتفوقة، فالواحة بينابيعها الثرية وجمالها الطبيعي، بالإضافة إلى التقائها بالبحر من جانب والصحراء من جانب آخر خلق منها البيئة الشعرية الرائعة، التي تفتقت فيها المواهب وتفجَّرت فيها طاقات الإيحاء والإلهام.

وقد كان الجاحظ يعجب من قبيلة بني عبدالقيس حين استوطنت هذه المنطقة، حيث أصبحت أشعر قبيلٍ في العرب، فأنجبت خطباء وشعراء، ولم تكن كذلك حينما كانت تقيم في البادية معدن الفصاحة[1] ولكن أبا عثمان لم يشاهد بأم عينيه هذه المنطقة، ولو عرف السبب لبطل العجب ـ كما يقول المثل العربي ـ ولأدرك السرَّ في عوامل النبوغ وتفتح المواهب.

---

(١) البيان والتبيين، ج١، ص٥٤.

لقد تمازج أهلها قديمًا بمختلف الشعوب، حيث كانوا يقطعون البحار ويجوبون الآفاق، كما تفد إليها الأمم على اختلاف أجناسها، فتلاقحت ثقافتهم مع ثقافتهم فكـان سكانها الفينيقيون الأوائل أوَّل من اخترع الحرف[1] وابتدعوا ترتيب الحروف الأبجدية[2]، التي ترسّمها العرب قديمًا وعرفت عند السريان والنبط والعبرانيين والآراميين.

وقد حفلت كتب القدماء بذكر عدد كبير من العلماء والخطباء والشعراء يفوق العدّ والحصر، ككتـاب المفضليات للمفضـل الضبى المتـوفي سنـة ١٦٨هـ وكتاب الأصمعيات لعبدالملك الأصمعي المتوفى سنة ٢١٤هـ، وكتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢١٤هـ، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ وحمـاسـة أبي تمام وحمـاسـة البحـتري، وكتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني، وكتاب سلافة العصر لابن معصوم، وكتاب الكشكول للبهائي، وكتاب أنوار البدرين للشيخ علي البلادي وغيرها ممن ذكر فيها الكثيرون من علمائها وشعرائها، وحوت نبذًا من تراجمهم وإشارة إلى آثارهم ونخبة من أشعارهم.

الكتاتيب والمنهج القديم في التعليم

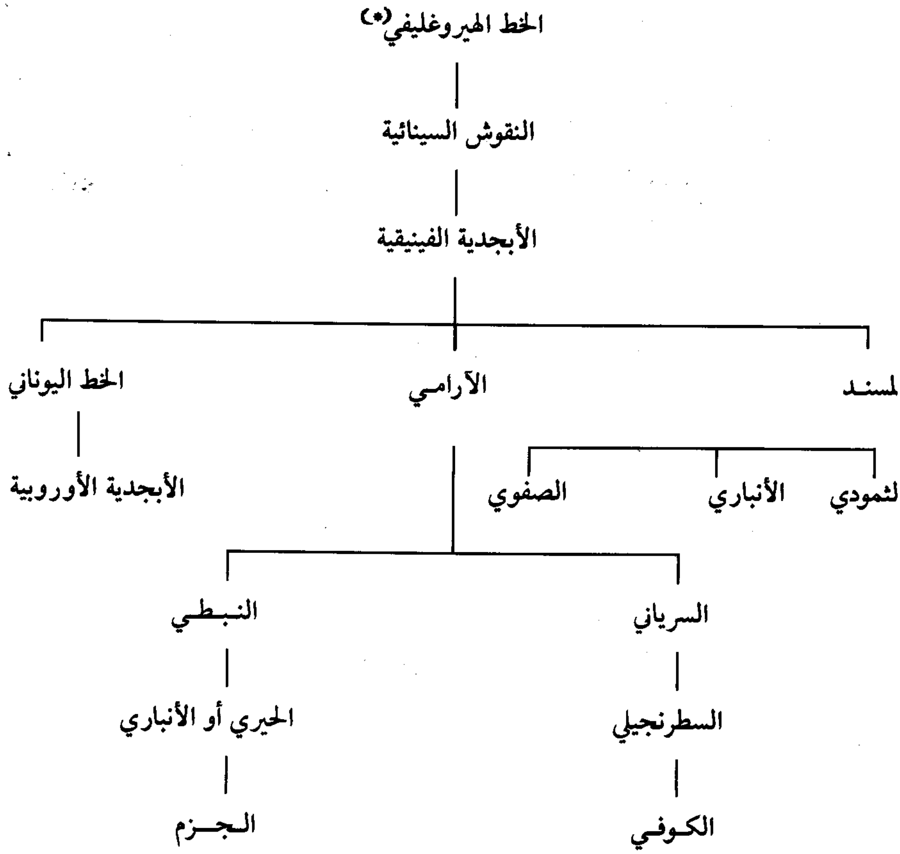
حين نتتبّع نشأة التعليم في المنطقة وبداية فك الحرف، تدلنا على قدمها بعض اللوحات الحجرية الأثرية، التي عثر عليها في أراضيها،بعضها لم تفك طلاسمها بعد، والبعض الآخر يرجع إلى كتابة المسند، وهو الخط الحميري القديم، الذي كان منتشرًا في جنوب جزيرة العرب والخليج[3]. أما خط الجزم، وهو الخط العربي المشتق من القلم

(١) المفصل، ج٨، ص١٤٧.

(٢) وفق النظام المعروف بالأبجدية وترتيبها في هذه الكلمات: أبجد. هوز. حطي. كلمن. سعفص. قرشت. ثخذ. ضظغ.

(٣) المفصل، ج٨، ص ص١٥١-١٥٣.

الألفباء السامية وجذور الخط العربي



(*) على إثر اكتشاف النقوش السينائية عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م ذهب كثير من الباحثين إلى أن الخط الهيروغليفي (أي الكتابة بالرسوم) هي أصل الألفباء السامية وأن تلك النقوش السينائية هي الحلقـة المفقـودة بين الكتـابة بالرسم عند المصريين وبين الكتابة بالرموز عند الفينيقيين التي تفرعت منها الخطوط الأخرى. (الكتابة العربية والسامية، ص١٧).

الآرامي، الذي كان سائدًا في شمال الجزيرة والخليج أيضًا فقد كان معروفًا في المنطقة على نطاق شعبي في العصر الجاهلي، بدليل الكتب المتبادلة بين نبيّ الإسلام ﷺ وبين المنذر بن ساوى أمير البحرين.

وقد سار منهج تعليم الأبجدية، التي ابتدع ترتيبها الفينيقيون وفق النظام المتوارث طيلة تلك العصور، ثم طرأ عليه بعض التغيير بعد دخولها في الإسلام وتطور وفقًا لما فرضته الثقافة الجديدة، التي جاءت مع كتاب الله العزيز، فصار أوَّل ما يتعلمه الطالب تهجئة البسملة(١) ثم معرفة الحروف العربية الثمانية والعشرين(٢) ثم تهجئة الكلمات الأبجدية القديمة(٣)، باستثناء الكلمتين الأخيرتين (ثخذ ضظغ)(٤)، لصعوبة نطقهما على ألسنة الأحداث، فإذا انتهى من هذه المقدمات يشرع في تعلم القرآن الكريم، مبتدءًا بسورة الفاتحة، ثم بآخر سورة من جزء (عمَّ)، ويتدرَّج من قصار السور لسهولة حفظها واحدة بعد الأخرى، حتى سورة البقرة، وهذا الأسلوب متَّبع حتى في مدارسنا الحديثة.

ويتم التعاون بين صاحب الكتَّاب وتلاميذه، فيوكل للمتقدم في التعليم تدريس من هو أقل مستوى منه، فإذا أتقن الطالب درسه تلاه أخيرًا على المعلّم (الملاّ أو الشيخ) وتجاوزه إلى درس آخر، وقد جرت العادة أن يتم تعليم جزء عمَّ عن طريق التهجئة، وباقي الأجزاء بالتلاوة، ويستوي في هذا المنهج البنات والبنين.

وبعد هذه المرحلة يفترق الذكور عن الإناث في التعليم، فالطالب يتعلم الكتابة، بأن يكتب المعلم سطرًا في أعلا الصفحة بالخط النسخي، فيترسَّم الطالب

---

(١) هي (بسم الله الرحمن الرحيم).

(٢) هي وفق الترتيب: ألف باء تاء ثاء جيم حاء خاء دال ذال راء زاى سين شين صاد ضاد طاء ظاء عين غين فاء قاف كاف لام ميم نون هاء واو ياء. وقد وضعها نصر بن عاصم في أيام الحجاج.

(٣) سبق أن ذكرناها والكلمات التي يتعلمونها هي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت.

(٤) ويقال لها الروادف.

خطه، وأحيانًا يملي عليه أبياتًا من الشعر، ليختبره في اتقان الإملاء، وإلى جانب ذلك يعطيه شيئًا من الحساب، كالجمع والطرح والضرب والقسمة وبعد أن ينتهي من هذه المرحلة يعتبر متخرجًا من الكتاب، أما الإناث فيحرمن من تعلم الكتابة، فيتعلمن القراءة غير المشكولة فقط، فيقرأن (الوفاة) المشتملة على سيرة الرسول ﷺ وكتاب المتنحب، للطريحي المسمى (بالفخري) وبهذا الكتاب تنتهي المرحلة الأخيرة من تعليم المرأة، ومن عيوب هذا النظام اعتماده على ذكاء الطالب وقدرته على الاستيعاب في الدرجة الأولى، دون التقيّد بامتحان دوري أو منهج سنوي، فقد يمضي بعض الطلاب سنوات دون تحصيل.

والتعليم القديم في القطيف له تقاليد وأعراف، كانت متبعة فيما مضى، فأول ما يلتحق الطالب بالكتّاب تقام له حفلة، تدار فيها أكواب القهوة الحلوة والمرة والبخور وماء الورد، وينفح جميع الطلاب بشيء من النقود، ويعفون من الحضور عصر ذلك اليوم، ثم تعمل حفلة مماثلة عند وصول الطالب سورة الفاتحة، ومثلها سورة (البينة) وسورة (الجن) وسورة (الرحمن) وسورة (محمد) وسورة (يس) وسورة (مريم) أما عند وصوله لسورة المائدة فتمتاز بالإضافة إلى ذلك بتوزيع اللبن والخبز، وفي نهاية ختم القرآن الكريم بسورة (البقرة) يقام للطالب احتفال رائع، تنحر فيه الذبائح، ويطاف به في أحياء البلدة في جوقة من الطلاب وهم يرددون الأنشودة المعروفة بالتحميدة. ومنها:

الحمـد لله الـذي هدانـا ... للدين والإسـلام واجتبانـا
سبحانـه من خالق سبحانا ... بفضـله علّمنـا القـرآنـا
الحمـد لله الـذي تحمّـدا ... حمدًا كثيـرًا ليس يحصى عددًا
كلّم موسى واصطفى محمدًا ... وأنـزل القـرآن نورًا وهـدى
علّمنـا معلـم ما قصرا ... ردّدنـا في درسـه وكـررا
حتى تعلمنـا الكتـاب الأكبرا ... وصرنـا نقـرأ مثـله كما قرا

وقد جرت العادة أن يعطى المعلم أجرًا كبيرًا عند ختم القرآن الكريم مع كسوة له ولعائلته، بالإضافة إلى تقاضيه مبلغًا من المال في كل رفعة[1]، هذا عدا المربعانيات، وهي مبلغ زهيد يعطى للمعلم عصر الأربعاء في نهاية الأسبوع التعليمي، حيث يعطل الكتّاب يومي الخميس والجمعة، أما في مرحلة تعلّم الكتابة والحساب فيعطى المعلم أجرًا شهريًا.

تحصيل العلوم الدينية

سبق أن قلنا بأن الثقافة لا تنشأ من فراغ، والآثار العلمية والأدبية لا تولد من عدم، وإنما تقوم على أساس وجود علمي، وتنبثق عن تلاقح ثقافي، وهذا ما تثبته المصادر التاريخية، وأهمها كتاب أنوار البدرين، الذي ترجم لثمانية وخمسين عالمًا من علماء القطيف.

وإذا كنّا لا نملك رصيدًا من المعلومات عن كيفية المناهج المتبعة في التحصيل الدراسي خلال الأعصر الخالية، فهي بالطبع تختلف بين عصر وآخر، إلاَّ أنَّ المنهج في دراسة العلوم العقلية والنقلية في الوقت الراهن[2] يترسم في أسلوبه المنهج التقليدي المتبع في النجف، المعروف (بالحوزة)، فبعد أن يكمل الطالب تعليمه في (الكتّاب) وتسمح له ظروفه ليكرس حياته في طلب العلم، يختار له أستاذًا يخصص له وقتًا للدراسة في كل يوم، يقوم الشيخ بتفهيمه الدرس، وفي اليوم التالي يمتحنه فيه وهكذا يستمر في قراءته للكتاب ثم يجتازه لآخر، متنقلاً من علم إلى علم، وقد يقرأ الطالب على عدد من الأساتذة، ويحضر عددًا من الدروس في اليوم الواحد، وهذا عائد إلى جده

---

(١) الرفعة كلمة اصطلاحية تعني إحدى السور التي تقام فيها الحفلات للطلاب وسمِّيت بالرفعة بمعنى ارتفاع الطالب إلى درجة أعلا.

(٢) بعد أن تطوّر التعليم في الأزهر الشريف وأصبح يسير على المنهج الجامعي هبَّ فريق من العلماء الواعين في النجف لتطوير الدراسة التقليدية فأنشأوا كلية الفقه، وقد لقيت معارضة في بادىء الأمر إلاَّ أنَّهم صمدوا فتغلّبوا عليها أخيرًا، حتى أصبح منهجها معترفًا به على الصعيد الرسمي.

ونشاطه وقدرته على الحفظ والاستيعاب. وهذه الطريقة تشبه نظام (الكورس) المتبع في المعاهد الحديثة، ولكن الذي يؤخذ على هذا النهج من التعليم هو عدم الانتماء إلى مؤسسة علمية، يناط بها مراقبة الطلاب في دراستهم وامتحانهم سنويًا، لذلك كان كثير من الطلاب يقضـون السنين والأعوام دون تحصيل، ودون الوصول إلى الغاية.

والكتب المقررة في هذا المنهج هي الأجرومية لابن أجروم وقطر الندى لابن هشام وشرح الألفية لابن مالك والمغني لابن هشام وجميعها تختص بعلم النحو، أما في علم الصرف فيقـرأ كتاب النظام للنيسابوري وكتاب التصريح للرضى، وفي علم المعاني والبيان والبديع كتاب المطول للتفتازاني، وفي العلوم الأخرى كعلم المنطق والفلسفة وعلم الكلام وعلم الأصول وعلم الفقه وعلم الحديث ورجاله وعلم الطب، تدرس الكتب المشهـورة في كل علم مما هو معـروف لدى العلماء[1]، وقد يتوسَّع الطالب في دراسته فيتعمَّق في قراءة كتب أخرى معروفة.

وبعـد أن ينتهي الـطالب من هذه المـرحلة لم يبق أمـامـه إلَّا حضور البحث الخـارجي، حيث يتحلَّق الطلاب حول العلماء المجتهدين، فيلقي الشيخ المحاضر عليهم بعض المحاضرات، أو يثير مشكلة فقهية أو أصولية، وهنا تدور المناقشة حول كيفية الاستدلال والبرهنة العلمية عن طريق المحاورة، فإذا أحسَّ الأستاذ المحاضر في بعض تلاميذه قدرة على استنبـاط الأحكـام الشرعية من الأدلـة العقلية أو النقلية واستيعابه لجوانب الموضوع منحه شهادة الاجتهاد، وتارة يقدم الطالب بحثًا في بعض المسائل الفقهية، فإذا وجد الأستاذ في الطالب ملكة وقدرة على الفهم والاستنباط بعد المناقشة منحه تلك الإجازة وهي في حدِّ ذاتها تشبه إجازة الدكتوراه في الجامعات.

علمًا بأن الاختبار التلقائي في منح الشهادة أصحّ من تقويم الرسالة التي يقدمها الطالب، والتي قد يكون فيها انتحال وتلفيق وسرقة لآراء الغير، وهذا كثيرًا ما يحدث،

---

(١) من الكتب التي تقرأ في علمي الحساب والهيئة كتاب خلاصة الحساب وكتاب تشريح الأفلاك وكلاهما للبهائي.

حتى في الاختبار الجامعي[1]، فإذا كان هذا الأمر يحصل أمام لجنة جامعية من الأساتذة الاختصاصيين فكيف إذا جاءت الشهادة عن طريق الانطباعات الفردية؟

وقد شهدت القطيف حركة علمية نشيطة في أوائل القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر الهجريين، وزخرت بالعلماء وطلاب العلم، فقد حفلت بمدارس دينية عديدة تخرج منها عدد من الفضلاء، كمدرسة الشيخ علي البلادي البحراني، التي التحق بها كثير من الفضلاء، الذين هاجروا إلى النجف وتابعوا دراستهم حتى بلغوا رتبة الاجتهاد، كالشيخ حسن علي البدر والشيخ عبدالله المعتوق والشيخ محمد بن نمر والسيد ماجد العوامي (١٢٧٩-١٣٦٧هـ)، وبعض هؤلاء اقتفى نهج أستاذه كالشيخ محمد بن نمر، الذي أنشأ مدرستين في العوامية والدبابية، وحبس عليهما بعض الأوقاف، وكالشيخ عبدالله المعتوق الذي أنشأ مدرسة علمية في جزيرة تاروت، هذا إلى جانب الحلقات الدراسية المنتشرة بين طلاب العلم، فلكل شيخ شلَّة من التلاميذ، يتلقون الدراسة عنه، وهو في الوقت نفسه يتابع دراسته لدى من هو أعلى مستوى منه. وقد مضت فترة على القطيف كانت فيها حافلة بكوكبة من العلماء والمجتهدين والأفاضل، الذين أثروا الحركة العلمية والفكرية والأدبية.

التعليم الحديث

١ - تعليم الذكور:

كل شيء جديد على ما تواضع عليه الناس، لا بدَّ أن يلقى معارضة في أول الأمر، ولو بعض الوقت، حتى يكون مألوفًا فيستسيغه الرأي العام وتتقبله النفوس، وهذا ما حدث حينما أزمعت الدولة عام ١٣٥٧هـ على افتتاح مدرسة ابتدائية في القلعة بالقطيف، حيث عيَّنت لها مديرًا حجازيًّا يسمى الأستاذ رضوان، فاستعان بمعلمين من الأهالي وكانت المواد التي تدرَّس فيها لا تتعدَّى مبادىء القراءة والكتابة والحساب

(١) حدث بالفعل أن عمد أحد الطلاب الجامعيين في أمريكا إلى رسالة جامعية فانتحلها لنفسه وحصل على شهادة الدكتوراه ولكن أمره افتضح أخيراً.

وتعليم القرآن الكريم، وهي لا تختلف عن الكتاتيب إلَّا أن موادها كانت تعطى بشكل منظَّم، فكان الإقبال عليها ضعيفًا لما علق في أذهان الجمهور بأن المدرسة مفسدة، وبالرغم من انصراف الناس عنها، إلَّا أنَّها صمدت فترة قصيرة، ثم توقفت إذ عجزت مديرية المالية عن دفع الرواتب، فاستقال مديرها رضوان، والتحق بشركة أرامكو، في حين استقل بإدارتها مساعده ملا علي بن أحمد الغانم، ثم حوَّلها إلى (كتَّاب)، وانتقل به إلى منزله.

أما الخطوات الجديدة في التعليم الحكومي، فقد بدأت منذ عام ١٣٦٧هـ، حيث أسست مدرسة ابتدائية في مدينة القطيف، بالقرب من ساحل البحر، وعيَّنت الأستاذ عبدالله المبارك[1] مديرًا لها، وإلى جانبه بعض الأساتذة، منهم الكاتب المعروف الأستاذ عبدالله أحمد شباط، وبالرغم من قلة مواردها إلَّا أنَّ مديرها بذل جهدًا مشكورًا في تطويرها ورفع مستواها، فاستقطب خيرة شباب القطيف الواعي لمؤازرته، وطلب منهم تكوين جمعية خيرية لمساعدة الطالب، فتألَّفت (جمعية تشجيع الطلاب) وكان من بين أعضائها كاتب هذه السطور، وكانت مهمتها جمع التبرعات من المحسنين لإنفاقها على احتياجات الطلاب، من الملابس الضرورية والأدوات المدرسية وقد قامت اللجنة بدور نشيط وفعَّال، فاستأجرت مقرًّا لها، وافتتحت مدرسة ليلية لمكافحة الأمية، وأسَّست مكتبة عامة، وأخذت على عاتقها جمع التبرعات وتنظيم الاحتفالات التي تقيمها المدرسة في المناسبات ولكن هذه اللجنة لم يكتب لها البقاء طويلاً، إذ شلَّت أعمالها على إثر انشقاق محلي بين الأهالي، أدَّى إلى تدخُّل السلطة وحلِّ اللجنة أخيراً.

ثم توالى افتتاح المدارس واحدة بعد الأخرى، فكانت المدرسة الثانية حيث تم افتتاحها في دارين عام ١٣٦٨هـ، والثالثة في تاروت عام ١٣٧٣هـ، ثم ما فتئت المدارس أن انتشرت في أرجاء البلاد، ومن ابتدائية إلى متوسطة ثم ثانوية حتى بلغ عددها عام

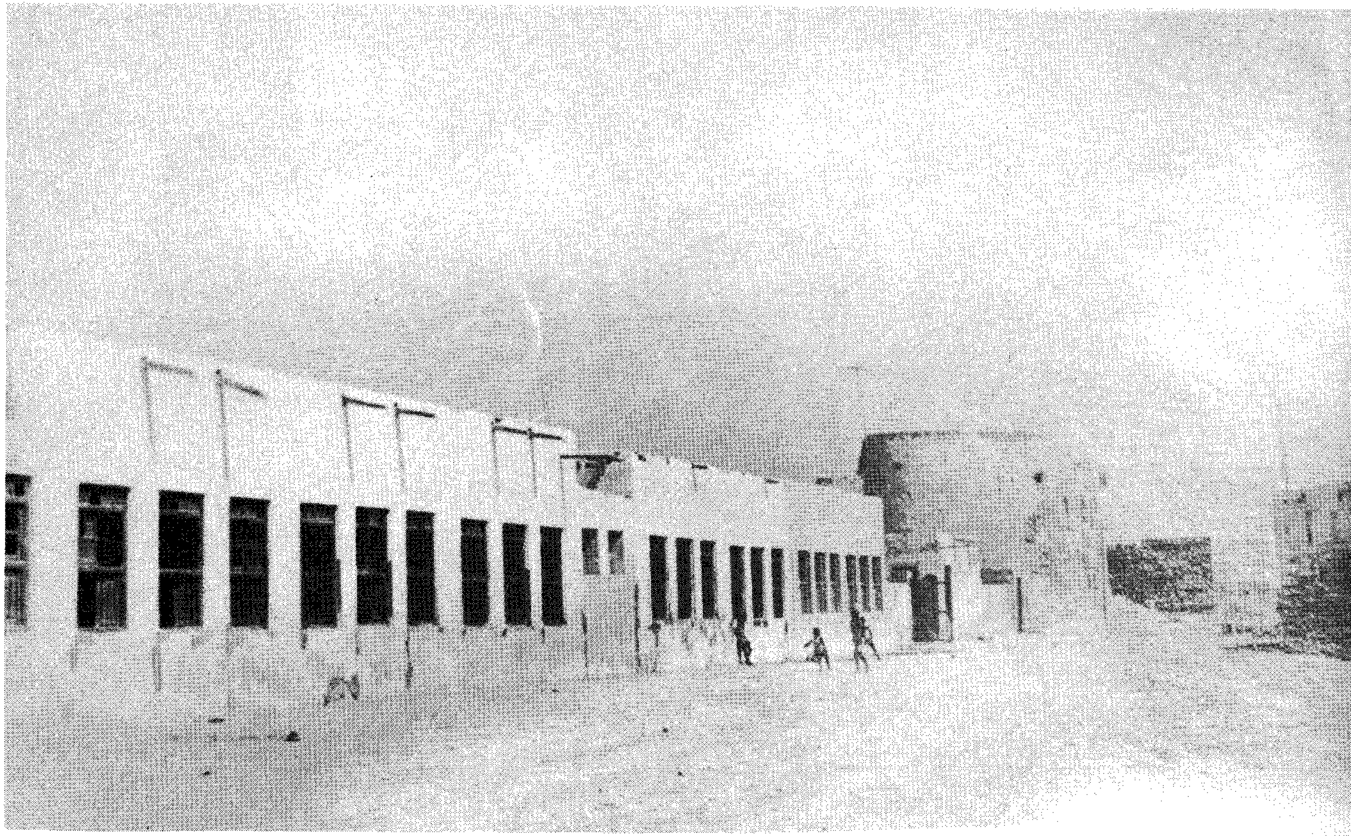
(١) هو الدكتور عبدالله المبارك، وقد واصل دراسته فيما بعد، فحصل على درجة الماجستير ثم الدكتوراه، وهو الآن يعمل أستاذًا للأدب الحديث بجامعة الملك سعود بالرياض.

١٤٠٣/١٤٠٢هـ ثمانين مدرسة، وهي خاصة بالبنين، منها ٥١ مدرسة ابتدائية و٢٢ متـوسـطة و٧ مدارس ثانوية ويشرف على هذه المدارس مركز التوجيه التربوي التابع لوزارة المعارف، وهناك نحو ٢٠ روضة للأطفال تابعة للجمعيات الخيرية ولجنة التنمية التابعة لمركز الخدمة الاجتماعية، هذا بالإضافة إلى معهد النور بمدينة القطيف الذي يضم ٢٨ طالبًا ومعهد التدريب الصناعي وثانوية تجارية ومعهد للتمريض بصفوى ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم.

٢ ـ تعليـم البنـات:

أما تعليم البنات، فالبرغم من الإعراض عنه من بعض فئات المجتمع لاعتقادهم بأن التعليم المـدرسي يؤدي إلى انحراف المرأة خلقيًا، إلاَّ أنَّ الجمهور بصفة عامة تفهمً فائدة التعليم، لا سيما بعد أن رأى الشباب المتعلم يقبل على الزواج من المتعلمات من الخارج ويعرض عن الاقتران من بنات الوطن، فتنادى الآباء إلى ضرورة تعليم المرأة فتأسست أول مدرسة ابتدائية أهلية في القطيف عام ١٣٧٩هـ واستمرَّت عامين، ثم سلِّمت لمندوبية تعليم البنات حينما قامت بخطوات جدِّية لتعليم المرأة.

وقد قامت المندوبية فيما بعد بافتتاح المدارس في أرجاء البلاد، حتى بلغ عدد المدارس ١٣٠ مدرسة عام ١٤٠٣/١٤٠٢هـ منها ٦٤ مدرسة ابتدائية و٢٣ متوسطة و١١ ثانوية و٣٠ مدرسة لمحو الأمية ومعهد صحِّي للفتيات لتخريج الممرضات ومركز تدريب على الخياطة والتفصيل، وتقوم مدارس البنين والبنات بجملة نشاطات من بينها النشاط الديني والثقافي والاجتماعي والصحي والفني حيث تعقد الندوات والمسابقات وتلقى محاضرات التوعية والتدريب على الإسعافات الأولية وإقامة المعارض وإصدار المجلاَّت الحائطية، كما تعنى بتنظيم الاحتفالات في المناسبات الرسمية كيوم الشجرة واليوم العالمي لمحو الأمية والمشاركة في الاحتفالات الختامية التي يقيمها مكتب التوجيه التربوي.



أول مدرسة ابتدائية افتتحت بالقطيف عام ١٣٦٧هـ.

التـــراث الأدبـــي

الحـديث عن الـتراث الأدبي خلال العصر الجاهلي والعصور الإسلامية حتى القرن الخامس الهجري، يكاد يكون قاسمًا مشتركًا بين بلدان الخليج قاطبة، فقبائل ربيعة، ومن بينهم عبدالقيس وبكر بن وائل وتميم لاتختص بهم مدينة دون أخرى، حيث إن جميع أفخاذهم انتشرت في هذه المنطقة، وكلُّ ما نستطيعه هو أن نتبين من هي القبيلة التي ذكـرهـا المؤرخـون، واختصَّت بسكنـاها مدينة معيَّنة، ومن خلال تلك النصوص نستطيع أن ننسب أي شاعر إلى موطن معينٍّ على وجه التقريب.

فالمؤرخون يذكرون أن قبائل بني عبدالقيس حين تم لها إجلاء قبيلة إياد من بلاد البحرين، انتشرت فروعها في مناطقها، فنزلت بنو حفص صفوى وبنو نكرة بن لكيز القطيف وما حولها والشفار والظهران إلى الرمل وما بين قطر وبينونة، وبنو جذيمة بن عوف منطقة الخط وأفناءها، ونزلت شن بن أُفصى طرفها وأدناها إلى العراق، ونزلت بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن وديعة والعمور وبنو محارب بن عمرو وعجل بن عمرو منطقة الجوف والعيون والأحساء[1].

وأمامنا مجموعة من الشعراء المشهورين، منهم من ينتسب إلى قبيلة عبدالقيس كالمثقب العبدي والممزق والعبدي وثعلبة بن عمرو العبدي والمفضل بن معشر، ويرجع نسب هؤلاء إلى نكرة بن لكيز من سكان القطيف، وكذلك الأعور الشني ومنقذ بن هلال الشني، وكلاهما ينتسبان إلى شن بن أفصى القاطنين بأطراف القطيف كما ينسب عيسى بن فاتك الخطي إلى بكر بن وائل وهو من سكان مدينة الخط إلَّا أنَّ الغالبية العظمى يصعب علينا أن ننسبهم إلى مدينة معيَّنة سواء كانوا من بكر بن وائل كطرفة بن العبد والمتلمس وابن قميئة والمرقش الأكبر والمرقش الأصغر وسعد بن مالك ونهار بن توسعة والمسيب بن علس، أو كانوا من بني عبدالقيس كنوفل بن مرة العبدي والصلتان

---

(١) معجم ما استعجم، ج١، ص٨١.

العبدي وخُلَيْدُ عينين ومالك بن عروة وحريث بن الزبرقان والمفضل وعصيه والمخضع والحصين وجدل بن أشمط وزياد الأعجم وأمامة بن ربيعة وثعلبة بن حزن وربيعة بن توبة وهرم بن حيان وعمرو بن هبيرة وأبو الجويرية وعمرو بن مبردة وعبدالأعلى الصامت والجارود بن المنذر ومحمد بن أبي شامة وأنس بن مساحق ومعارك بن مرة ويزيد بن حداق ومسعود بن سلامة وزياد الأعجم ومويلك بن قابس وشنة بن عمرو والنعمان بن حنظلة وعمرو بن مرة وعطارد بن حاجب وعمرو بن أوس ومقاتل بن مسعود وسلمة بن حبابة وصابىء البرجمي ومحمد بن ثمامة العبدي ويحيى بن بلال العبدي وكعب بن جابر العبدي ومحمد بن أسلم بن مذحور العبدي وغيرهم ممن يتجاوزون الأربعين عدًّا، وكلهم من بني عبدالقيس، ممن تحفل بأشعارهم المفضليات والأصمعيات وحماسة أبي تمام وحماسة البحتري وطبقات الشعراء ومعجم الأدباء وغيرها فهؤلاء وغيرهم لا يمكننا أن ننسبهم إلى مدينة معيَّنة من بلاد الخليج إلاّ ما ندر.

وكما يقال في الشعر كذلك الأمر يقال بالنسبة للنثر، فقد اشتهر في هذه المنطقة رجال عرفوا بالبيان والفصاحة في الأدب الجاهلي، ومن بين القبائل التي تميَّزت بالفصاحة قبيلة إياد، التي برز منها الخطيب المشهور قس بن ساعدة الإيادي(١)، أمَّا

(١) من خطبه التي ألقاها في سوق عكاظ، وقد سمعها الرسول ﷺ «أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج ونجوم تزهر، وبحار تزخر وجبال مرساة وأرض مدحاة وأنهار مجراة، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا يا معشر إياد أين الآباء والأجداد، وأين الفراعنة الشداد، ألم يكونوا أكثر منكم مالاً وأطول آجالاً، طحنهم الدهر بكلكله ومزَّقهم بتطاوله. ثم أنشد:

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر

بعد إن وطأت أقدام بني عبدالقيس هذه المنطقة فقد برز منها خطباء عظام كالجارود بن المعلى العبدي وصعصعة بن صوحان العبدي وصحار بن عياش وزيد بن صوحان العبدي وشيخان بن صوحان ومصقلة بن رقبة بن مصقلة وكرب بن رقبة والحكيم بن جبلة العبدي وغيرهم، وكان الجاحظ يعجب من تفوقهم في الشعر والخطابة حين استوطنوا بلاد الخليج ولم يكونوا كذلك حينما كانوا في سرة البادية معدن الفصاحة[1].

ومنذ بداية القرن الخامس الهجري تستبين الخطوط بوضوح في نسبة كل شاعر إلى مسقط رأسه بحيث لا يتطرق إليه الشك في نسبته إلى مدينة معينة بحكم انتسابه إليها، كالشاعر مهذب الدين القطيفي الملقب بأسير الهوى، الذي عاش في القرن الخامس الهجري، والشاعر أحمد بن منصور القطان القطيفي المتوفى سنة ٤٨٠هـ، وكالسكوني العبدي والحسن بن ثابت العبدي، اللذين ترجم لهما العماد الأصبهاني في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر[2] وهما من شعراء القطيف وقد عاشا في القرن السادس الهجري في عهد الدولة العيونية وكالشاعر جعفر بن محمد الخطي المولود في التوبى إحدى قرى القطيف وهو من شعراء القرن العاشر الهجري وقد توفي سنة ١٠٢٨هـ. ونعتقد أن هناك كثيرين من شعراء القطيف أغفل ذكرهم التاريخ، فبلد أنجب العديد من الشعراء في العصر الجاهلي وما بعده، ثم في القرن الثاني عشر وما بعده كيف يصبح عقيمًا خلال عشرة قرون، فلا يبرز سوى عدد قليل من الشعراء الذين لا يتجاوزون عدد أصابع اليد، وأعتقد أنّ لاضطراب الأوضاع السياسية والاجتماعية في تلك العهود دورًا كبيرًا في ضياع تلك المخلفات الثقافية وطمس أعلام الأدب والفكر.

ففي القرن الثاني عشر الهجري وما بعده نراها تزخر بالعديد من الشعراء أشهرهم عبدالحسين أبو ذيب (١١٥١هـ) ويوسف أبو ذيب (١١٦٠هـ) وحسن

(١) البيان والتبيين، ج١، ص٥٤.

(٢) تكملة خريدة وجريدة العصر، ص ص٨٥١ ـ ٨٦٧

التاروتي (١٢٥٠هـ) وعلي حبيب التاروتي (١٢٥٠هـ) ومحمد بن سلطان (١٢٥١هـ) وعبدالمحسن الملهوف (١٢٦٠هـ) والسيد محمد الفلفل (١٢٦٠هـ) وعبدالعزيز الجشي (١٢٧٠هـ) وعبدالله الذهبة (١٢٧٧هـ) والشيخ علي عبدالجبار (١٢٨٧هـ) وأحمد بن نصر الله (١٣٠٦هـ) والشيخ أحمد بن طعان (١٣١٥هـ) والشيخ محمد الزهيري (١٣٢٩هـ) والشيخ حسن علي البدر (١٣٣٤هـ) والشيخ علي القديحي (١٣٤٠هـ)، ويلاحظ من الناحية الموضوعية أن إنتاجهم يغلب عليه طابع الوعظ والإرشاد، ويكاد ينحصر في مدائح ومراثي أهل البيت، ومن الناحية الشكلية يخضع للنهج التقليدي في القصيدة الكلاسيكية، من الاستهلال بالغزل المصطنع، والتغني بالرسوم والأطلال، وحشره بالمواعظ والحكم والحث على الزهد في الدنيا، ثم التخلص إلى الغرض الذي قيلت فيه، كما يغلب على نثرهم طابع السجع المتكلف حتى في عناوين كتبهم ومؤلفاتهم، وهو الطابع العام للنثر السائد في الأقطار العربية في ذلك العهد.

وحتى الفئة المعاصرة، التي لم يكتب لها التبلور بالشعر الحديث مازالت تسير على النهج التقليدي، الذي أسلفنا الحديث عنه، وهو ما نراه واضحا في شعر الجيل السابق، كالشيخ علي الجشي (١٣٧٦هـ) والشيخ علي أبو المكارم (١٣٦٤هـ) والحاج منصور الجشي (١٣٦٠هـ) والحاج سليمان المسلم (١٣٦٠هـ) والشيخ فرج العمران (١٣٩٨هـ) والشيخ ميرزا حسين البريكي[1] والشيخ علي المرهون[2] وملا عبدالله الخباز(١٣٦٢هـ) وملا علي بن رمضان[3] وملا عبدالمحسن بن نصر وأحمد الكوفي[4]

(١) هو الخطيب المفوه أستاذ الجيل (١٣٢٦ ـ ١٣٩٦هـ) وهو شاعر مقل وله من الآثار المخطوطة (مذكرات الخطيب) وكتيب في الحب.

(٢) ولد سنة ١٣٣٤هـ تلقى علومه في القطيف والنجف، له من المؤلفات المطبوعة (لقمان الحكيم) و(قصص القرآن) وديوان (المرهونيات) و(شعراء القطيف) وهو في جزئين وهذا الكتاب يغرى بعنوانه فإذا تصفحه القارىء لم يجد فيه غير قصائد في مديح ورثاء أهل البيت لشعراء جلهم نظامون ولايستحقون أن يحسبوا على الشعراء إلاّ القليل منهم.

(٣) (١٣١٤هـ ـ) له ديوان مطبوع بعنوان (وحي الشعور) ومنظومة (ماضي القطيف وحاضرها) وعليها شرح للمرحوم الشيخ فرج العمران.

(٤) ولد سنة ١٣٢٤هـ ونشأ عصاميًا إذ حرمته ظروفه المادية من التعليم في بادىء الأمر ثم تداركه=

وملا عبدالكريم بن حمود وملا محمد علي بن ناصر[1] وغيرهم، وأغلب تلك الأغراض الشعرية التي تطرقوا إليها في شعرهم تدور حول المناسبات الدينية، وإذا تجاوزوها فإلى المناسبات الاجتماعية كالإخوانيات والتهاني والتعازي والمدح والرثاء.

الأدب المعاصر

التراث الثقافي من علم وأدب هو القاعدة العريضة التي قامت عليها النهضة الأدبية الحديثة، قبل أن تعرف البلاد التعليم الحديث، وتوجد المدارس والجامعات. هذا بالإضافة إلى البيئة الشعرية الموجودة في أرجاء الواحة وانتشار المنتديات العامة والخاصة[2] ووجود المكتبات الأهلية، والاطلاع على الشعر الحديث، كل تلك ساعدت على تفتح الكفاءات الموهوبة ونمو حركة التحديث.

ويأتي الجيل الطالع وهو مزود بالأدوات الأساسية من معرفة بقواعد اللغة العربية وإلمام شامل بأدب التراث وقابلية للانفتاح الفكري على الحركة المستجدة في الوطن العربي، والتي تسنى له الاطلاع عليها عن طريق ما ينشر في الصحف والمجلات وما تلفظه المطابع من كتب ودواوين شعر فيتأثر بالحداثة، وينطلق وراء التجديد، وينتج أدبًا جديدًا ما فتئت كبريات الصحف والمجلّات أن فتحت صدرها لاستقباله، ونشره بين صفحاتها، كالأديب والآداب والألواح والعرفان والكتاب وغيرها.

ومسيرة التجديد لشعراء القطيف تبدأ في الثلاثينات والأربعينات الميلادية بالاطلاع في بادىء الأمر على إنتاج رواد النهضة الحديثة في مصر كشوقي وحافظ ورامي والبارودي الذين يمثلون دور الإحياء للشعر العربي، ثم على إنتاج شعراء العراق

= في سن متأخرة وتفتقت موهبته فأصبح شاعرًا مطبوعًا يشار إليه بالبنان.

(١) ولد عام ١٣٦٢هـ، له ثلاثة دواوين مخطوطة وكتاب مخطوط في تاريخ القديح.

(٢) المنتديات الخاصة هي مجالس الديوانيات التي تنعقد بين الأصدقاء. والمنتديات العامة هي التي تقام في الحسينيات في المناسبات الدينية والاجتماعية.

كالزهاوي والرصافي والجواهري في مدرستهم الواقعية وأسلوبهم الخطابي ثم على الشعر اللبناني والسوري، الذي يجسده في ذلك الحين بشارة الخوري والحوماني وأبو ريشة وبدوي الجبل ونزار قباني في أسلوبهم الغنائي وشعرهم المهموس، ثم ينتهي بهم المطاف بمدرسة أبولو[1] التي يمثلها علي محمود طه وأبو القاسم الشابي وإبراهيم ناجي والهمشري ومحمود حسن إسماعيل، في نزعتها الرومانسية، في التغني بجمال الطبيعة والتحرر من الخطابية، وأخيراً بمدرسة المهجر الأمريكي[2] التي كان يقودها جبران ونعيمة وأبو ماضي والقروي والمعلوف، والتي تنزع إلى التأمل وفلسفة الحياة، ولاينكر أن محاولاتهم كانت في بادىء الأمر تنزع إلى المحاكاة والتقليد، فتجد فيها بصمات من شعر شوقي وعلي محمود طه والشابي وبشارة الخوري والجواهري والحوماني وأبو ماضي وأبو ريشة وجبران، ولكنهم بعد محاولات جادة استطاع أغلبهم أن يشق طريقه إلى استقلال الشخصية، فتتلقف الأوساط الأدبية إنتاجه وتحتفي به وتقيم حوله الدراسات الأدبية والأكاديمية.

ويعتبر الشيخ عبدالحميد الخطي[3] أوَّل رائد للتجديد من شعراء القطيف، فقد بدأ يكتب الشعر الحديث في منتصف الثلاثينات، وما لبث أن هاجر إلى النجف بعد فترة قصيرة، ثم جاء بعده الرعيل الأوَّل في أوائل الأربعينات الميلادية، وكان للشاعر

(١) تأسست جماعة أبولو سنة ١٩٣٢م وأوَّل ما تعرَّفوا على إنتاجها عن طريق سلسلة كتاب (الروائع).

(٢) تكوَّنت الرابطة القلمية في المهجر الأمريكي عام ١٩٢٠م وأوَّل اطلاعهم على إنتاج هذه المدرسة كان عن طريق كتاب (بلاغة العرب في القرن العشرين).

(٣) هو الأستاذ فضيلة الشيخ عبدالحميد الشيخ علي الخنيزي ولد سنة ١٣٣١هـ وتلقَّى مبادىء دراسته في القطيف ثم هاجر إلى النجف فأكمل علومه وعاد إلى مسقط رأسه وعيِّن قاضيًا للأوقاف والمواريث منذ عام ١٣٩٤هـ ولايزال وهو أديب متضلِّع وكاتب وشاعر، له آثار مخطوطة منها ديوان (وحي القطيف) وديوان (اللحن الحزين) و(وحي الثلاثين) و(من كل حقل زهرة) وهو مجموعة رباعيات و(معركة النور مع الظلام) و(خاطرات الخطى) وهما يضمان مجموعة مقالات متنوعة.

خالـد الفرج[1] دور بارز في إذكاء الجذوة الأدبية بحكم إقامته الطويلة في القطيف، واحتكاكه مباشرة بالجيل الطالع فكانت له معهم مشاركات في المناسبات الاجتماعية، وقـد تمخَّضت هذه الحركة عن بروز الطليعة الأولى ممثَّلة في عبدالله الجشي[2] ومحمد سعيد الجشي[3] ومحمد سعيد الخنيزي[4] وعبدالواحد الخنيزي[5] وكاتب هذه السطور، الذين ظهروا في الساحة الأدبية خلال الأربعينات من هذا القرن[6].

وهذا الجيل متأثِّر بالمذهب الرومانسي إلى حدٍّ بعيد في أغلب إنتاجه الشعري، وملتـزم بالوزن العمودي، باستثناء مؤلف هذا الكتاب في بعض ما كتبه على طريقة الشعـر الحر، أما الجيل التالي فقد سار بعضهم على الاتجاه نفسه والطريقة نفسها،

(١) ولد بالكويت عام ١٣١٦هـ ثم نزح إلى الهند وعمل في إحدى المطابع ثم غادرها إلى البحرين وانتهى به المطاف إلى المملكة العربية السعودية، حيث أقام في القطيف قرابة ثلاثين عامًا، تولَّى فيها رئاسة بلدية القطيف ثم هاجر إلى دمشق وتوفي بها سنة ١٣٧٤هـ أسَّس المطبعة السعودية بالدمَّام وله من المؤلفات المطبوعة ملحمة (أحسن القصص) و(علاج الأمية في تبسيط الحروف العربية) وديوان شعر في جزئين.

(٢) هو الأستاذ عبدالرسول الشيخ علي الجشي ولد سنة ١٣٤٤هـ وتلقى تعليمه وثقافته بالنجف ثم عاد إلى وطنه وشارك في الحياة الأدبية ثم هاجر أخيرًا إلى العراق. له دراسات تاريخية ودواوين شعر مخطوطة.

(٣) ولد سنة ١٣٣٨هـ وتلقَّى تعليمه في القطيف وكان شاعرًا مجليًا لاسيما في المناسبات الوطنية. له من الآثار المخطوطة ديوان الأنغام، و(في محراب الذكرى).

(٤) ولد سنة ١٣٤٣هـ وتلقَّى تعليمه بالقطيف وهو شاعر وجداني صدر له ثلاثة دواوين شعرية (النغم الجريح) و(شيء اسمه الحب) و(شمس بلا أفق).

(٥) ولد سنة ١٣٤٥هـ وتوفي سنة ١٤٠١هـ وهو شاعر غزلي مقل صدر له ديوان (رسمت قلبي).

(٦) يعود الفضل في قدح زند الشعر لشعراء الرعيل الأول إلى مجموعة شعرية وافى بها المؤلف ذات يوم صديقـه الشاعر محمد سعيد الخنيزي والمرحوم عبدالواحد الخنيزي، وكانا يدرسان عنده قواعد اللغة العربية، فتحفَّزا إلى قول الشعر، وكانت منافسة عارمة، ومالبثوا أن انضمَّ إليهم الشاعر محمد سعيد الجشي وغيره من أدباء القطيف وتكوَّنت رابطة أدبية أشبه ما تكون برابطة القلم في المهجـر الأمريكي، التي وصفها ميخائيل نعيمة، فكانت ندواتهم تعقد أسبوعيًا في منازلهم بصفة دورية، ويوافى كل منهم بإنتاجه الجديد الأسبوعي، وقد أنتجت هذه الحركة أدبًا جديدًا خلال الأربعينات الميلادية، ما لبثت أن دوى صداها في أرجاء الوطن العربي.

كعبّاس الخزام[1] وعبدالوهاب المجمر[2] والسيد عدنان العوامي[3] والسيد حسن أبو الرحي[4] ومحمد سعيد البريكي[5] ومحمد الشماسي[6] والبعض الآخر كتب حيناً على منوال الشعر العمودي وحيناً على طريقة الشعر الحر كحسن السبع[7] وغيره ممن خلصوا إلى كتابة الشعر الحر كعمر الشيخ[8] ونهاد الجشي[9] والدكتور أحمد الشويخات[10] الذي عمد إلى إغراق شعره بالسريالية كما في قصائده (الغزالة لا تغترف الماء) و(القلادة) و(مسائل أخرى) وهناك شعراء آخرون لم يتيسَّر لنا الاطلاع على آثارهم، نرجوا أن ننوِّه عنهم في المستقبل.

---

(١) ولد سنة ١٣٥٢هـ زاول التدريس أولاً ثم الصحافة صدر له كتاب (كيف ينظم الشعر) و(نماذج من الشعر الجاهلي) وديوان (الجريح الصامد) سنة ١٣٨٠هـ.

(٢) ولد سنة ١٣٥٨هـ وتوفي عام ١٤٠٦هـ في حادث حريق أودى بحياته وحياة عائلته وأتى على آثاره الأدبية منها ديوانه (ربيع الشباب) و(قبس الإشراق) وينوي صديقه الشاعر عدنان العوامي جمع ما تبقى من شعره ونشره في ديوان بعنوان (بقايا الرماد).

(٣) ولد سنة ١٣٥٤هـ بالتوبى، زاول الكتابة أولاً ثم الشعر الذي ظهرت موهبته فيه وهو شاعر مطبوع له ديوان مخطوط أسماه (من شاطىء اليباب).

(٤) ولد سنة ١٣٦٦هـ بالقديح، مارس كتابة القصة والنقد وله شعر جيِّد.

(٥) ولد سنة ١٣٦١هـ ويحمل شهادة الماجستير، وهو يكتب الشعر بالعربية والإنجليزية.

(٦) ولد سنة ١٣٦٠هـ ويحمل شهادة الماجستير، يكتب الشعر والمقالة الأدبية.

(٧) ولد سنة ١٣٦٥هـ بسيهات ويحمل شهادة الماجستير، مارس كتابة المقالة والقصة وهو شاعر مطبوع يكتب الشعر العمودي والشعر الحر.

(٨) ولد سنة ١٣٧٥هـ بالقديح، وهو من كتّاب الشعر الحر صدر له ديوان (متى تأتي) عام ١٩٨٥م.

(٩) هي ابنة الشاعر محمد سعيد الجشي وهي بالإضافة إلى كونها طبيبة فهي تكتب الشعر على طريقة الشعر الحر.

(١٠) ولد سنة ١٣٧٥هـ بسيهات وتابع تعليمه العالي حتى حصل على الدكتوراه وهو أستاذ بجامعة الملك فيصل له ممارسات أدبية ونقدية وبحوث علمية ويكتب الشعر الحر.

هذا من ناحية الشعر، أمَّا التجديد في الكتابة فباستثناء الأستاذ سلمان الصفواني[1] والمرحوم محمد حسن بن نمر[2] اللذين تفتَّحت مواهبهما في العراق إبَّان الحرب العالمية الأولى وامتهنا الصحافة فكانت في القطيف محاولات مبكرة لاتتعدَّى كتابة المقالات في المناسبات، كان يمارسها علي أبو السعود وعبدالله إخوان وحسن الشيخ علي الخنيزي وغيرهم ما لبثت أن تطوَّرت إلى المقالة الصحفية والنقدية والبحوث والدراسات وظهرت في الصحف بأقلام الجيل الجديد أمثال الشيخ عبدالحميد الخطي وعبدالرسول الجشي وعبدالله الخنيزي والسيد علي العوامي والسيد حسن العوامي وعلي سلمان الصفواني وعباس خزام ومهدي السويدان وكاتب هذه السطور ثم تلاهم الجيل الطالع فبرز منه أمثال محمد رضا نصر الله وحسن علي الزاير وأحمد الشمر وعمر الشيخ وعدنان العوامي والسيد حسن أبو الرحي وحسن السبع والدكتور الشويخات وعبدالله السالومي وسعود الفرج وفؤاد نصر الله وعبدالله حسن منصور العبدالمحسن وعلي إبراهيم الدرورة وسعود الزيتون وعبدالله الدبيسي وغسان الخنيزي إلى غيرهم من كتَّاب المقالة الاستطلاعية والنقدية والبحوث العلمية والأدبية.

وقد تمخَّضت هذه الأقلام عن ظهور مؤلَّفات اتَّخذت سبيلها إلى دور النشر والطباعة فكان منها الدراسة التاريخية حيث صدر كتاب للمؤلف بعنوان (ساحل الذهب الأسود) عام ١٩٦٢م وقد طبع مرارًا في بيروت وكتاب (من تراث جزيرة

(١) هو المجاهد الكبير الأستاذ سلمان الصفواني ولد بصفوى سنة ١٨٩٩م وتلقَّى مبادىء تعليمه فيها ثم ابتعثه والده إلى النجف ليصبح رجل دين ولكن الحرب العالمية الأولى غيَّرت مسيرة حياته فانخرط في صفوف المجاهدين من العلماء الذين قاوموا الاحتلال البريطاني للعراق وحين قضى الإنجليز على الثورة تتبعوا رؤوس المقاومة ففرَّ الأستاذ سلمان الذي حكم عليه بالإعدام فالتجأ إلى قبيلة آل إبراهيم بالمشخاب فحمته ثم صدر العفو عنه وألقى عصا الترحال في بغداد وأصدر عددًا من الصحف أهمها جريدة (اليقظة) العراقية، وفي عام ١٩٦٥م تسلم عبدالرحمن عارف رئاسة الجمهورية وعيَّن وزيرًا للدولة، ثم أحيل على التقاعد ـ وتوفي سنة ١٩٨٨م، صدر له كتاب (محكوميتي) وله مؤلَّفات أخرى.

(٢) ولد بالعوامية من أسرة آل نمر التي تنتمي إلى آل عفيصان من نجد وحياته تشاكل حياة الأستاذ سلمان الصفواني غير أنَّه فرَّ إلى حيِّ القطافة فحموه وعمل في الصحافة وأصدر بعض الصحف وله بعض المؤلفات القصصية المطبوعة.

تاروت) لعبدالله حسن عبدالمحسن، ومنها الدراسات الأدبية ككتاب (القطيف وأضواء على شعرها المعاصر) لعبدالعلي آل سيف وكتاب (نماذج من الشعر الجاهلي) لعباس خزام، كما نجد فيها دراسة السير الشخصية ككتاب (أبو طالب) و(ذكرى الإمام الخنيزي) و(ذكرى الزعيم الخنيزي) وجميعها لعبدالله الخنيزي وكتاب (طرفة بن العبد) لعبد العلي آل سيف، ومن كتب الدراسات الاجتماعية كتاب (الألعاب الشعبية) لعبدالله حسن آل عبدالمحسن، وكتيب بعنوان (الضائعون) للسيد/ حسن العوامي. وفي مجال القصَّة (شروق في وجه الأسفلت) وهو مجموعة قصص لعبدالله حسن السالومي. هذا بالإضافة إلى دواوين الشعر الحديثة حيث صدر ديوان (شفق الأحلام) للمؤلف عام ١٩٥٥م وديوان (النغم الجريح) سنة ١٩٦١م، وديوان (شيء اسمه الحب) سنة ١٩٧٦م وديوان (شمس بلا أفق) وجميعها لمحمد سعيد الخنيزي وديوان (رسمت قلبي) سنة ١٩٧٣م لعبدالواحد الخنيزي وديوان (الجريح الصامد) عام ١٣٨٠هـ لعبَّاس خزام وديوان (متى تأتي) لعمر الشيخ، وهو من الشعر الحر وقد طبع عام ١٩٨٥م. وأعتقد أنَّ هناك كتبًا ودواوين مطبوعة لم يتيسَّر لنا الاطلاع عليها أو السَّماع بها حتى كتابة هذه السطور.

هذا بالإضافة إلى الكتب والدواوين التي مازالت قابعة في أدراج مكاتب أصحابها، ولم تطبع حتى الآن، فعسى أن ترى النور في المستقبل القريب. كما توجد أيضًا رسائل جامعية علمية قيِّمة لحملة شهادة الماجستير والدكتوراه، مازالت غير مترجمة[1] ونرجو أن تنقل إلى اللغة العربية مستقبلاً، لتضاعف من الثقل النوعي لحركة التأليف.

---

(١) من بينها رسالة علمية قيِّمة تقع في ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير لشقيقي عبدالواحد المسلم تحت عنوان:

IMPECT OF OIL DESCOVERY ON SOCIAL CHANGE IN THE EASTERN RPOVINCE IN SAUDI ARABIA.

أي تأثير اكتشاف النفط على التحولات الاجتماعية في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية.

المأثورات الشعبية
الشعر النبطي - الغناء والموسيقى

ظاهرة الاحتفاء بالمأثورات الشعبية حديثة العهد، وهي من جملة اهتمامات هذا العصر، التي عرفت (بالفولكلور) ومعناه كما تقول معاجم اللغة (عادات الشعب وتقاليده وحكاياته وأقواله المأثورة وفنونه) وكلمة (فولكلور FOLKOLORE) تشمل أيضًا جميع الفنون الشعبية من شعر وغناء وموسيقى، وكل مأثور شعبي تختص به بيئة محلية في قطر معين.

وقد حفلت كتب التراث العربية بومضات من هذا اللون، كما نجدها في ثنايا كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وكتب المسعودي ومقدمة ابن خلدون وكتاب المستطرف للابشيهي، إلاَّ أنَّ تعميق هذا الاتجاه جاءنا عن طريق الحضارة الغربية الراهنة، التي أرادت - عن قصد - تركيز النزعة الانفصالية في الوطن العربي وتفتيت الوحدة الثقافية، فقامت ببثٍّ سمومها في دعاياتها المغرضة بالترويج للتراث الشعبي وإبراز اللهجة المحكية كلغة حيَّة، والطعن في اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة ميِّتة، كاللغة اللاتينية سواء بسواء.

ولكن هذه الدعاية المغرضة ما لبثت أن قبرت في مهدها، وانحسر ظلّها عن الأعين، بفضل كتاب الله العزيز وانتشار التعليم ويقظة الوعي، وبقيت اللغة العربية الفصحى صامدة كالجبل الأشم على توالي الأجيال، وأصبح الاحتفاء بالأدب الشعبي ظاهرة من مظاهر التراث المحلي، لايحتل سوى زاوية صغيرة من اهتمامات المثقفين المتخصصين.

ويجدر بنا ونحن نتناول كل شيء عن واحة القطيف أن نلم إلمامة خاطفة - في ختام حديثنا - بالمأثورات الشعبية، التي لم نتحدَّث عنها سابقًا، وهي الشعر الشعبي والغناء والموسيقى.

١ - الشعر النبطي أو الشعبي:

يعتبر هذا اللون وهو نظم الشعر باللهجة الدارجة ظاهرة مرضية لا صحية، حدثت نتيجة تفشي الأمية بين أفراد المجتمع والجهل بقواعد اللغة العربية، لذلك تحاشى مزاولته المثقفون في كل جيل بوجه عام، واقتصر نظمه في الأغلب على الأميين لذلك لم يعن أحد بتسجيله، وأعرضت المدونات عن رصد آثاره، فلم يكتب له البقاء فيما مضى.

والشعر الشعبي في حدِّ ذاته من ناحية المضمون أصدق تعبير من الشعر التقليدي، الذي يفتقر في أكثره إلى المعاناة الوجدانية والتجربة الشعورية، المنبثقة من بيئة الشاعر وواقعه، فلا نجد في الشعر الشعبي عندنا أثرًا للهيام بالدّمن والأطلال والغزل المصطنع كما نراه في الشعر التقليدي، بل نراه منبعثًا من المعاناة الوجدانية، حيث يعبِّر بتلقائية وبساطة عن هموم المجتمع، ويجسد آماله وتطلعاته وأفراحه وأتراحه وهذا ما نجده واضحًا في مواويل الغوّاصين وأغاني الأعراس وأناشيد الأفراح والأتراح.

والأمثلة على ذلك كثيرة كقول الغواص مودعًا أهله، وهذا المقطع من وزن المواليا[1].

وادعتكم بالسلامة يا ملا عيني ... وخلافكم ما غمض جفني على عيني

وادعتكم بالوعد ياما جنت عيني ... كل العرب هودت وأنا شجي الروح

يا نور عيني كثر ما أرعاك يا عيني

وقول جابر بن رحمة، وهو من بحر الرمل:

قلنا ما قلنا المدى طوَّف مداه ... ردّ عكسا بعد ما سوَّى العنيف

ضاقت عليَّ أرضه مع سماه ... ضيق قرقور على طير النتيف

---

(١) نشأ المواليا على إثر نكبة البرامكة في عهد الرشيد العباسي، ويسمَّى محليًّا بالموال الزهيري نسبة إلى ملاجاد الزهيري، وهو سباعي الأشطر، تبدأ ثلاثة منه بقافية واحدة، ويليه ثلاثة أشطر بقافية أخرى ثم يختتم الشطر السابع بالقافية الأولى نفسها.

ويلاحظ من ناحية الوزن العروضي أن الشعر الشعبي يرجع إمَّا إلى أوزان الخليل أو إلى الأوزان المستحدثة، التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته والسيد أحمد الهاشمي في كتابه (ميزان الذهب)، كالزجل والمواليا وكان كان والقوما، أو البُديَّة العراقية، ثم ما لبث الشعر الشعبي أن تطوَّر أخيرًا، وتأثَّر بمدرسة الشعر الحر كما نجده في شعر علي المصطفى، الذي صدر له عدد من الدواوين باللهجة الدارجة، كقوله من ديوان (رجع نجمك قمر ساطح).

غطّي عن عيون الشمس كل الجراح
غطّيها بأفراح الأمل لا بالنواح
وصيري لها أقوى رياح
وصيري لها أقوى سلاح
واستقبلي مثل العصافير الصباح
وقولي إلى الليل المخيف
حضنك أبد ماله ارتياح
آخر كتاباتي إلى عيونك سطور
متروسة فرحة... فيها إحساس وشعور
من وسط قلبي.. قلب عاشق
شوفتك يلقاها نور
تترس طريقه بالحان الطيور

***

٢ - الغناء والموسيقى:

في كل بلد خليجي ومنها القطيف، يوجد قاسم مشترك في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، ومن بينها الفنون الشعبية، كالغناء والموسيقى، فهي تكاد تكون نسخة طبق الأصل في جميع بلدانه، ونجد الآلات الموسيقية وفنون الغناء كالصوت والسامري والفجري والمجيلسي والعاشوري والغادري والليوه والعرضة والنهمة هي نفسها معروفة

في الأوساط الشعبية الخليجية كما نجد كثيراً من الأغاني بالكلمات والأداء نفسه تتردَّد على الألسن في كل مكان في مناسباتها كالأغنية المشهورة:

يا معـــيرس عين الله تراك   الـقـمــر ولـنجــوم تمشي وراك

وكذلك هذه الأغنية:

الــشــومــلي يا الـشــومــلي[1]   نــارك ولا جـنــة هـلــى

وهذه الأغنية:

ضاع الــديك من دوّره دوره   وعـــطني عرعــره[2]

ويعتـبر فن الصـوت من أبـرز الفنون الغنائية، ويحتل مكانة مهمة في مجالس الطرب والسمر، ويقال إن أحد الحضارمة نقله إلى البحرين ثم انتشر في الخليج، وهو نوعان: المروبع والشامي، ويستخدم معه العود والمراويس والدنبق ويصاحبه كورس، ومن أشهر الأشعار التي يغنى بها فن الصوت:

يا من هواه أعــزَّه وأذلَّــني   كيف السبيل إلى وصالك دلَّني؟
واصلتني حتى ملكت حشاشتي   ورجعت من بعد الوصال هجرتني

ومنهـا:

ألا يا صبـا نجـد متى هجت من نجد   فقـد زادني مسراك وجدا على وجد
رعى الله من نجد أناسًا أحبهم   فلو نقضـوا عهدي حفظت لهم ودِّي

أما السامري المنسوب إلى الشاعر محمد بن لعبون فيغنَّى به في مجالس الطرب والسمر وهم جلوس، ويستخدم فيه الطارات والطبول، ويعتبر فن الفجرى والنهمة من

---

(١) الشوملي: إسم ربان سفينة (نوخذة) بالبحرين.
(٢) هذه الأغنيات الثلاث أحياها الفنانون الكويتيون بعد أن أدخلوا عليها تحسينات من حيث الأداء والموسيقى.

الفنون البحرية، إلَّا أنَّ الأول يؤدَّى أيضًا في حفلات الأعراس والأسمار، وهو من حيث الألحان والإيقاعات أنواع منها الفجري البحري والحدادي والحساوي والمخولفي والحجازي والعدساني، ويستخدم معه الطبول والطارات والمراويس، ويؤدي جلوسًا أو وقوفًا، ويأتي فنّ الخماري في قائمة الفنون المشهورة في المنطقة، والذي يغني به الرجال والنساء، ويستخدم معه طبلان وعدد من الطارات يصاحبه رقصة خاصة للنساء توافق النغمة الإيقاعية للطارات، حيث تميل المرأة يمنةً ويسرةً، وإلى الأمام وإلى الخلف ممسكةً بطرف الثوب الذي ترتديه من جهة اليمين وتارةً من جهة الشمال.

ويشبه فن المجيلسي فن السامري مع اختلاف في اللحن، أما فن العاشوري المعروف فيؤدى في مناسبات الأعراس وقوفًا، وكذلك فن الغادري وإن اختلف عنه في أداء الصوت، ويتميَّز برقصة خاصَّة إذ يقف عدد من الأشخاص في صفَّين متقابلين يحملون عصيًّا، ويحركونها يمينًا وشمالاً، بحيث تكون الحركة متَّفقة وعند التقابل يتراجعون إلى الخلف إلى مكان وقوفهم، وهو يشبه فنّ العرضة المعروفة إلى حدٍّ كبير. أمَّا فنّ الطنبورة والليوة الإفريقي الأصل فتستخدم في الأول آلة الطنبورة وطبل أو طبلان يصاحبه المنجور، كما يتميَّز فنّ الليوة باستخدام آلات خاصَّة، منها طبل طويل يسمح للواقف أن يضرب عليه يسمى (سقنقا) وطبل آخر يسمَّى (مساندو) وطبول من تنك تسمَّى (بوتو) وآلة نفخ تسمَّى (الصرناي).

والآلات الموسيقية المستخدمة إمَّا وترية كالعود والربابة والسمسمية والطنبور، وإمَّا نفخيَّة كالمزمار والصرناي، أو طرقية، كالطار[1] والطبل[2] والمرواس[3] والغرشة والطوس والمنجور[4].

---

(١) وهو الدف وهو عبارة عن طوق عريض من الخشب له وجه واحد من جلد الغنم يحمَّى على النَّار فيتقلص ثم يضرب بالكف فيحدث نغمًا.
(٢) وهو كالدف اسطواني الشكل مجوف مغطى من الجانبين بجلد سميك من جلد البقر مشدود ويضرب عليه بعصى.
(٣) هو الطبل نفسه إلَّا أنَّه أصغر حجمًا ويوقع عليه الضارب بالكف والنقر بالأصابع.
(٤) من أصل أفريقي ويتكون من حزام من قماش معلَّق به أضلاف الغنم ويشدّ بالوسط وأثناء الرقص يحدث صوتًا.

هذا موجز لفنون الغناء والموسيقى الشعبية[1].ومن الجدير بالذكر أن مزاولة هذه الفنون كانت سابقًا تحاط بنظرة ازورار من أغلب فئات المجتمع باعتبارها من أصناف اللهو، ويتعفف عن سماعها المتدينون والمحافظون ويتحاشون إقامة حفلات من هذا النـوع في مناسبات أفراحهم كالزواج وغيره إلاَّ أنَّ تطور الحياة الاجتماعية، وتعميق النظرة إلى الفن بعد انتشار الأجهزة السماعية كالراديو والتليفزيون والفيديو قلب وجهة هذه النـظرة، وأصبحت هذه الفنون ينظر إليها بنظرة اعتزاز كتراث شعبي، وهو ما تهدف إليه جمعيات الثقافة والفنون التابعة للرئاسة العامة لرعاية الشباب التي أخذت على عاتقها رعاية الفنون الشعبية واستقطاب أصحاب الفرق وضمهم كأعضاء في تلك الجمعيات وتشجيع تلك الفنون وحفظها من الاندثار.

---

(١) راجع مجلة قافلة الزيت العدد السادس والعدد السابع من المجلد الثلاثين.

المصادر والمراجع

١ - الآثار في البحرين، ترجمة صفية دويغر، إبريل ١٩٧١م.

٢ - أدب الكاتب لابن قتيبة، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، مصر.

٣ - أدباء الخليج العربي، عبدالله شباط، منشورات الدار الوطنية الجديدة، مطبعة الفرزدق، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٤ - الأجناس والشعوب، وليم بويد وإسحاق ازيموف، ترجمة إبراهيم عبود، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر، دمشق، ١٩٦٠م.

٥ - أخبار الزمان، للمسعودي، الطبعة الرابعة، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م.

٦ - الاستعمار في الخليج العربي، د. صلاح العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية، منشورات الألف كتاب، رقم (١٢١).

٧ - الأعلام، خيرالدين الزركلي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

٨ - الأمالي، لأبي على إسماعيل القالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٩ - أنوار البدرين، للشيخ علي البلادي البحراني، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

١٠ - البحرين عبر التاريخ، عبدالله الخليفة وعبدالملك الحمر، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١١ - البداية والنهاية، لابن كثير، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٥م.

١٢ - البيان والتبيين، لأبي عثمان الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣ ـ تاج العروس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، دار الأندلس، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٥هـ.
١٤ ـ تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، الطبعة الرابعة، منشورات الأعلمي، بيروت، ١٩٨٣م.
١٥ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، مطبعة التفيض، بغداد، ١٩٥١م.
١٦ ـ تاريخ الدول، للقرماني الدمشقي، طبعة حجرية، عام ١٢٨٢هـ.
١٧ ـ تاريخ الشرق الأدنى القديم، د. محمد أبو المحاسن عصفور، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.
١٨ ـ تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.
١٩ ـ تاريخ آداب العرب، محمد مصطفى صادق الرافعي.
٢٠ ـ تاريخ الكويت، حسين خزعل.
٢١ ـ تاريخ أوروبا في العصر الحديث، هـ. أ. ل فيشر، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة.
٢٢ ـ تاريخ نجد، سنت جون فلبي، تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت.
٢٣ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٣٦م.
٢٤ ـ تاريخ بعض الحوادث في نجد، إبراهيم صالح بن عيسى، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٦هـ.
٢٥ ـ تاريخ شرق الجزيرة العربية، أحمد مصطفى أبو حاكمة، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٦ ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، الطبعة الثامنة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦١م.
٢٧ ـ تاريخ الشيعة، الشيخ محمد حسين المظفر، الطبعة الأولى، النجف.
٢٨ ـ تحفة الأنظار، ابن بطوطة، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ١٩٣٨م.
٢٩ ـ تحفة المستفيد، الشيخ محمد عبدالله العبدالقادر الأنصاري، الطبعة الأولى، مطابع الرياض، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

٣٠ ـ تحفة الألباء في تاريخ الأحساء، سليمان الدخيل، بغداد، مطبعة الرياض، ١٣٣١هـ.
٣١ ـ التحفة النبهانية، الشيخ محمد خليفة النبهاني، الطبعة الثانية، المطبعة المحمودية، القاهرة، ١٣٤٢هـ.
٣٢ ـ التنبيه والأشرف، للمسعودي، تصحيح عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
٣٣ ـ جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٣٨م.
٣٤ ـ الجزيرة العربية، حافظ وهبة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٧هـ، الطبعة الرابعة.
٣٥ ـ الخليج العربي، قدري فلعجي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٥م.
٣٦ ـ الخليج العربي، ارنولد ولسن (مترجم).
٣٧ ـ الخليج العربي، حضارة وتاريخ، للمؤلف، مخطوط.
٣٨ ـ حول العالم، أنيس منصور، القاهرة.
٣٩ ـ دليل الخليج العربي، ج. ج لوريمر، إعداد قسم الترجمة بمكتب أمير قطر، الطبعة الثانية، الدوحة، قطر.
٤٠ ـ دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٤١ ـ ديوان الحماسة، لأبي تمام، شرح التبريزي، دار القلم، بيروت.
٤٢ ـ ديوان ابن المقرب، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، القاهرة، ١٩٦٣م.
٤٣ ـ روضة الأفكار والأفهام، الشيخ حسين بن غنام، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٠٣هـ.
٤٤ ـ ساحل الذهب الأسود، للمؤلف، الطبعة الثالثة، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٤٥ ـ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عالم الكتب، بيروت.

٤٦ ـ شعـراء نجـد المعاصرون، عبدالله بن إدريس، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٠هـ.
٤٧ ـ شعراء القطيف، الشيخ علي المرهون، الطبعة الأولى، النجف، ١٩٨٥م.
٤٨ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد القلقشندي.
٤٩ ـ صفة جزيرة العرب، للهمداني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٣م.

٥٠ ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٥١ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت.
٥٢ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٧م.
٥٣ ـ عمان والساحل المتصالح، إعداد شعبة البحث، أرامكو.
٥٤ ـ عقد الدرر، إبراهيم بن صالح بن عيسى، المطابع الوطنية، الرياض.
٥٥ ـ العقـد الفـريد، لابن عبد ربه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.
٥٦ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، المطبعة اليوسفية.
٥٧ ـ فتوح البلدان، للبلاذري، مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٥٨ ـ قصـة الحضـارة، وول ديورانت، ترجمـة زكي نجيب محمود، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م.
٥٩ ـ القاموس المحيط، الفيروز أبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٦٠ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٦١ ـ الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد المبرد، مكتبة المعارف، بيروت.
٦٢ ـ الكتـابـة العـربية السـامية، د. رمـزي بعلبكي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م.
٦٣ ـ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، لبنان.

٦٤ ـ مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، دار القلم، بيروت.
٦٥ ـ محاضرات في تاريخ شرق الجزيرة العربية، د. أحمد مصطفى أبو حاكمة، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، ١٩٦٨م.
٦٦ ـ مروج الذهب، للمسعودي، الطبعة الرابعة، دار الأندلس، لبنان، ١٤٠١هـ.
٦٧ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، محمد بن صالح الصغاني، دار السيرة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٦٨ ـ مجمع البحرين، فخرالدين الطريحي، تحقيق أحمد الحسيني، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٦٩ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
٧٠ ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، مطبعة دار المأمون، ١٩٣٨م.
٧١ ـ المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، للشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة، مطبعة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٧٢ ـ معجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، تحقيق مصطفى السقا، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٧٣ ـ المفصل في تاريخ العرب والإسلام، د. جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.
٧٤ ـ المفضليات، المفضل الضبي الأنباري، دار المعارف، مصر.
٧٥ ـ مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية، إصدار إدارة الآثار والمتاحف، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٧٦ ـ المناطق الشرقية من مقاطعة الأحساء، جورج رنس بالاشتراك مع شعبة البحث بأرامكو، ١٩٥٠م.
٧٧ ـ منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد، د. سليمان سعدون البدر.
٧٨ ـ الملل والنحل، للشهرستاني، الطبعة الثانية، تحقيق محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٧٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة.
٨٠ ـ نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين.
٨١ ـ نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٨٢ ـ نهضة الأعيان في تاريخ عمان، محمد بن نورالدين عبدالله السالمي، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة.

الدوريات والمجلات والجرائد

١ ـ الكتاب الإحصائي السنوي، مصلحة الإحصاء المالية والاقتصاد الوطني، العدد ١٦، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢ ـ المؤشر الإحصائي، العدد ٦ و٧، ١٤٠١/ ١٤١٠هـ.

٣ ـ خطة التنمية الرابعة، وزارة التخطيط، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ.

٤ ـ بيان مندوبية تعليم البنات بالقطيف.

٥ ـ بيان إدارة التعليم بالمنطقة الشرقية.

٦ ـ دراسة عن الخدمات الأساسية لمنطقة القطيف، إعداد إمارة القطيف ومركز الخدمة الاجتماعية بالقطيف.

٧ ـ مجلة العرب، الرياض.

٨ ـ مجلة العربي، الكويت.

٩ ـ مجلة صوت البحرين، البحرين.

١٠ ـ مجلة الأديب، لبنان.

١١ ـ مجلة العرفان، لبنان.

١٢ ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت.

١٣ ـ مجلة الكتاب، القاهرة.

١٤ ـ مجلة قافلة الزيت.

١٥ ـ جريدة الرياض.

١٦ ـ جريدة اليوم.

المحتويات

الصفحة

الفصل الثالث ـ شئون اقتصادية

الفصل الرابع ـ إسهـام ثقـافـي

مـلاحـق

الكتب التي صدرت من سلسلة «هذه بلادنا»

اسم الكتاب	رقمه	اسم المؤلف	الطبعة
حائل	١	فهد العلي العريفي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
بريدة	٢	د. حسن بن فهد الهويمل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الجواء	٣	د. صالح بن سليمان النصار الوشمي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
فرسان	٤	إبراهيم عبدالله مفتاح	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
بلاد زهران	٥	د. محمد بن مسفر بن حسين الزهراني	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
عودة سدير	٦	د. عبدالعزيز بن محمد الفيصل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
المدينة المنورة	٧	محمد صالح البليهشي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
المذنب	٨	عبدالرحمن بن عبدالله الغنايم	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الجبيل	٩	عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الحريق	١٠	محمد بن سعد الدبل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الرس	١١	عبدالله بن محمد الرشيد	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الخبر	١٢	عبدالله أحمد الشباط	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الزلفي	١٣	عبدالرزاق بن أحمد اليوسف	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الباحة	١٤	د. صالح عون هاشم عدنان الغامدي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
البكيرية	١٥	علي بن سليمان المقوشي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
البدائع	١٦	عبدالله بن محمد العبيد	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
شقراء	١٧	محمد بن إبراهيم بن عبدالله العمار	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
الجوف	١٨	د. عارف بن مفضي المسعر	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
مكة المكرمة	١٩	إبراهيم أحمد حسين كيفي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
تبوك	٢٠	د. محمد بن علي الهرفي	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
جلاجل	٢١	د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
أبو عريش	٢٢	محمد جاسر إبراهيم عريشي	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
عنيزة	٢٣	د. محمد بن عبدالله السلمان	طبعة أولى ١٤١٠هـ
القطيف	٢٤	محمد سعيد المسلم	طبعة ثانية ١٤١٧هـ

الإشراف العام: عبدالرحمن العليق